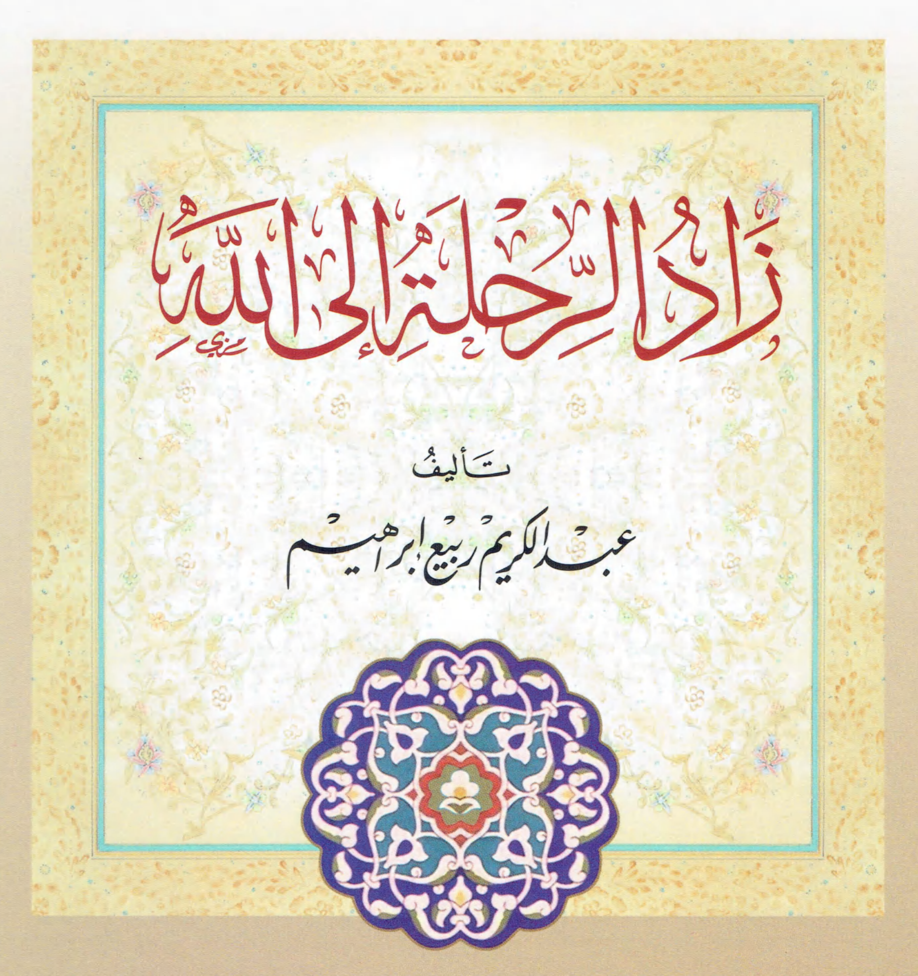


زاد الرحلة إلى الله

تأليف

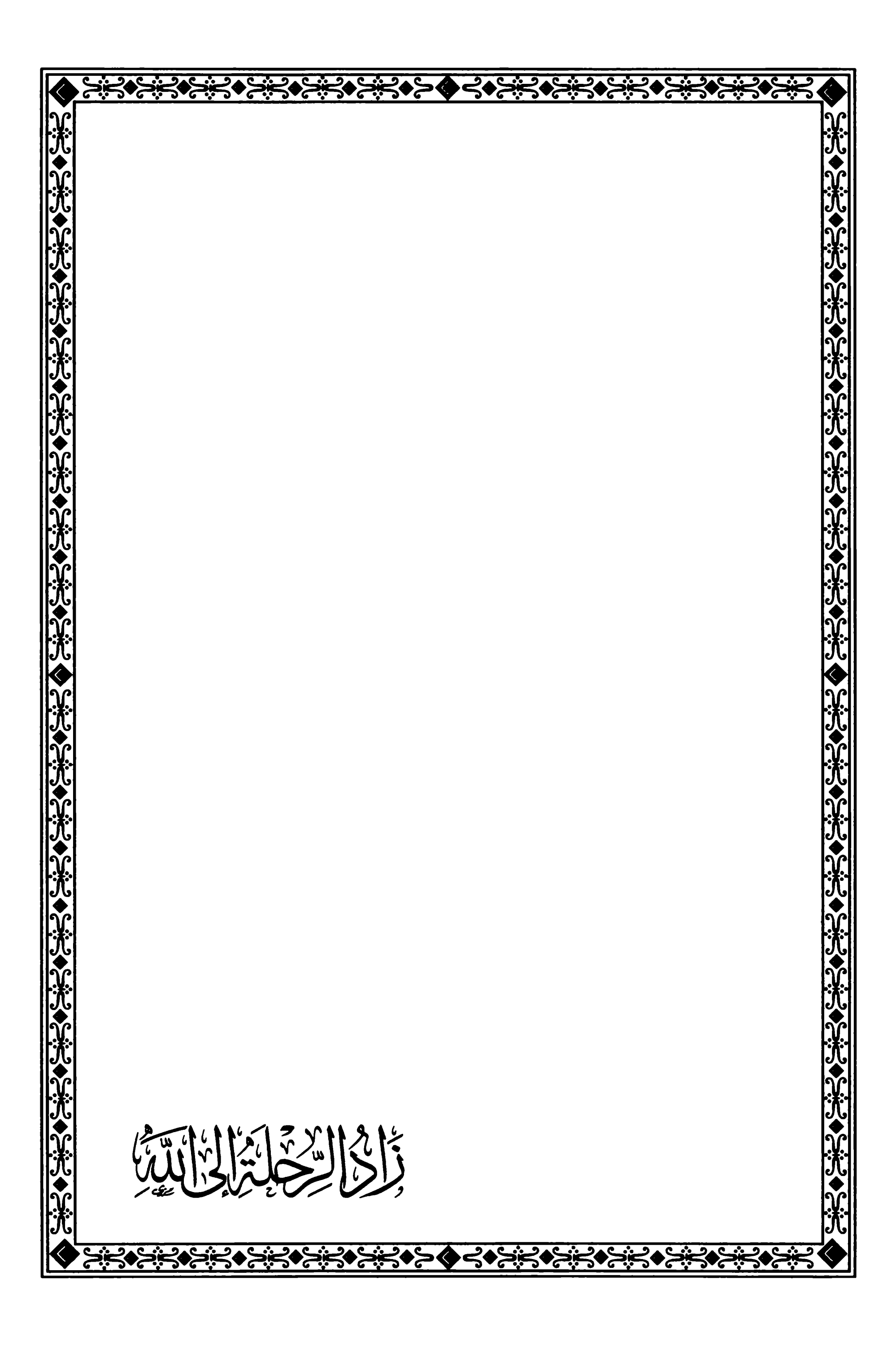
عبد الكريم ربيع ابراهيم

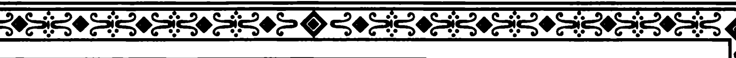
تقديم الشيخ الدكتور

يوسف بن عبد الله الوابل

المدرس بالمسجد الحرام وكلية الحرم الشريف

دار ابن الجوزي


زاد الرحلة إلى الله





دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية:
الدمام - حي الريان - شارع عثمان بن عفان
ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣
ص ب. واصل: ٨١١٤
الرمز البريدي: ٣٢٢٥٦
الرقم الإضافي : ٤٩٧٣
فاكس: ٨٤١٢١٠٠
الرياض - تلفاكس: ٢١٠٧٢٢٨
جوّال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨
الأحساء - ت: ٥٨٨٣١٢٢
جدة - ت: ٠١٢٦٨١٤٥١٩
جوّال: ٠٥٩٢٠٤١٣٧١

لبنان:
بيروت - ت: ٠٣/٨٦٩٦٠٠
فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١

مصر:
القاهرة - تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠
جوّال: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨

aljawzi@hotmail.com
+966503897671
aljawzi
eljawzi
aljawzi.net

ح دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٤١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ربيع، عبد الكريم

زاد الرحلة إلى الله./ عبد الكريم ربيع ـ ط١..- الدمام، ١٤٤١هـ

٣٠٤ص؛ ١٤,٥×٢١,٥سم

ردمك: ٦ ـ ٩٩ ـ ٨٢٧٤ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

١ ـ التوحيد ٢ ـ الأسماء والصفات أ. العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٤١/٥٥٦٣

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ

الباركود الدولي: 9786038274996



تأليف

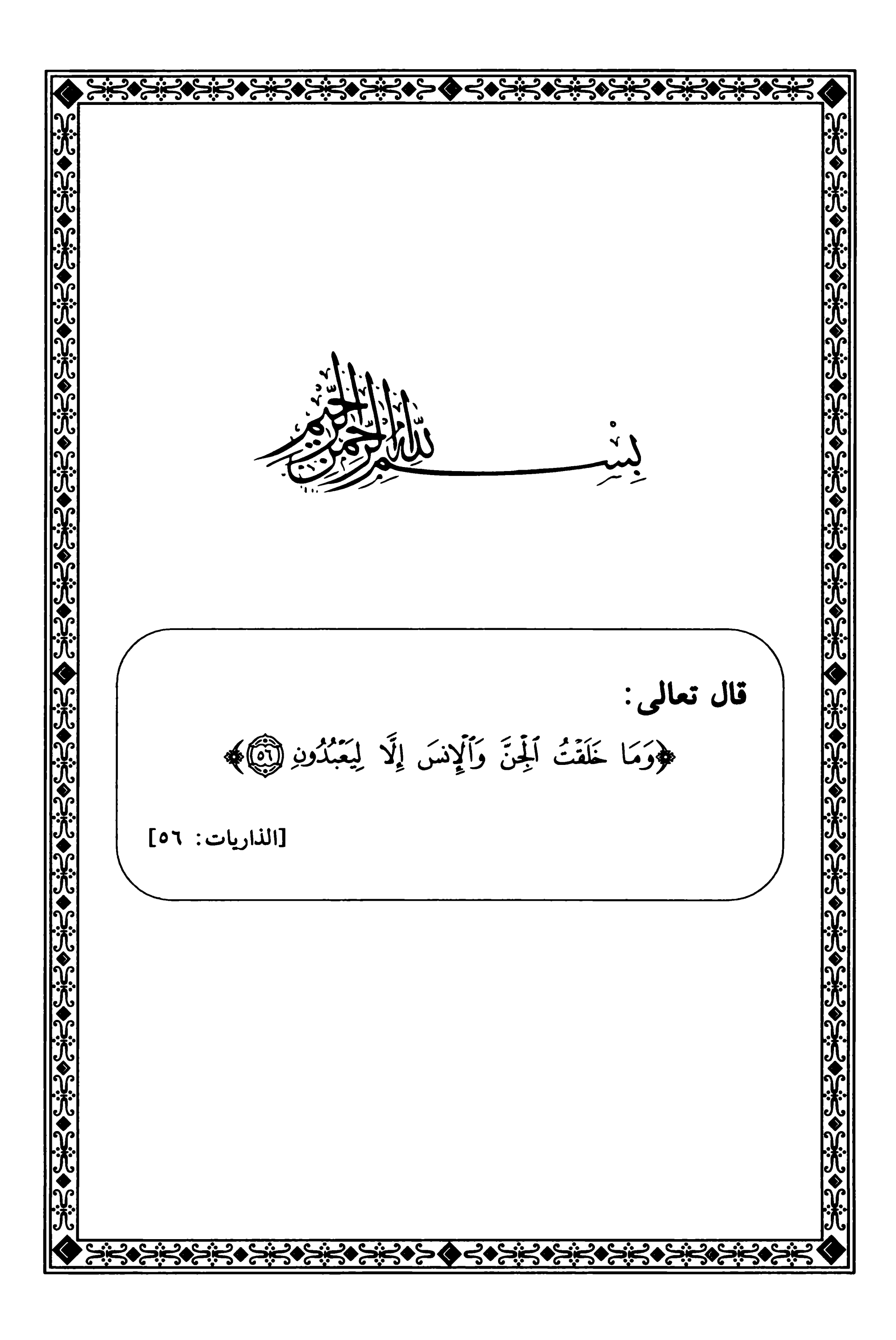
عبد الكريم ربيع إبراهيم

تقديم الشيخ الدكتور

يوسف بن عبد الله الوابل

المدرس بالمسجد الحرام وكلية الحرم الشريف

دار ابن الجوزي

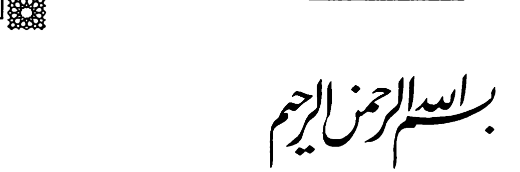


بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾

[الذاريات: ٥٦]



المقدمة

الحمد لله رب العالمين الرحمٰن الرحيم مالك يوم الدين له الأسماء الحسنى والصفات العليا جلَّ عن الشبيه والنظير ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير، لا تبلغه العقول والأوهام، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير أحاط بكل شيء علماً ووسع كل شيء رحمة وحلماً.

يُطاع فيشكر، ويُعصى فيغفر لا إلٰه إلا هو له الحكم وإليه المرجع والمصير.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على إمام المرسلين وخير العابدين وصفوة الخلق أجمعين نبينا وحبيبنا وقدوتنا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فقد اطلعت على هذه الرسالة المباركة بعنوان **«زاد الرحلة إلى الله»** لأخي الأستاذ/أبي عبد الرحمٰن عبد الكريم ربيع وقد اشتملت على مباحث مهمة في بيان أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد

الأسماء والصفات، ثم تناول فيها بعضاً من أسماء الله الحسنى وتكلم على كل اسم مبيناً أدلته من الكتاب والسُّنَّة وكلام أئمة السلف رحمهم الله، ونقل كثيراً عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى فأجاد وأفاد ولقد بذل جهداً كبيراً في شرح هذه الأسماء الحسنى وتناولها بالشرح والبيان فجزاه الله خيراً، وهي رسالة قيمة جديرة بالقراءة والاستفادة منها وقد جمع المؤلف فيها نقولات كثيرة عن علماء السلف من أهل السُّنَّة والجماعة الذين يثبتون لله تعالى من الأسماء والصفات ما أثبته لنفسه في كتابه وأثبته له رسوله ﷺ في سنته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تأويل. فلِلَّه الحمد الذي جعل في كل زمان فترة بقايا من أهل العلم ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ولا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة، فالحق ظاهر ومنصور مهما تكالب عليه الأعداء وهذه سُنَّة الله في خلقه، حيث جعل من أهل العلم ومن طلاب الحق والمدافعين عنه من يبينون للناس دينهم الحق بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة من القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة.

وقد تركنا رسول الله ﷺ على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فهذه كتب السلف رحمهم الله جيلاً بعد جيل ينافحون عن العقيدة الصحيحة ويبينون للناس ما يجب

عليهم نحو ربهم ﷻ ونحو رسولهم ﷺ وقرآنهم وسُنَّة نبيهم ففيها النجاة والفوز من مضلات الفتن قال ﷺ: **«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسُنَّتي»**.

وقال عليه الصلاة والسلام: **«عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»**.

وفي رواية للنسائي وابن خزيمة: **«وكلَّ ضلالة في النار»**.

ولقد دأب السلف رحمهم الله على الرد على المبتدعة وأهل الضلال الذين تركوا الكتاب والسُّنَّة وأخذوا عن الفلاسفة وأهل الكلام ثم حرفوا وغيروا وبدلوا وردوا نصوص الكتاب والسُّنَّة بتأويلاتهم الباطلة وقدموا عقولهم وأفهامهم على نصوص الوحي فضلوا وأضلوا حتى وصل بهم الأمر إلى أن الرب ﷻ ليس بداخل العالم ولا خارجه وأنه ليس في السماء إلٰه ـ تعالى الله عما يقولون علوّاً كبيراً ـ وهذا بلا شك زيغ وضلال، وبعد عن الحق وعن منهج النبوة حتى وصل الأمر ببعضهم كبشر المريسي الجهمي أن يقول: «سبحان ربي الأسفل» تعالى الله عما يقولون علوّاً كبيراً.

والله ﷻ وصف نفسه بالعلو والاستواء على العرش وهو سقف المخلوقات في آيات كثيرة من القرآن قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج: ٤]، وقال تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل: ٥٠]، فأين هؤلاء من نصوص الوحي، نسأل الله تعالى الثبات على الحق ونعوذ به من الزيغ والضلال، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. فهذه الرسالة المباركة فيها من بيان الحق والهدى وشرح لمعاني أسماء الله الحسنى من كلام العلماء الراسخين الذين يأخذون من الكتاب والسُّنَّة ولا يتجاوزون القرآن والحديث في إثبات أسماء الله وصفاته وفي الختام نسأل الله تعالى أن يجزي الأخ الأستاذ/ عبد الكريم ربيع خير الجزاء وأن ينفع بهذه الرسالة القيمة طلاب الحق وأن يبصرنا ويدلنا على الحق ويرزقنا اتباعه والثبات عليه وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

يوسف بن عبد الله الوابل

١١/٨/١٤٤٠هـ

مكة المكرمة



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده رسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النساء: ١].

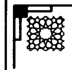
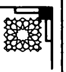
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الاحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة.

فهذا كتاب يحتوى على جملة من مسائل المعتقد المتعلقة

بكلمة الشهادة وبعض فروعها من مسائل التوحيد مع بيان وتفصيل في جملة من أسماء الله الحسني، الثابتة في الكتاب والسُّنَّة، والمتداولة كثير من حياتنا وحاجة الناس الملحة إليها من حيث المعرفة بها ومرادها ولوازمها والعمل بها وكيفية تعبد الله بها، وقمت بذكر أدلة لكل واحد منها، وبيان معانيها، وبعض المسائل التعبدية والتربوية، والمواقف الإيمانية، المستفادة منها، مع إيراد روايات وقصص مفيدة ومثيرة عن سلفنا الصالح، المتعلقة بحقيقة تلك الأسماء من لوازم، والغاية في ذلك كل الغاية هي معرفة الله بها حق المعرفة والسير إلى طريقها حق السير، ودعوة الناس بالعمل وفقاً لما يريد، للفوز بالدرجة الرفيعة والمقام المحمود مع الصديقين والشهداء، راجياً من الله أن ينفع بهذه السطور ويجزي خير الجزاء كاتبها وقارئها وكل من ساهم في نشرها وتوجيه الناس إليها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أبو عبد الرحمن عبد الكريم
ربيع بن ابراهيم
يوم الجمعة ١٤٣٩/٦/٩هـ
ص. ب: ٤٠٠٣٦ مكة المكرمة

لا إله إلا الله كلمة الفلاح والنجاة

قال سبحانه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

معناها أنه لا معبود بحق إلا الله. هو الإله الذي يعبد وحده ويخص بجميع أنواع العبادة كما قال في كتابه العزيز ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

تتحقق الشهادة بركنين: **الأول** نفي الألوهية والعبادة عما سوى الله من سائر ما يعبد من دون الله **والثاني** إثبات الألوهية والعبادة لله وحده دون ما سواه وهي أصل الدين وأساس المله وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

أما شروطها فهي:

١ ـ العلم المنافي للجهل أي أن تعرف معناها أن لا معبود حق إلا الله.

٢ ـ اليقين المنافي للشك أن تكون على يقين التام أن لا معبود حق إلا الله.

٣ ـ الإخلاص المنافي للشرك أن تؤدي جميع عبادتك لله وحده.

٤ ـ الصدق المنافي للكذب أن تكون صادقاً في قلبك أن لا تكون كالمنافقين الذين باطنهم على خلاف ظاهرهم.

٥ ـ المحبة المنافية للبغض أن تحب الله ورسوله محبة صادقة لا غبار فيها.

٦ ـ الانقياد المنافي للترك أي تنقاد ما دلت عليه من إخلاص العبادة لله وترك عبادة ما سواه وأداء الشرائع التي شرعها من الأوامر والنواهي عن محبة وانقياد.

٧ ـ القبول المنافي للرد أي تقبل كل ما جاء به الشرع وما دلت عليه من العبادة والتوحيد والإخلاص ولا نردها.

٨ ـ الكفر بما يعبد من دون الله كما قال تعالى ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قد جمعت هذه الشروط في البيتين الآتيين:

علمٌ يَقِينٌ وإخلاصٌ وصدْقُكَ مع محبةٍ وانقيادِ والقبولِ لها

وزيدَ ثامنُها الكفرانُ مِنكَ بما سوى الإلهِ مِنَ الأشياءِ قد أَلِهَا

أما عن فضائل لا إله إلا الله فهي أفضل الكلام بعد القرآن وأحب الكلام الى الله وكلمة الإخلاص والتوحيد وأول شيء دعت إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام وأول شيء دعا إليه النبي ﷺ.

عن جابر رضي الله عنه قال: **«سمعت النبي ﷺ يقول أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله»** [رواه الترمذي وحسنه].

عن أبي سعيد الخضري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: **«قال موسى: يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به قال يا موسى: قل لا إله إلا الله قال: كل عبادك يقولون هذا، قال يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله»** [رواه الحاكم].

عن عبد الله ابن عمرو قال، قال النبي ﷺ: **«يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعه وتسعون سجلاً كل سجل منها مدى البصر ثم يقال: أتنكر من هذا شيئاً: فيقول لا يا رب، فيقال: ألك عذر أو حسنة فيهاب الرجل، فيقول لا، فيقال بل أنك لك عندنا حسنة وأنه لا ظلم عليك فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول: إنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة»** [رواه الترمذي وحسنه].

عن عتبان بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»** [رواه البخاري].

أما النواقض فهي كل ما يفسد ويبطل كلمة التوحيد والإسلام عموماً. وتقع بالاعتقاد والقول والفعل والشك ولا

عبرة لمن قال بكلمة التوحيد واعتقدها ثم وقع في ناقض من نواقضها. ومن أشهر النواقض المتداولة في الناس. الشرك بالله، العبادة لغير الله، الدعاء أو السجود أو الذبح لغير الله أو الإعتقاد بأن هدياً أو حكماً سوى هدي الله وحكمه هو أفضل وأكمل أو بعض شيء من شرائع الله أو سب الله أو دينه أو نبيه أو إنكار معلوم من الدين بالضرورة أو استهزاء شيء من شعائر الله أو أحكامه أو معاونه المشركين وموالاتهم على المسلمين وغير ذلك من النواقض التي إذا وقع في واحد منها خرج من الإسلام وأصبح كافراً عياذني الله وإياكم من الكفر بعد الإسلام.

فصل في معرفة توحيد الله رب العالمين

من أنواع التوحيد: العلم والإقرار بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه ومدبره ومعرفة أنه الرزاق المحيي المميت النافع الضار.

والأمور هذه تقر بأفعاله ﷻ وهو المسمى بتوحيد الربوبية، وحتى كفار قريش أقروا به ودل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [يونس: ٣١ ـ ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٨، ٨٩].

إن توحيد الربوبية يعتبر أعظم دليل على توحيد الألوهية. وهو كالمقدمة بالنسبة للنتيجة.

من يعتقد أن لهذا الكون العظيم الواسع الفسيح خالقاً ومدبراً وقاهراً ومتصرفاً فيه. يفعل ما يشاء وله القدرة الكاملة على تبديله وتغييره، وهو الرزاق لجميع المخلوقات، وبيده النفع والضر، يمنع ويعطي، يحيي ويميت، ينجي عند الشدائد والكربات، ويجيب المضطر عند الاضطرار.

من اعتقد ذلك أحب الخالق العظيم ولا بد.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر: ٣].

توحيد الألوهية:

هو إفراد الله بالعبادة واخلاصها له وحده لا شريك له ظاهراً وباطناً. وهو توحيد الله بافعال العباد.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

وهو أعظم أنواع التوحيد وأهمها، ولا يكون العبد مؤمناً إلا بتحقيقها، ولأجله خلق الله عباده وأنزل الكتب وبعث الأنبياء والرسل.

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم

مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

الحاصل: أنه لا يجوز صرف جميع أنواع العبادات إلا لله وحده. ومن أعظمها أركان الإسلام الخمسة والدعاء والنذر والنحر والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والرغبة والرهبة والاستعانة والاستغاثة وغير ذلك من أنواع العبادة ومن جعل شيئاً منها لغير الله؛ فقد أشرك وصاحبه مخلد في النار، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

وهذا هو معنى لا إلٰه إلا الله: أي: لا معبود بحق إلا الله.

والعبادة اسم جامع لكل ما يحب الله ويرضى من الأقوال والأفعال والأعمال الظاهرة والباطنة، مع غاية الحب وغاية الذل.

وأصل العبادة هو: تجريد الإخلاص لله وتجريد المتابعة للرسول ﷺ.

يا ابن آدم حقق التوحيد بالإخلاص لله والمتابعة للرسول ﷺ. تكن من المهتدين الأمنين في الدنيا والآخرة، والله نسأل أن يجعلنا من أهل التوحيد الخالص والمتابعة لرسوله الكريم ﷺ.

توحيد الأسماء والصفات:

معنى توحيد الله بالأسماء والصفات هو إثبات أن لله أسماء وصفات ثابتة في الكتاب والسُّنَّة ونؤمن بها ونعمل بمقتضياتها من غير تحريف ألفاظها ولا معانيها، ولا تعطيل ولا نفيها ولا تكيفها بتحديدها بشيء من علم المخلوق وإثبات كيفيتها ولا تشبيهاً بصفات المخلوقين.

قال نعيم بن حماد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، فليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ تشبيه» [أخرجه اللالكائي (١/ ٩٣٦)].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث» [«مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٥/ ٢٦)].

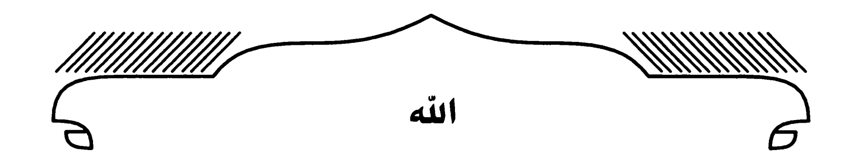
وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منعوتاً في كتاب الله أو صح عن رسول الله أو أجمعت عليه الأمة وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه» [«جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٤٣)].

بيان ما سبق يفيد أيضاً أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية. لا نثبت لله تعالى ولا ننفي عنه إلا بدليل من الكتاب والسُّنَّة. ويدل أيضاً: لا يشبه الله شيئاً من مخلوقاته سبحانه كما ورد في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

وأن صفاته صفات كمال منزه عن كل نقص.

الحاصل: هو توحيد الله باسمائه الحسنى وصفاته العلى. والايمان بها والعمل بمقتضاها. والتوسل بها لله تعالى. وإخلاص العبادة لله. وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى.





الله

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨﴾ [طه: ٨].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [الحشر: ٢٤].

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما الإله فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال فيدخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى ولهذا كان القول الصحيح أن الله أصله الإله كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ منهم وأن اسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العلى فقد تضمنت هذه الأسماء الثلاثة جميع معاني أسمائه الحسنى فكان المستعيذ بها جديراً بأن يعاذ ويحفظ ويمنع من الوسواس الخناس ولا يسلط عليه وأسرار كلام الله أجل وأعظم من أن تدركها عقول البشر وإنما غاية أولي العلم الاستدلال بما ظهر منها على ما وراء وإن باديه إلى الخافي يسير»(١).

(١) «بدائع الفوائد» (٢/ ٢٤٩).

ومن خصائص هذا الأسم أنه لا يسقط عنه الألف واللام في حال النداء فيقال: يا الله، فصار الألف واللام فيه كالجزء الأساسي في الاسم، وأما سائر الأسماء الحسنى إذا دخل عليها النداء أسقط عنها الألف واللام فلا يقال: يا الرحمٰن، يا الرحيم، يا الخالق، وإنما يقال: يا رحمٰن، يا رحيم، يا خالق.

ومن خصائصه أنه أكثر أسماء الله الحسنى وروداً في القرآن الكريم، فقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم أكثر من ألفين ومائتي مرة، وهذا ما لم يقع لأسم آخر، وقد افتتح الله ﷻ به ثلاثاً وثلاثين آية.

الإلٰه: هو المألوه؛ أي: المستحق لأن يؤله؛ أي: يعبد. ولا يستحق لأن يؤله ويعبد إلا الله تعالى.

يستلزم الايمان بالله ﷻ، محبته الكاملة له عن نفسه والناس أجمعين ويستلزم التسليم الكامل له في جميع الأمور بقيد والقول قوله والطاعة طاعته، والولاء والبراء لأجله. والحب كله له والبغض يكون لأجله، وهو صاحب الإجلال والإخلاص في عبادته سبحانه، والتوكل والخوف والرجاء والرغبة والرهبة والصلاة والصيام والحج والزكاة، والذبح والنذر وجميع أنواع العبادة لا تكون إلا له سبحانه. وهو الذي يقضي الحوائج ويكشف الكروب، ولذا نقول لمن تراكمت عليه الحوائج وتراكمت عليه الكروب. لا نسأله إلا هو ولا ينتظر

الفرج إلا منه سبحانه، ويراك ويسمعك وأرفع يديك إلى السماء واسأله ما تريد يجيب لك ويؤتيك مسألتك ويفرج كربك.

يقول ابن القيم في مدارج السالكين (باختصار):

فاسم (الله) دال على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا فإنه دال على إلٰهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلٰهية له، مع نفي أضدادها عنه وصفات الإلٰهية؛ يعني: أن الله الإلٰه الحق وحده لا شريك له.

ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم.

تأملات وإيمانيات:

(الله) هو الاسم الدال على الذات العظيمة الجامعة لصفات الإلٰهية والربوبية فهو اسم له وحده لا يتعلق به أحد سواه، ولا يُطلق على غيره ولا يدّعيه أحد من خلقه.

(الله) اسم للرب المعبود المحمود الذي يمجِّده الخلق ويسبحونه ويحمدونه، وتسبح له السماوات السبع والأرضون السبع ومن فيهم والليل والنهار والإنس والجن والبر والبحر ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

(الله) هو الرب الذي تألَهُهُ القلوب وتحن إليه النفوس وتتطلع إليه الأشواق، وتحب وتأنس بذكره وقربه وتشتاق إليه

وتفتقر إليه المخلوقات كلها في كل مضيٍّ ولحظة، وخطرة وفكرة في أمورها الخاصة والعامة، الكبيرة والصغيرة، الحاضرة والمستقبلة، فهو مبديها ومعيدها، ومُنْشِئها وباريها وهي تدين له سبحانه وتُقِرُّ، وتفتقر إليه في كل شؤونها وأمورها ما من مخلوق إلا ويشعر بأن الله تعالى طوّقه مِنَناً ونِعماً وأفاض عليه من آلائه وكرمه وإفضاله وإنعامه بالشيء الكثير، فجدير بأن يتوجه قلب الإنسان إلى الله تبارك وتعالى بالحب والتعظيم والحنين.

(الله): العظيم في ذاته وصفاته وأسمائه وجلاله ومجده، لا تحيط به العقول ولا تدركه الأفهام ولا تصل إلى عظمته الظنون؛ فالعقول تحار في عظمته وإن كانت تستطيع بما مُنحت من الطّوق والقدرة على أن تدرك جانباً من هذه العظمة، يمنحها محبة الله والخوف منه والرجاء فيه والتعبد له بكل ما تستطيع.

واسم الله إذا ذكر وجلت القلوب لجلاله وخشعت الأصوات لقوته وعنت الوجوه لعظمته وهو الذي إذا ذكر نزلت الطمأنينة في قلوب المؤمنين لجلاله ورحمته.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨].

وروح لا إلٰه إلا الله وسرها: إفراد الرب جل ثناؤه وتقدست أسماؤه وتبارك اسمه وتعالى جده ولا إلٰه غيره

بالمحبة والإجلال والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك من التوكل والإنابة والرغبة والرهبة، فلا يحب سواه؛ بل كان ما كان يحب غيره فإنما هو تبعاً لمحبته وكونه وسيلة إلى زيادة محبته ولا يُخاف سواه، ولا يُرجي سواه، ولا يتوكل إلا عليه ولا يُرغب إلا إليه، ولا يُرهب إلا منه، ولا يُحلف إلا باسمه، ولا يُنذر إلا له، ولا يُتاب إلا إليه، ولا يُطاع إلا بأمره، ولا يُحتسب إلا له، ولا يُستعان في الشدائد إلا به، ولا يُلتجأ إلا إليه، ولا يُسجد إلا له.

يقول الإمام ابن القيم: إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله، وإذا فرح الناس بالدنيا فافرح أنت بالله، وإذا أنس الناس بأحبائهم فأنس أنت بالله، وإذا ذهب الناس إلى ملوكهم وكبرائهم يسألونهم الرزق ويتوددون إليهم فتودد أنت إلى الله.

الإيمان بوجود الله فطرة:

والإيمان بوجود الله سبحانه فطرة مركوزة في الأنفس لا تحتاج إلى أدلة، ولذلك لما سئل بعض السلف عن الدليل على وجود الله قال: أغنى الصباح عن المصباح متى احتاج النهار إلى دليل؟

وقال بعض الصالحين مناجياً ربه: سبحانك ربي آمن بك المؤمن ولم ير ذاتك، وجحدك الجاحد ووجوده في ملكك دليل على وجودك وعظمة ذاتك.

وقد بين الله تلك الفطرة بمثال بعض الكفار الذين ركبوا في سفينة؛ وكانت الأمواج هادئة، وانطلقوا في البحر، وفي أول الرحلة سخَّر الله لهم ريحاً طيبة جعلتهم يسيرون في البحر بسرعة، ففرحوا بها، وفجأة هاجت الأمواج، واشتدت الرياح والعواصف فأصبحوا في مأزق عصيب، عندئذ صاح هؤلاء الكفار بأعلى أصواتهم يدعون الله ﷻ ويلجؤون إليه، ويطلبون منه النجاة، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٢٢﴾ [يونس: ٢٢].

وهكذا فطرة البشر تلجأ إلى الله ﷻ، وتظهر حقيقتها في وقت الشدة والكرب حتى وإن وجد عليها الصدأ، وطُمِست شفافيتها في أوقات الغفلة واللهو والرخاء، ذلك لأن الله ﷻ خلق الإنسان مفطوراً على الإسلام والإحساس بوجود الله، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [الروم: ٣٠].

وفي الحديث: «**ما من مولود إلا يولدُ على الفِطْرةِ فأبواه يُهوِّدانه** (يجعلانه يهوديّاً)، **أو ينصِّرانه** (يجعلانه نصرانيّاً)، **أو يمجِّسانه** (يجعلانه مجوسيّاً)» [البخاري].

دلالة العقل على وجود الله:

سأل بعض القدرية ـ الذين ينفون قدرة الله، ويغالون في قدرة الإنسان ـ أبا حنيفة عن وجود الله ﷻ فقال لهم: دعوني فإني مفكر في أمر أُخبرت عنه، ذكروا لي أن سفينة في البحر مملوءة بالبضائع، وليس فيها أحد يحرسها أو يسوقها، ومع ذلك فإنها تسير بنفسها، وتخترق الأمواج، وتسير حيث شاءت فماذا تقولون؟ قالوا: هذا شيء لا يقبله العقل. فقال أبو حنيفة: يا سبحان الله، إذا لم يجر في العقل سفينة تجري في البحر مستوية من غير متعهد ولا مجر، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها، وسعة أطرافها، وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ؟!.

قالوا: صدقت وتابوا إلى الله، وحسن إسلامهم.

وسُئِل أعرابي عن الدليل على وجود الله؟ فقال: البعرة تدل على البعير، والروثة تدل على الحمير، وآثار الأقدام تدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟!

معجزات الأنبياء دليل على وجود الله:

اجتمع المشركون في مكة، وطلبوا من الرسول أن يشق لهم القمر نصفين، فقال لهم: «إن فعلت تؤمنوا؟» قالوا: نعم. فأشار الرسول إلى القمر ـ وكان بدراً ـ فانفلق فلقتين، ورآه

الناس. ولكن المشركين المعاندين رفضوا أن يستجيبوا لنداء الحق، وأبوا أن يذعنوا لمعجزة الله، قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١].

والمعجزة تدل على وجود الله تعالى؛ لأنها أمر خارج عن مقدرة البشر، يؤيد الله بها رسله وأنبياءه، ومن هذه المعجزات ما أيَّد الله به نبيه موسى عليه السلام من معجزة العصا، فكان يضرب بها الحجر فيخرج منه الماء، ويضرب بها الماء فيتجمد، ويتحول إلى أرض يابسة، بإذن الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠].

نور أشعة كلمة لا إلٰه إلا الله، تبدد ظلمات القلوب:

اعلم أن نور لا إلٰه إلا الله تبدد من ضباب الذنوب وغيومها بقدر قوة ذلك الشعاع وضعفه، فلها نور، وتفاوت أهلها في ذلك النور، قوة وضعفاً، لا يحصيه إلا الله تعالى، فمن الناس من نور هذه الكلمة كالشمس، ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري، ومنهم من نورها في قلبه كالمشعل العظيم، وآخر كالسراج المضيء، وآخر كالسرج الضعيف. ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم، وبين أيديهم، على هذا المقدار، بحسب ما في قلوبهم من نور هذه الكلمة علماً وعملاً ومعرفة وحالاً، وكلما عظم نور هذه الكلمة واشتد أحرق من

الشبهات والشهوات بحسب قوته وشدته، حتى أنه ربما وصل إلى حال لا يصادف معها شبهة ولا شهوة ولا ذنباً، إلا أحرقه، وهذا حال الصادق في توحيده الذي لم يشرك بالله شيئاً، فأي ذنب أو شهوة أو شبهة دنت من هذا النور أحرقها، فسماء إيمانه قد حرست بالنجوم من كل سارق لحسناته، فلا ينال منها السارق إلا على غرّة وغفلة لا بد منها للبشر، فإذا استيقظ وعلم ما سُرق منه استنقذه من سارقه أو حصّل أضعافه بكسبه، فهو هكذا أبداً مع لصوص الجن والإنس، ليس كمن فتح لهم خزانته وولى الباب ظهره. [مدارج السالكين: ١/ ٣٦٩].

ثمرات الإيمان بهذا الاسم الجليل:

١ ـ ألا نقصد بالعبادة غير الله.

٢ ـ أن تعبد الله كأنك تراه.

٣ ـ من أحب شيئاً أكثر من ذكره.





الرحمن الرحيم

هما اسمان جليلان وردا في مواضع عدة في القرآن الكريم، وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾ [الرحمٰن: ١، ٢].

وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

وقال تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [مريم: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزاب: ٤٣].

معنى الرحمٰن هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا وللمؤمنين في الآخرة.

أما الرحيم: فهو ذو الرحمة للمؤمنين.

اسم «**الرحمٰن**» يدل على الرحمة الذاتية القائمة له سبحانه.

و«**الرحيم**» يدل على الرحمة الفعلية المتعلقة بالمرحوم، صفة الرحمٰن ثابتة لله تعالى بالكتاب والسُّنَّة.

وهو مبني على المبالغة ومعناه ذو الرحمة الذي لا نظير له فيها، وهو لا يثنى ولا يجمع ولا يسمى به أحد غيره.

والرحمٰن هو من عمت رحمته الكائنات كلها في الدنيا سواء في ذلك المؤمن والكافر وقد ذكر ابن القيم أن وصف فعلان يدل على سعة هذا الوصف وثبوت جميع معناه الموصوف به؛ ألا ترى أنهم يقولون غضبان للممتلئ غضباً، وندمان وحيران وسكران ولهفان لمن ملئ بذلك، فبناء فعلان للسعة والشمول ولهذا يقرن الله تعالى استواءه على العرش بهذا الاسم كثيراً كقوله سبحانه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] وكقوله أيضاً: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ۝٥٩﴾ [الفرقان: ٥٩].

فاستوى على عرشه باسمه الرحمٰن لأن العرش محيط بالمخلوقات وقد وسعها والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم على اختلاف أنواعهم كما قال تعالى: ﴿هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٥٦﴾ [الأعراف: ١٥٦] فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات ومن ثم وسعت رحمته كل شيء.

واسم الرحمٰن اختص به الله لا يتسمى به غيره فقد قال الله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ﴾ [الإسراء: ١١٠] فقرن بين اسمي الله والرحمٰن فكما أن لفظ الجلالة (الله) لا يتسمى به غيره فكذلك اسم (**الرحمٰن**).

ولما تسمى مسيلمة الكذاب بـ(رحمٰن اليمامة) واشتهر

بذلك لقبه رسول الله بالكذاب وجعله الله نكالاً فلا يذكر اسمه إلا إذا اقترن بالكذاب فصار علماً لا يعرف إلا به.

الرحيم: مشتق أيضاً من الفعل رحم فإذا قيل راحم فهو متصف بالرحمة والمبالغة رحمٰن ورحيم ويفترق هذا الاسم عن اسم الرحمٰن أنه يمكن تسمية غير الله به كما في قوله تعالى في وصف النبي ﷺ: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال عبد الله بن عباس: (هما اسمان رقيقان أَحدهما أَرق من الآخر).

وقال ابن المبارك: الرحمٰن إذا سئل أعطى والرحيم إذا لم يسأل يغضب ما الفرق بين الرحمٰن والرحيم؟

قيل في ذلك عدة أقوال:

١ ـ **الرحمٰن**: معناه ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في معايشهم، وعمت المؤمن والكافر والرحيم خاص بالمؤمنين كما في قوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣] (لكن ورد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣].

٢ ـ الرحمٰن في الدنيا والرحيم في الآخرة (لكن قد جاء في الدعاء عن الرسول ﷺ: «**ألا أُعلِّمك دعاءً تدعو به لو كان عليك مثل جبل أحدٍ ديْناً لأدّاه الله عنك؟ قل يا معاذ: «اللّهمَّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء،**

وتعزّ من تشاء، وتذلُّ من تشاء، بيدك الخير إنك على كلِّ شيءٍ قديرٌ. رحمٰن الدنيا والآخرة ورحيمهما، تعطيهما من تشاء، وتمنع منهما من تشاء، ارحمْني رحمةً تغنيني بها عن رحمة من سواك» [حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب].

٣ ـ والراجح: أن الرحمٰن صفة للذات (ذات الله) والرحيم صفة للفعل.

فالله في ذاته بلغت رحمته الكمال، والرحيم دل على أنه يرحم خلقه برحمته.

بيان سعة رحمة الله بعباده:

الله سبحانه ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۚ﴾ [الأنعام: ١٢].

والله ﷻ سبقت رحمته غضبه كما جاء في «الصحيحين» عن أبي هريرة عن النبي أنه قال: «**لما قضى الله الخلق كتب كتاباً فهو موضوع عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي**» ولم يجعل في الدنيا إلا جزءاً يسيراً من واسع رحمته يتراحم به الناس ويتعاطفون، وبه ترفع الدابة حافرها عن ولدها رحمة وخشية أن تصيبه، روى البخاري من حديث أبي هريرة أنه سمع رسول الله يقول: «**جعل الله الرّحمة مائة جزءٍ، فأمسك عنده تسعةً وتسعين جزءاً وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتّى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه**» [رواه البخاري].

لقد غمر الله أهل الكهف برحمته مكافأة لهم على الفرار بدينهم فلم يجعلهم يفكرون في أنهم مضطهدون حتى لا يعيشوا

في قلق ورعب من أن يلحق بهم الطغاة الكفرة.. لذلك ألقى عليهم النوم في الكهف.. فلا يشعر بهم أحد، ولا يشعرون بالوقت.. ولا يحتاجون إلى طعام وشراب.

وكانت هناك آيات بقدرة الله تولتهم بعنايته ورحمته، فقال بعضهم لبعض: ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الكهف: ١٦]..

ورحمة الله تتمثل في مظاهر لا يحصيها العد، ويعجز الإنسان عن مجرد ملاحقتها وتسجيلها:

وإذا تأملنا الكون المحيط بنا تجلت لنا رحمة الله ﷻ في كل صغيرة وكبيرة فالشمس تحافظ على بعد ثابت من الأرض، وهذا البعد الثابت يضمن لنا قدراً ثابتاً من الحرارة.. لا يزيد فتقتلنا الحرارة، ولا ينقص فتقتلنا البرودة والهواء يحيط بنا ويحوي الأكسجين اللازم لعملية التنفس وأكسدة المواد الغذائية كي تنطلق الطاقة التي تكفل للجسم القيام بوظائفه.

والماء الذي يمثل معظم مساحة الكرة الأرضية بما له من وظائف غير محصورة في جسم الإنسان، هذا فضلاً عن استخدامه في الطهارة التي تقي الإنسان شر الأمراض والآفات.

وبعد أن أعد لنا ﷻ هذا الكون، أعد لنا في بطون أمهاتنا رحماً رحيماً بنا فيأتينا فيه الرزق.. بلا حول ولا قوة.. رزقاً منه تبارك وتعالى بلا تعب ولا مقابل ومن رحمته ﷻ أنه ينبت لنا من الأرض الجدباء طعاماً نأكله وفي ذلك يقول تبارك وتعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الروم: ٥٠].

ومن رحمته أنه جعل لنا الليل سكناً لنجد فيه الراحة والسكينة بعد عناء العمل، وجعل لنا النهار للسعي والعمل واكتساب القوت فقال ﷻ: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣].

ومن رحمته أنه أرسل الرسل بالرسالات السماوية إلى الناس كافة ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وأرسل رسوله محمداً عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بالهدى ودين الحق ليكون رحمة للعالمين فيقول تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٥٥﴾ [الأنعام: ١٥٥].

ولكن ما معنى كونه سبحانه رحيماً وأرحم الراحمين ونجد البلاء والعذاب والمرض وهو يقدر على رفع ذلك عن عباده؟

والجواب: أن ذلك من تمام حكمته سبحانه فمثلاً لو أن طفلاً صغيراً يحتاج إلى حقنة فبكى الابن خوفاً من ألمها فرقّت له الأم، وحمله الأب عليها قهراً!!!

فالجاهل يظن أن الرحيم الأم دون الأب.

والعاقل يعلم أن إيلام الأب لابنه من تمام رحمته وعطفه وأن الألم القليل إذا كان لمنفعة كبيرة لم يكن شرّاً بل هو خير.

وكذلك اليد المصابة بالأكلة (الغرغرينا) قطعها شر في الظاهر لكن في الباطن هو خير لسلامة البدن كله ولو لم تقطع لكان الشر أعظم بهلاك البدن كله.

ونستطيع بذلك أن نرد على من ينكرون عقوبة الإعدام للقاتل أو قطع اليد للسارق ففيها خير على المجتمع كله بسلامته وأمنه.

إذن فما يقدره الله لعباده من شدة ومرض هو رحمة منه بعباده إما لرفع درجاتهم أو لتكفير سيئاتهم أو لتذكيرهم بنعمه عليهم إلى غير ذلك من الأسباب التي سنذكرها فيما بعد إن شاء الله بشيء من التفصيل.

ثمار الإيمان بهذين الاسمين: الرحمٰن والرحيم:

١ ـ الدعاء بهما وسؤال الله الرحمة:

فنسأل أرحم الراحمين أن يرحمنا ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾ [آل عمران: ٨].

و﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٦].

و﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝١١٨﴾ [المؤمنون: ١١٨].

وفي «الصحيحين» عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي وفي بيتي قال: قل: **«اللَّهُمَّ إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»**.

وكان عمر بن عبد العزيز يقول: «اللَّهُمَّ إن لم أكن أهلاً لبلوغ رحمتك، فإن رحمتك أهلاً لأن تبلغني، فرحمتك وسعت كل شيء وأنا شيء فلتسعني رحمتك يا أرحم الراحمين».

٢ ـ أن تكون رحيماً بالخلق:

فالأصل أن المسلم متصف بهذه الصفة في تعامله بين الخلق وقد وصف الله المؤمنين بذلك فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

فالأصل في المسلمين الرحمة فيما بينهم لكنهم صاروا في كثير من الأحيان أشداء بينهم... تجد هذا في الطبيب الذي يعالج مرضاه نسي رحماء بينهم، وكذلك المحامي والتاجر وغير ذلك... وإننا بحاجة أن نعيد هذا المفهوم إلى الأذهان أن الله أمر المؤمنين أن يكونوا رحماء بينهم وفي الحديث: «**من لا يرحم لا يرحم**» [رواه البخاري].

وعن أبي هريرة: «**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**» [رواه الترمذي وحسّنه].

ورحمة المؤمن لا تقتصر على إخوانه المؤمنين وإنما هو ينبوع يفيض بالرحمة على الناس جميعاً:

وقد قال رسول الإسلام ﷺ لأصحابه: «**لن تؤمنوا حتى ترحموا. قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيم. قال: إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمة العامة**»، [رواه الطبراني وصححه الحافظ في الفتح].

وكما في حديث ابن عمرو: «**الراحمون يرحمهم الرحمٰن تبارك وتعالى ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**» [صححه الألباني].

ومن صفات المؤمنين في القرآن: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ [البلد: ١٧].

٣ ـ الرحمة بالضعفاء والأطفال وسائر المخلوقات:

دخل الأقرع بن حابس على رسول الله ﷺ يوماً وهو يقبل الحسن ويقبل الحسين فقال: والله أنا لي عشرة من الأولاد ما قبلت واحداً منهم فغضب النبي وقال: «**وما أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك، من لا يرحم لا يرحم**» [متفق عليه].

بل كان ﷺ إذا خرج من المسجد فقابله الصبيان وقف يسلم عليهم، فعن جابر بن سمرة يقول جابر: «**صليت مع النبي ﷺ الصلاة الأولى، فخرج إلى أهله فقابله الصبيان، فجعل النبي ﷺ يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً، ثم مسح النبي ﷺ على خدي فوجدت ليده برداً وريحاً كأنه أخرجها من جوْنة عطار**». [«صحيح مسلم»].

وتمتد هذه الرحمة لتشمل البهائم والطير.

والرحمة تتجاوز الإنسان الناطق إلى الحيوان الأعجم؛ فالمؤمن يرحمه ويتقي الله فيه، ويعلم أنه مسؤول أمام ربه عن هذه العجماوات. وقد أعلن النبي ﷺ لأصحابه أن الجنة فتحت أبوابها لبغي سقت كلباً فغفر الله لها، وأن النار فتحت أبوابها لامرأة حبست هرة حتى ماتت، فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض. فإذا كان هذا عقاب من حبس هرة بغير ذنب، فماذا يكون عقاب الذين يحبسون عشرات الألوف من بني الإنسان بغير حق إلا أن يقولوا: ربنا الله.

وقال رجل: يا رسول الله، إني لأرحم الشاة أن أذبحها. فقال: **«إن رحمتها رحمك الله»**، [رواه الحاكم وإسناده صحيح].

وقال رسول الله ﷺ: **«بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له»** قالوا: يا رسول الله! وإن لنا في هذه البهائم لأجراً؟؟! فقال ﷺ: **«في كل كبد رطبة أجر»** [رواه مسلم].

وبلغ من رحمته بالحيوان أنه مر عليه بحمار قد وسم في وجهه (مكويّاً في وجهه) فأنكر ذلك وقال: (لعن الله الذي وسمه) [رواه مسلم].

ورأى عمر رجلاً يسحب شاة من رجلها فقال: ويلك قدها (سقها) إلى الموت قوداً جميلاً.

ويروي المؤرخون أن عمرو بن العاص في فتح مصر نزلت حمامة بفسطاطه (خيمته) فاتخذت من أعلاه عُشّاً، وحين أراد عمرو الرحيل رآها، فلم يشأ أن يهيجها بتقويضه، فتركه وتكاثر العمران من حوله، فكانت مدينة «الفسطاط».

الرحمة مع الأعداء:

هذه الرحمة غلبت على أعمال المسلمين الأولين، حتى مع الأعداء المحاربين، فنجد رسول الله ﷺ يغضب حين مر

في إحدى غزواته، فوجد امرأة مقتولة فقال: ما كانت هذه لتقاتل.

وينهى عن قتل النساء والشيوخ والصبيان، ومن لا مشاركة له في القتال.

ويسير أصحابه على نفس النهج أبراراً رحماء لا فجاراً قساة؛ فهذا أبو بكر يودع جيش أسامة بن زيد ويوصيهم قائلاً: **«لا تقتلوا امرأة ولا شيخاً ولا طفلاً، ولا تعقروا نخلاً، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، وستجدون رجالاً فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما أفرغوا أنفسهم له»**.

ويقول عمر: «اتقوا الله في الفلاحين الذين لا ينصبون لكم الحرب».

ويُحمل إلى أبي بكر رأس مقتول من كبراء الأعداء المحاربين، فيستنكر هذا العمل، ويعلن سخطه عليه ويقول لمن جاءه بالرأس: «لا يُحمل إلي رأس بعد اليوم. فقيل له: إنهم يفعلون بنا ذلك. فقال: فاستِنان (أي: اقتداء) بفارس والروم؟! إنما يكفي الكتاب والخبر.

استحباب التسمية بعبد الرحمٰن:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«أحب الاسماء الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمٰن»** [سنن أبي داود].

طاعة الله ورسوله سبب الرحمة:

إن طاعة الله وطاعة الرسول ﷺ من أسباب الرحمة في الدنيا والآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران: ١٣٢].

وهذه الرحمة ذكرت مطلقة، فهي رحمة في الدنيا والآخرة، فيرحم الله ﷻ من أطاعه وأطاع رسوله ﷺ.

وقد بين لنا الله موجبات رحمته، وعرفنا السبيل إلى استجلابها؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٦].

فأوضح بذلك أن رحمته تبارك وتعالى تكون قريباً من عباده المؤمنين به، الطائعين له.. فهؤلاء يتغمدهم برحمته.. فينجيهم من كروب الدنيا ويبعثهم يوم الفزع الأكبر آمنين.

إن طاعة الله لا تأتي إلا بالخير، ومعصية الله لا تأتي إلا بالشر، ولذلك جعل سبحانه الرحمة مرتبطة بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وجعل الشقاء والضنك لمن أعرض عن ذكره وعن متابعة رسوله ﷺ، قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤].

❁ ❁ ❁



الرب

الرب: هو الذي تألهُهُ القلوب وتحن إليه النفوس وتتطلع إليه الأشواق، وتحب وتأنس بذكره وقربه وتشتاق إليه وتفتقر إليه المخلوقات كلها في كل لحظة وومضة، وخطرة وفكرة في أمورها الخاصة والعامة، والكبيرة والصغيرة، والحاضرة والمستقبلة، فهو مبديها ومعيدها، ومُنْشِئها وباريها وهي تدين له سبحانه وتُقِرُّ، وتفتقر إليه في كل شؤونها وأمورها ما من مخلوق إلا ويشعر بأن الله تعالى طوّقه مِنَناً ونِعماً وأفاض عليه من آلائه وكرمه وإفضاله وإنعامه بالشيء الكثير، فجدير بأن يتوجه قلب الإنسان إلى الله تبارك وتعالى بالحب والتعظيم والحنين.

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

معناه في اللغة: هو السيد والمالك ولا يطلق غير مضاف إلى على الله تعالى.

أما في الاصطلاح: فهو ذو الربوبية على جميع

المخلوقات في ملكيته وتصرفاته ﷻ رب العالمين اسم الرب. . . . من تعريف الناس غايتهم التي من أجلها خلقوا وما ينفعهم وما يضر بهم لأنه الرب سبحانه.

لم يخلقنا سدّاً، إنما خلقنا لعبادة الله وحده لا شريك له، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].

الإقرار بربوبيته يستلزم عبادة الله وحده لا شريك له، وهو مستحق لذلك وحده لأنه الرب الخالق الرازق المحيي المميت ولذا نقول للإنسان المتكبر أو الغافل لعبادته: ما الذي منعك من عبادة رب العالمين. ألا تعلم أنه خلقك ورزقك، وهو الذي يحييك ويميتك، ويبعثك ويحاسبك ويجازيك، إما جنة أو نار، ولذا قف أمامه متذللاً حقيراً محتاجاً إليه، ولبي لأوامره سبحانه، ولا تعصيه، واسأله المغفرة والرحمة، وارجو لقائه مع حسن جزائه، ولا تظن به ظن الجاهلية فإنه ظن خاطئ، وصفه ربك بأنه ظن غير حق وهو ظن الجاهلية. . . فلا تظن بربك ظن سوءٍ؛ لأنه رب العالمين الذي يستحق كل كمال وجمال.

فلا تظنّ بربك ظن سوءٍ   فإن اللّه أولى بالجميل
ولا تظننّ بنفسك قطُّ خيراً   فكيف بظالمٍ جانٍ جهول
وقل: يا نفسُ مأوى كل سوءٍ   أنرجو الخير من ميتٍ بخيل
وظنّ بنفسك السوأى تجدها   كذلك وخيرُها كالمستحيلِ
وما بك مِن تُقَى فيها وحيرٍ   فتلك مواهبُ الربِّ الجليلِ

وليس لها ولا منها لكن من الرحمٰن فاشكرْ للدليلِ

تأملات وإيمانيات في رحاب الكتاب والسُّنَّة:

لفظ الربّ مشتقٌ من التربية، فالله ﷻ مربٍّ ومدبِّر لخلقه.

المربي له صفتان أساسيَّتان: أنَّه مُمِدّ، وأنَّه يرعى.

الذي يمدِّنا بما نحتاج هو ربُّنا، والذي يهدينا إلى صراطه المستقيم هو ربُّنا.

كمثال الأب يوفِّر لأولاده حاجاتهم الماديَّة، طعام، شراب، كِساء، حاجات ثم يربِّيهم بمعنًى آخر يرعى أخلاقهم، يرعى دينهم، يرعى تعليمهم، يرعى مستقبلهم، ففي معنى الربوبيَّة المشتقَّة من التربية معنىً ماديّ ومعنىً روحيّ.

والرب من معانيه أنَّه خالقٌ ورازقٌ، وكلُّ ربٍ سواه غير خالقٍ وغير رازقٍ. الأب يربِّي أولاده لكن لم يخلقهم ولم يرزقهم، فإذا قلنا فلان مُرَبٍّ، والأب مُرَبٍّ، والمعلِّم مُرَبٍّ؛ أي: يقدِّم توجيهات، يتابع، يحاسب، يكافئ، يعاقب أما إذا قلنا: الله ربُّ العالمين؛ أي: خلقنا وأمدَّنا ووجَّهنا.

لذلك أنت في نعم ثلاث.. نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهدى والرشاد، أوجدك ولم تكن شيئاً مِن قبل، وأمدَّك بما تحتاج، ثم هداك إليه.

فهو الذي خلقك ورزقك ودلَّك عليه.. قال الله تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ

يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٧٨ ـ ٨٢].

وكلمة (رب) ذات خصائص جمة أولاً من خصائص التربية العلم والرحمة، ومن خصائص التربية القدرة، يعلم، وهو على كل شيء قدير، وهو رحيمٌ بنا، أما معنى قول الله ﷻ في سورة الفاتحة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾؛ أيْ: أنَّه خالق الأكوان وجميع العوالم التي خلقها؛ فالعلاقة بين خالق الأكوان وبين جميع العوالم التي خلقها ـ الأكوان ـ علاقة تربية؛ أي: خلق وإمداد (فهو الخالق وهو الرازق) وإكرام وعناية.

حقّاً إننا لا نرى كل موجود، ولا نبصر كل كائن، ورب العالمين يقول: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ [الحاقة: ٣٨ ـ ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [الشورى: ٢٩].

وقال: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [النحل: ٤٩].

فهاتين الآيتين تدلان على أن هناك خلقاً لا نراهم ولا نعلم عنهم شيئاً غير الجن والإنس والملائكة، والدليل على ذلك أن لفظة دابة ليس المراد بها الملائكة لأنها جاءت معطوفة

عليها كما في الآية الثانية والعطف يفيد التغاير فمثلاً نقول جاء محمد وأحمد فنحن نخبر عن شخصين متغايرين بخلاف لو قلت جاء محمد أحمد فأنت تخبر عن شخص واحد فالدواب التي تسجد في السمٰوات لا شك أنها غير الملائكة.

ونريد أن نصل بهذا إلى أن الله رب العالمين رب كل شيء نراه أو نؤمن به أو خفي عنا علمه وحقيقته وندرك مدى عظمة الله رب العالمين.

ألا له الخلق والأمر:

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤] فهذه الآية أشارت إلى تعريف الربوبيَّة.

بعض الدول تصنع طائرة وتبيعُها، بعد البيع أمرها بيد من اشتراها، قد يستخدمها لعدوان، أو يستخدمها لنقل، أو يستخدمها في أعمال الاستطلاع، أو يجعلها على أرض المطار ساكنة، أو يخفيها، الذي اشتراها هو الذي يملك أمرها، نحن صنعناها ثم بعناها، لكنَّ الله ﷻ ولله المثل الأعلى أيُّ شيءٍ خلقه بيده، بملكوته.. ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فالمعنى الأول: ﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ أمره بيده، تحت سيطرته، في قبضته.

المعنى الثاني: أنَّ هذا الشيء الذي خُلق لا يصلُح ولا يستقيم أمره إلا إن اتبع أمر الذي خلق.

فأنت بشكل عام والجو برد قارص وابنك الذي تحبه بلا معطف، تذهب وتشتري له معطفاً، هذه تربية خَلْقِيَّة، يحتاج إلى غرفة خاصة، يحتاج إلى مال، يحتاج إلى كتب، يحتاج إلى أقساط، يحتاج إلى أشياء ثانوية.. فتعطيه إياها هذه كلها تربيةٌ خَلقِية.. لكن أحياناً رأيته يكذب فتؤدبه، رأيته لا يصلي فتأمره بصلاة، رأيته يلهو بأشياء سخيفة تنهاه عنها، أنت الآن عملك شرعي.

يوجد تربية خَلقِية وتربية شرعية، فربنا ﷻ يربي أجسامنا بإمدادها بما تحتاج، ويربي نفوسنا بتزكيتها لتكون أهلاً لجنَّته، فتربية الله تربيتان، لذلك ليس لغير ربِّ الناس جهةٌ يمكن أن تشرِّع للعبادة أبداً، العبادة لربِّ العالمين.

معنى الربانية:

الرباني هو المنسوب إلى الرب وزيدت الألف والنون للمبالغة، ويقال عالمٌ ربَّانيٌّ؛ أي: راسخٌ في العلم وكما يقول علي رضي الله عنه: الناس ثلاث.. عالمٌ ربَّانيّ، ومستمعٌ على سبيل نجاة، وهمجٌ رَعاع أتباع كلِّ ناعق، لم يستضيؤوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركنٍ وثيق.

ورجل ربَّانيٍّ: أيْ: كلُّ حياته محصورةٌ في معرفة الله وذكره وخدمة عباده.

هو القريب من الرب وأكثر الناس ربانية أقربهم من الله ﷻ.

فالربَّاني هو الذي لا يتحرَّك إلا وفق منهج الله، لا يقف موقفاً، ولا يُعطي، ولا يمنع، ولا يغضب، ولا يرضى، ولا يصل، ولا يقطع، إلا وفق مرضاة الله.

فكلما تخلص الإنسان من جواذب الأرض بروحه وارتفع قلبه إلى السماء وازدادت صلته بالله كان ربانيّاً.

وفي هذا المعنى يقول عبد القادر الجيلاني: العبد ملقى بين الله وبين نفسه إن نصر نفسه كان عبداً لها وإن نصر الله كان عبداً له.

لماذا نتخذ الوسائط بيننا وبين الله:

أتساءل دائماً لماذا نفرغ عبادة الدعاء من روحها، ولماذا لا ندعو الله مباشرة بلا وسائط، لقد اختلف العلماء قديماً وحديثاً في قضية التوسل لكنهم اتفقوا جميعاً على أن المسلم لا يحتاج إلى واسطة للدخول على الله فلماذا لا أقصد الباب مباشرة وأدعو دعاء خالصاً لله؟!!

ويذكر أن بعضهم أرسل إليه رسالة وكان مما قاله فيها: جمهور الناس عصاة والله إنما يتقبل من المتقين فلو ذهب إنسان وهو مثقل بالسيئات لن يجبه الله!!!

فقال له: إن الله قد استجاب لإبليس لما قال (أنظرني إلى يوم يبعثون) واستجاب للمشركين لما كانوا في البحر ولعبت بهم الأمواج وظنوا أنهم أحيط بهم فدعوا الله مخلصين له الدين فأنجاهم الله منها ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يونس: ٢٢].

فإذا استجاب الله لإبليس وللمشركين أفلا يستجيب لك؟!!

ثمار الإيمان بهذا الاسم:

١ ـ الاعتقاد بأن الله هو الفاعل لكل شيء في الكون.

٢ ـ طمأنينة القلب وسكينته في الرضا بالقضاء والقدر، فكل ما يحدث في الكون بإرادة الله ووفق تدبيره.

٣ ـ الربانية وهي أن تكون الحياة كلها لله في التصورات والأقوال والأفعال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

۞ ۞ ۞



الكبير العظيم

هو: **الكبير العظيم** الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو سبحانه أكبر من كل شيء.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ [لقمان: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ [الحاقة: ٥٢].

والله تعالى عظيم كبير في كل شيء، وآياته عظيمة، وعظيم في ذاته وفي أسمائه وصفاته وفي رحمته وقدرته وحكمه، وعظيم في جبروته وكبريائه وهبته وعطائه وعزته وجلاله، فهو العظيم المطلق ولا أحد يساويه ولا يدانيه.

وصف عرشه ﷻ بالعظيم كما في قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة: ١٢٩].

ووصف فضله على عباده الصالحين بالعظيم، فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة: ١٠٥].

ووصف خزيه للمجرمين كذلك بالعظيم، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٣﴾ [التوبة: ٦٣].

من تعظيم الله ﷻ أنه لا أحد يستحق التعظيم والتكبير والإجلال والتمجيد والطاعة المطلقة إلا هو سبحانه.

ويعظموه في قلوبهم وألسنتهم وأعمالهم ويبذلوا كل البذل في معرفته حق المعرفة ومحبته حق المحبة، والذل له والخوف منه وحده سبحانه.

ومن تعظيمه سبحانه أن يعبدوه وحده ولا يعصى، ويذكر ولا ينسى، ويشكر ولا يكفر، ومن تعظيمه ﷻ أن يسلم لجميع شؤونه وأموره ولا يعترض عليه في شيء من شؤونه.

ومن تعظيمه ﷻ تعظيم ما عظمه. ومن تعظيمه سبحانه الابتداء في الصلاة بـ الله أكبر، ولا شيء أكبر وأعظم منه. فالكبرياء يمثل التعظيم لأنه يزيد عليها في المعنى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: في قوله: «الله أكبر» إثبات عظمته فإن الكبرياء يتضمن العظمة ولكن الكبرياء أكمل.

ولهذا جاءت الألفاظ المشروعة في الصلاة والأذان بقول: «الله أكبر» فإن ذلك أكمل من قول الله أعظم، كما ثبت في الصحيح: عن النبي ﷺ أنه قال: **«يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار»**

[رواه أبو داود وهو حديث صحيح] فجعل العظمة كالإزار، والكبرياء كالرداء، ومعلوم أن الرداء أشرف، فلما كان التكبير أبلغ من التعظيم صرح بلفظه، وتضمن ذلك التعظيم»[١].

ما ينبغي أن تعلمه جيد هو اعتقاد وإيمان أن الله ﷻ أكبر من كل شيء.

ويلزم الإقرار بكل يقين ويقيناً أن كبرياء الرب وعظمته وجلاله وجماله وجميع أوصافه أمر لا يمكن أن تحيط به العقول أو تتصوره الأفهام أو تدركه الأبصار والأفكار فالله سبحانه أكبر وأعظم من كل ذلك.

عن علي رضي الله عنه، قال: قال لي النَّبِيُّ ﷺ: **«ألا أُعلِّمُك كلماتٍ إذا قلتهن غفر لك، مع أنّه مغفورٌ لك: لا إله إلّا الله الحليم الكريم، لا إله إلّا الله العلي العظيم، سبحان الله رب السماوات السبع، ورب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين»**[٢].

---

(١) [«مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٥٣)].

(٢) أخرجه أحمد (٧١٢) حديث حسن، وأخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٢٦٩)، وعبد بن حميد (٧٤)، وابن أبي عاصم (١٣١٦)، والنسائي في «الكبرى» (٧٦٧٨)، و«عمل اليوم والليلة» (٦٣٨)، و«خصائص علي» (٢٥) وأخرجه ابن أبي عاصم (١٣١٥)، والبزار (٧٠٥)، والنسائي في «الخصائص» (٢٦)، وابن حبان (٦٩٢٨)، والطبراني في «الصغير» (٣٥٠)، والدارقطني في «العلل» (٤/ ١٠). انظر: «صحيح موارد الظمآن» (١٨٥٢)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ الرِّيَاحِيِّ، عَنِ ابْنِ عَمِّ نَبِيِّكُمْ؛ يَعْنِي: ابْنَ عَبَّاسٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ، كَانَ يَدْعُو بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ عِنْدَ الْكَرْبِ: **«لا إله إلا الله العليم العظيم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات السبع ورب العرش الكريم»**[١].

وَعَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رُمِيَ بِنَجْمٍ[٢] فَاسْتَنَارَ[٣] فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثلِ هذا؟»**، قُلْنَا: كُنَّا نَقُولُ: وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«فإنها لا يرمى بها لموت أحدٍ ولا لحياته، ولكن الله تبارك وتعالى إذا قضى أمراً سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح[٤] أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟، فيخبرونهم ماذا قال، قال الله:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ: ٢٣] قال: **فيستخبر بعض أهل السماوات بعضاً**

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٩٧)، (٢٠١٢). حديث إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأخرجه أبو يعلى (٢٥٤١).

(٢) (رُمِيَ بِنَجْمٍ)؛ أَيْ: قُذِفَ بِهِ، وَالْمَعْنَى: اِنْقَضَّ كَوْكَبٌ. «تحفة» (٨/ ٦٨).

(٣) أَيْ: فَاسْتَنَارَ الْجَوُّ بِهِ. «تحفة الأحوذي» (٨/ ٦٨).

(٤) أَيْ: صَوْتُهُ. «تحفة الأحوذي» (٨/ ٦٨).

حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا، فتختطف الشياطين السمع فيقذفونه[١] إلى أوليائهم[٢] ويرمون به[٣] فما جاءوا به[٤] على وجهه[٥] فهو حقٌّ[٦][٧] ولكنهم يحرفونه ويزيدون[٨]»[٩].



(١) أَيْ: مَا سَمِعُوهُ مِنْ الْمَلَائِكَةِ. «تحفة الأحوذي» (٨/ ٦٨).
(٢) مِنْ الْكَهَنَةِ وَالْمُنَجِّمِينَ. «تحفة الأحوذي» (٨/ ٦٨).
(٣) أَيْ: يُقْذَفُونَ بِالشُّهُبِ. «تحفة الأحوذي» (٨/ ٦٨).
(٤) أَيْ: أَوْلِيَاؤُهُمْ. «تحفة الأحوذي» (٨/ ٦٨).
(٥) أَيْ: مِنْ غَيْرِ تَصَرُّفٍ فِيهِ. «تحفة الأحوذي» (٨/ ٦٨).
(٦) أَيْ: كَائِنٌ وَاقِعٌ. «تحفة الأحوذي» (٨/ ٦٨).
(٧) (م) ٢٢٢٩، (ت) ٣٢٢٤.
(٨) أَيْ: يَزِيدُونَ فِيهِ دَائِماً كِذْبَاتٍ أُخَرَ مُنْضَمَّةً إِلَيْهِ. «تحفة الأحوذي» (٨/ ٦٨).
(٩) أخرجه الترمذي (٣٢٢٤)، (ومسلم) (٢٢٢٩).



الخالق

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يُريد وعدلوا بي من خلقي الحجارة والأصنام، بعد أن أقروا بنعمتي وربوبيتي».

فمعناه أنه المبدع للخلق المخترع له على غير مثال سابق.

إيمانك بالخالق يستلزم الإيمان بوحدانيته وألوهيته وإفراده بالعبادة والإيمان بالخالق يغرس المحبة الكاملة له والإيمان به يستلزم إثبات صفات الحياة والقدرة والعلم والإرادة والحكمة وما يستلزم قبول سرعة والحكم به كما يقتضي إجلاله واعترافه اللازم ببراءته من جميع النقائص والقبائح، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

بناءً على هذه اللوازم يجب عليك يا ابن آدم إظهار ذلك

في أعمالك وتصرفاتك؛ لأنك قد عرفت أن الله خلقك، وأنت تضيع عبادته سبحانه فتصير عبداً حقيقيّاً لله تعالى، وهي قمة العز والسعادة أن تكون عبداً، لذلك وصف الله نبيه في رحلة الإسراء والمعراج بقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ﴾ [الإسراء: ١].

كيف عرفت أن الله خلقك وأنت تعصيه ليلاً ونهاراً سرّاً وجهراً، وكيف عرفت أن الله خلقك وأنت تقضي أطول الأوقات في اللهو واللغو واللعب بلا طائل، والعبث فيما لا نفع لك، لا في دنياك ولا في آخرتك.

ولذا نقول: يا أيها العبد الفقير الذليل إلى ربه: اعرف أن الذي خلقك هو الله ﷻ ولذلك وقف عند حدوده ولا تعتدِ لتفلح. ولا تغفل عنه فتهلك، ولا تضيعها وتضيع نفسك؛ لأنك مكلف لعبادته وحده وعدم مخالفة أمره.

الخلق: ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه.

ويرد في لغة العرب بمعنى صناعة الشيء؛ فالإنسان قد يشكل الجلد ويصنع منه حذاءاً مثلاً، فيصح أن يقال أنه خلق الحذاء؛ أي: صنعه، وهذا لا يعني أنه يوجد من يخلق من العدم غير الله إنما المقصود في الخلق بتغيير خصائص المادة وتحويلها وتشكيلها، هذا في لغة العرب يسمى خلق أيضاً.

يقول مجاهد في قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٤].

يصنعون ويصنع الله، والله خير الصانعين.

إذن فالله يخلق من العدم بخلاف الإنسان فهو يصنع شيئاً من جملة أشياء موجودة فهو تبارك وتعالى يخلق الشيء دون أن يكون له سابقة وجود على الإطلاق، ولقد أكد ﷻ على مسألة الخلق من العدم المطلق في العديد من الآيات القرآنية منها قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۝٩﴾ [مريم: ٩].

وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان: ١]؛ أي: أن الإنسان لم يكن له وجود قبل أن يخلقه الله ﷻ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾ [يونس: ٤].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [يونس: ٣٤].

وقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٠٤﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]، والإفك هو الكذب والمقصود: اختلاقه واختراعه وتقديره في النفس.

والخلاق: الحظ والنصيب كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۝٢٠٠﴾ [البقرة: ٢٠٠]؛ أي: حظ ونصيب.

وروده في القرآن:

ورد مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤].

وقد ورد الاسم مضافاً في عدة مواضع:

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

و﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢].

و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر: ٣].

و﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾ [ص: ٧١].

و﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦].

و﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [غافر: ٦٢].

والخالق في أسماء الله تعالى هو الذي أوْجد جميعَ الأشياء بعد أن لم تكنْ مَوْجُودة، وقدر أمورها في الأزل بعد أن كانت معدومة، ويكون معنى الخالق أيضاً هو الذي ركب الأشياء تركيباً، ورتبها بقدرته ترتيباً.

وعلى هذا التعريف فإن اسم (**الخالق**) مرد معناه إلى

أمرين إما من التقدير وهو العلم السابق، أو القدرة على الإيجاد والتصنيع والتكوين.

فمن الأدلة على معنى الإنشاء والإبداع وإيجاد الأشياء من العدم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر: ٣].

ومن الأدلة على معنى التركيب والترتيب الذي يدل عليه اسمه الخالق قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٤].

الله ﷻ خلق الكون كله من العدم، وكل شيء عدا الله ﷻ مخلوق له خاضع لأمره، وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢].

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦].

ولا يقدر أحد غير الله أن يخلق كائناً حيّاً يدرك ذاته ويدرك الكون المحيط به ويدرك خالقه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: ٧٣].

ومن معجزات الخلق أيضاً أن أمره بعد الكاف والنون؛ فالحق ﷻ إذا أراد أن يخلق شيئاً فإنما يقول له: ﴿كُن فَيَكُونُ ۝﴾ دون أدنى جهد أو إعياء؛ وفي ذلك يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران: ٥٩].

وحينما ادعى اليهود أن الله استراح بعد أن خلق الخليقة رد عليهم الحق ﷻ بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨﴾ [ق: ٣٨].

والخلق الإلٰهي ليس خلقاً عشوائيّاً.. بل هو خلق محكم مبنى على علم إلٰهي مطلق، فإذا تأملت الكون وما به من تكامل وتناسق بين المخلوقات علمت مدى القدرة الإلٰهية على الخلق والإبداع.

انظر إلى أي مخلوق من مخلوقات الله ﷻ على حدة.. يهيأ لك أنه كائن مستقل بذاته منفصل عما حوله، ولكن دقق النظر تجد أن هذا المخلوق ليس مستقلّاً بذاته منفصلاً عن الكون بل هو جزء من كل.

ومن الطريف أن أحد الملحدين قال يوماً: أنا أخلق! فقيل له: أرنا خلقك؟ فأخذ لحماً فشرحه، ثم جعله في إناء وأغلقه.. وبعد ثلاثة أيام فتح الإناء فإذا هو ملآن بالدود، فقال: هذا خلقي!!.

فقال له بعض الحضور: أنت خلقت هذا؟

فأجاب بزهو وغرور: نعم.

قال فكم عدده؟ فلم يجب، فقال: كم منه ذكور وكم منه إناث، وهل تقوم برزقه؟ فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين، فقال له: الخالق الذي أحصى كل ما خلق عدداً، وعرف الذكر من الأنثى، ورزق ما خلق، وعلم مدة بقاءه وعلم نفاذ عمره.

ثمرات الإيمان بهذا الاسم:

١ ـ الله خالق كل شيء وكل ما سوى الله مخلوق.

٢ ـ أن الله لم يزل خالقاً كيف شاء ومتى شاء ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] بمعنى أن الله اتصف بالخلق قبل أن يخلقنا جميعاً، وليس بعد خلق الخلق استفاد صفة الخلق واسم الخالق.

٣ ـ خلق الله كل شيء من العدم، وخلقه سبحانه عظيم محكم فلا يتهيأ لمخلوق أن يخلق مثله سبحانه: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١].

٤ ـ لكل خلق هدف وغاية فلا بد أن يدرك الإنسان الغاية من خلقه، ويقصد خالقه وحده بالعبادة قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

٥ ـ وحدة الخلق تدل على وحدانية الخالق: فلو فرضنا

أن هناك آلهة غير الله أليس من العقلي أن يكون لها مخلوقات تختلف عن ما خلق الله كعباد البقر الهنود مثلاً أو عبدة الأوثان..... ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٠] لكن علم الطب في العالم كله واحد لأن بنية الإنسان واحدة وإن اختلف دينه أو عرقه أو جنسه، ومثل هذا يقال عن بقية الكائنات الطيور الوحوش البهائم....... وحدة خلقها تدل على وحدانية الخالق: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦].

معجزة خلق الإنسان.. ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١].

جاءت الآيات القرآنية لتتحدث عن معجزات الله في الكون من خلق السموات والأرض، والإنسان والحيوان والنبات، الشمس والقمر والنجوم.... إلخ.

وكان الإنسان أعظم خلق الله الذي دل على قدرة الله ﷻ وعظمته.





الكريم

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦﴾ [الانفطار: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ۝٤٠﴾ [النمل: ٤٠].

الكريم هو: الكثير الخير الدائم الذي يعمل من غير حساب الكرم لفظ جامع لجميع المحاسن والفضائل.

الإيمان باسم الله الكريم يستلزم قريب محبته في القلوب وتحقيق إثبات هذه المحبة في القلب، شكر الله على اللسان والجوارح، والإيمان به يستلزم حيائه وخوفه والرجوع إليه في كل الحاجيات والاستعاذات فيما خص نفسه بها.

ومن كمال الإيمان باسم الله الكريم التحلي بلوازمه على العبد كأن تكون كريماً في خلقك، كريماً في معاملاتك مع الناس وأن تكون كريماً في العطاء؛ أي: أن تكون... سخيّاً صاحب عطاءٌ غزير لأن الله كريم يحب عباده الكرماء. وعلى هذا نوجه رسالة للعبد البخيل الشحيح ـ يا أيها البخيل انظر في نفسك وحولك ما أكرمك الله من نعماء، وفضائل؛ ولما إذن تبخل على عباد الله من الفقراء والمساكين والغارمين، ألا تريد

أن يزيدك ربك من نعمه وكرمه، فعلى قدر كرمكَ لعباد الله، يزيد الله لك من كرمه وفضله، ولذا جاهد نفسك أيها الفقير إلى الله التي تأمرك بالبخل، وقد أتيت للدنيا.... ليس لك من حطام الدنيا شيء، وأكرمك ربك بصفات حميدة وفضائل جسيمة.

يا أنت الذي يأتيك عباد الله المحتاجين وتردهم مدعياً الفقر رغم عطاء الكريم عليك، اتقي الله في أقوالك وأفعالك.

الكريم أعطاك ليريحك من ذل الطلب من الغير وينتظر منك كرمك إلى عباده من الفقراء والمساكين، ألا تخشى سحب كرم الله عليك بسبب بخلك على عباده، وكم كانوا أصحاب أموال و.... وانتهوا فقراء؛ بسبب بخلهم على عباد الله. وعلى هذا نقول لك اتقي الله في عباد الله، وكن كريماً لتفلح في الدنيا والآخرة.

الكريم: صفة مشبهة للموصوف بالكرم، والكرَم نقيض اللؤم.

والكريم: الصفوح كثير الصفح.

وقيل لشجرة العنب: كَرمَةٌ بمعنى كريمة؛ لأنها فاكهة كثيرة الخير، ظل ظليل، وثمار يانعة وقطوف دانية، وغذاء جيد وفاكهة محببة.

والكريم هو الشيء الذي تكثر منافعه، ومن ذلك قولنا قرآن كريم.

وإذا قلنا مكارم الأخلاق؛ يعني: أفضلها وأحسنها.

ورد اسم الله تعالى الكريم ثلاث مرات، في قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٦].

وقـــول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾ [الانفطار: ٦]. وقوله تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: ٤٠].

وورد اسمه تعالى الأكرم في قوله: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ [العلق: ٣].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وقال أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يده**» [متفق عليه].

وقوله: «**ملأى**» تأنيث ملآن والمراد منه لازمه وهو أنه في غاية الغنى وعنده من الرزق ما لا نهاية له في علم الخلائق.

وقوله: «**لا يغيضها**» لا ينقصها، يقال: غاض الماء يغيض إذا نقص.

قوله: «**سحاء**» دائمة الصب.

قوله: «**أرأيتم ما أنفق**» تنبيه على وضوح ذلك لمن له بصيرة.

قوله: «**فإنه لم يغض**»؛ أي: ينقص.

كأنه لما قال ملأى أوهم جواز النقصان فأزيل بقوله لا يغيضها شيء، وقد يمتلئ الشيء ولا يغيض، فقيل سحاء إشارة إلى الغيض، وقرنه بما يدل على الاستمرار من ذكر الليل والنهار، ثم أتبعه بما يدل على أن ذلك ظاهر غير خاف على ذي بصر وبصيرة بعد أن اشتمل من ذكر الليل والنهار بقوله أرأيتم على تطاول المدة.

ومن شواهد كرمه قبوله العمل من عبده المخلص له على يسره وقلته وينميه له ويشكره عليه:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**من تصدق بعدل تمرةٍ من كسبٍ طيبٍ ولا يقبل الله إلا الطيب وإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل**» [متفق عليه].

والحسنة تكتب عشراً ويضاعفها لمن يشاء إلى سبعمائة ضعف فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لك بها يوم القيامة سبع مائة ناقةٍ كلها مخطومةٌ**») [رواه مسلم].

ويعطي من يخصهم بفضله إلى ما لا نهاية فيزيدهم على

السبعمائة مع ما يكرمهم به من سعة أرزاقهم، وانشراح صدورهم، وطيب عيشهم، فإذا كان هذا عطاؤه في الدنيا فكيف سيكون عطاؤه لأوليائه في دار كرامته قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [غافر: ٤٠].

قال ابن القيم: «فالله سبحانه غني حميد كريم رحيم، فهو محسن إلى عبده مع غناه عنه يريد به الخير ويكشف عنه الضر، لا لجلب منفعة إليه سبحانه ولا لدفع مضرة؛ بل رحمة وإحساناً وجوداً محضاً؛ فإنه رحيم لذاته محسن لذاته جواد لذاته كريم لذاته؛ كما أنه غني لذاته قادر لذاته حي لذاته؛ فإحسانه وجوده وبره ورحمته من لوازم ذاته لا يكون إلا كذلك، كما أن قدرته وغناه من لوازم ذاته فلا يكون إلا كذلك، وأما العباد فلا يتصور أن يحسنوا إلا لحظوظهم» [«طريق الهجرتين» (١٠٥)].

في الحديث: «**إني لأعلم آخر رجلٍ يخرج من النار يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه؛ ويخبأ عنه كبارها، فيقال: عملت يوم كذا كذا وكذا، وهو مقر لا ينكر، وهو مشفق من كبارها فيقال: أعطوه مكان كل سيئةٍ حسنةً.**

فيقولُ: إنَّ لي ذنوباً ما أَرَاها ههنا؟؟؟

قالَ أبو ذرٍّ: فلقدْ رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حتى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ» [«السلسلة الصحيحة» للألباني].

فيوم القيامة تعرض علينا صغار أعمالنا فنستحي من الله أن يسألنا.. أنت فعلت هذا الذنب... فيسكت العبد.. فيقول الله تعالى: أعطوه مكان كل سيئة حسنة..... لأنه تاب في الدنيا، فيتذكر العبد الذنوب الكبار فيقولُ: إنَّ لي ذنوباً ما أَرَاها ههنا يريد أن تتبدل السيئات حسنات.

الكريم بمعنى الحيي:

في الحديث: «**إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين**» [صححه الألباني في «سنن الترمذي»].

واذا اقترن الحيي والكريم معاً يصبح المعنى: الذي يستر العيب ويظهر الجميل.

كيف سُمعتك (بضم السين) عند الناس ما هي السيرة الذاتية لك؟

الذي يكتب لك الذكر الحسن في نفوس الناس هو الله ﷻ، الذي يجعل الناس تبتسم لك عندما تقابلك هو الله.... الله هو الذي يجعل صدور الناس تنشرح لك... فهو الذي يظهر الجميل ويستر القبيح سبحانه.

وصدق القائل:

أنت الذي أطعمتني وسقيتني   من غير كسب يد ولا دكان

وجبرتني وسترتني ونصرتني	وغمرتني بالفضل والإحسان
أنت الذي آويتني وحبوتني	وهديتني من حيرة الخذلان
وزرعت لي بين القلوب مودة	والعطف منك برحمة وحنان
ونشرت لي في العالمين محاسناً	وسترت عن أبصارهم عصياني
وجعلت ذكري في البرية شائعاً	حتى جعلت جميعهم إخواني
واللّه لو علموا قبيح سريرتي	لأبي السلام علي من يلقاني
ولأعرضوا عني وملوا صحبتي	ولبؤت بعد كرامة بهوان
لكن سترت معايبي ومثالبي	وحلمت عن سقطي وعن طغياني
فلك المحامد والمدائح كلها	بخواطري وجوارحي ولساني

ثمار الإيمان بالاسم الجليل:

أولاً: أن يقابل العبد كرم الله بشكره وطاعته والتذلل له:

وهذا والله ليس بالأمر الهين ولا يوفق الله إليه إلا القلة الذين قال الله فيهم: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣].

أما عامة الخلق فأعرضوا وتناسوا المنعم الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر: ٦١].

ثانياً: الحذر الشديد أن يكون كرمه سبحانه على عبد من عباده سبب لمعصيته له:

فلا يعصيه بنعمه ولا يغتر بإكرام الله له بالنعمة قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ [العلق: ٦].

فتأمل كيف جاء هذا الاسم لله في هذا الموضع!!!

قال ابن كثير: «لأنه إنما أتى باسمه الكريم لينبه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور مع أنه قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلقه على شكل حسن مستقيم معتدل تام حسن المنظر والهيئة» [«تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٨٢)].

وقال ابن القيم: «غره بربه الغرور (بفتح الغين) وهو الشيطان ونفسه الأمارة بالسوء وجهله وهواه، وأتي سبحانه بلفظ الكريم وهو السيد العظيم المطاع الذي لا ينبغي الاغترار به ولا إهمال حقه فوضع هذا المغتر الغرور في غير موضعه واغتر بمن لا ينبغي الاغترار به» [«الجواب الكافي» (ص١٣)].





الطيب

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]. ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك. [رواه مسلم (٢٠١٥)].

ورد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يا أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال:** ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١)﴾ [المؤمنون: ٥١]».

معناه: أن الله تعالى مقدّس ومنزه عن النقائص والعيوب بجميع أنواعها لأن المعنى العام لاسم الطيب هو الطهارة من الخبث ـ أين قيل هذا طيب ـ معناه ليس بخبيث وفي حق الله جل شأنه أولى وأجل بكماله وحسنه التكرم سبحانه وتعالى عن كل قبيح، فهو طيب في أفعاله وصفاته وأسمائه ولا يجوز إطلاق لفظ الخبث في شيء من أحواله سبحانه.

وعلى هذا يجب على المؤمن الاعتقاد الكامل بالطيبة لله في كل شيء كما يجب عليه الالتزام بالطيابة في أموره كلها ولا يجوز له الكلام إلا الكلام الطيب.

وقد جاء في الحديث: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»** [رواه أحمد وإسناده صحيح]. ولا يجوز القيام بأي فعل إلا الفعل الطيب ويجب عليه أن يعامل إخوانه بالطيّب ويكون طيب في قلبه، طيب في أقواله وأفعاله، طيب في معاملاته، طيب في الأخلاق، ولا يأكل ولا يشرب إلا من كسب طيب ولا ينفق في سبيل الله إلا ما هو طيب، وقد جاء في الحديث: **«إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً»** [رواه مسلم].

وعلى هذا احرص أيها المؤمن أن تكون طيباً تبعاً لأمر خالقك الطيب والله يوفقنا أن نكون طيبين في الأمور كلها.

إِنَّ اسْمَ الطَّيِّبِ لَهُ وَقْعٌ عَظِيمٌ فِي النُّفُوسِ تَرْتَاحُ لَهُ الْقُلُوبُ، لَهُ وَقْعٌ فِي اللِّسَانِ، وَأَثَرٌ فِي الْجَنَانِ، تَسْكُنُ بِهِ الْأَرْكَانُ، حَوَى جَمَالَ الْوَصْفِ وَجَمَالَ الْمَعْنَى؛ فَاللهُ تَعَالَى هُوَ الطَّيِّبُ الَّذِي لَا أَطْيَبَ مِنْهُ، الْمُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ، الْمُقَدَّسُ عَنْ كُلِّ الْآفَاتِ؛ فَكُلُّ وَصْفٍ خَالٍ مِنَ الْكَمَالِ لَا يُوصَفُ بِهِ اللهُ.

إِنَّ أَعْظَمَ وَأَطْيَبَ مَنْ يُثْنَى عَلَيْهِ اللهُ، وَلِمَ لَا، وَهُوَ الطَّيِّبُ فِي ذَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ؟ وَهُوَ الطَّيِّبُ الْمُنَزَّهُ عَنِ الشَّرِّ وَعَنِ الظُّلْمِ؛ فَهُوَ ﷻ طَيِّبٌ وَأَفْعَالُهُ طَيِّبَةٌ وَصِفَاتُهُ أَطْيَبُ الصِّفَاتِ، وَأَسْمَاؤُهُ أَطْيَبُ الْأَسْمَاءِ.

وَاسْمُهُ الطَّيِّبُ وَلَا يَصْدُرُ عَنْهُ إِلَّا طَيِّبٌ، وَفِعْلُهُ طَيِّبٌ، وَلَا يَقْرَبُ مِنْهُ إِلَّا طَيِّبٌ؛ فَاللهُ طَيِّبٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ فَمَا طَابَ شَيْءٌ قَطُّ إِلَّا بِطِيبَتِهِ سُبْحَانَهُ فَطِيبُ كُلُّ مَا سِوَاهُ مِنْ آثَارِ طِيبَتِهِ؛ فَلَا يَعْمَلُ الْمَرْءُ

الْمُؤْمِنُ إِلَّا صَالِحاً وَلَا يَقُولُ إِلَّا طَيِّباً، وَلَا يَكْتَسِبُ إِلَّا طَيِّباً وَلَا يُنْفِقُ إِلَّا طَيِّباً؛ فَاللهُ طَيِّبٌ وَدِينُهُ هُوَ الطَّيِّبُ، وَأَحْكَامُ شَرْعِهِ وَآدَابِهِ وَعَقَائِدِهِ هِيَ الْعَقَائِدُ الطَّيِّبَةُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي تَطِيبُ بِهَا النُّفُوسُ، وَتَطْمَئِنُّ لَهَا الْقُلُوبُ، وَإِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ، وَالْعَمَلُ الطَّيِّبُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وَالْعَمَلُ الطَّيِّبُ يَعْرُجُ إِلَيْهِ، قَالَ ﷺ: **«وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»**؛ [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

وَإِلَيْهِ يَصْعَدُ كُلُّ قَوْلٍ طَيِّبٍ   وَإِلَيْهِ يُرْفَعُ سَعْيُ ذِي الشُّكْرَانِ

فَالطَّيِّبَاتُ كُلُّهَا لَهُ وَمُضَافَةٌ إِلَيْهِ، وَصَادِرَةٌ عَنْهُ، وَمُنْتَهِيَةٌ إِلَيْهِ؛ فَالطَّيِّبَاتُ لَهُ؛ وَصْفاً وَفِعْلاً وَقَوْلاً وَنِسْبَةً، وَكُلُّ طَيِّبٍ مُضَافٌ إِلَيْهِ، وَكُلُّ مُضَافٍ إِلَيْهِ طَيِّبٌ؛ فَاللهُ ﷻ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً، وَقَالَ ﷺ: **«إن أول ما ينبت من الإنسان بطنه، فمن استطاع أن لا يأكل إلا طيباً فليفعل»**؛ [رواه البخاري].

وَأَمَرَ اللهُ عِبَادَهُ أَنْ يُنْفِقُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ قَالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٦٧]، وَقَالَ ﷺ: **«من تصدق بعدل تمرةٍ من كسبٍ طيبٍ ولا يقبل الله إلا طيباً فإن الله يقبلها بيمينه، أي: ملتبسةً بيمينه وبركته ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه بفتحٍ فضم فتشديد: مهره أول ما يولد حتى تكون كالجبال مثل الجبل وفي رواية كما يربي أحدكم مهره حتى إن اللقمة لتصير مثل أحدٍ»**. [رواه البخاري].

وَمِنْ طِيبِهِ ﷺ أَنَّهُ جَعَلَ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِالطَّيِّبِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، قَالَ ـ جَلَّ فِي عُلَاهُ ـ: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النور: ٢٦]. جَاءَ فِي تَفْسِيرِهَا: الْخَبِيثَاتُ مِنَ الْقَوْلِ لِلْخَبِيثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالْخَبِيثُونَ مِنَ الرِّجَالِ لِلْخَبِيثَاتِ مِنَ الْقَوْلِ. وَالطَّيِّبَاتُ مِنَ الْقَوْلِ، لِلطَّيِّبِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالطَّيِّبُونَ مِنَ الرِّجَالِ لِلطَّيِّبَاتِ مِنَ الْقَوْلِ.

وَأَهْلُ الْإِيمَانِ هَدَاهُمُ اللهُ إِلَى الْكَلِمِ الطَّيِّبِ، قَالَ تعالى: ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحج: ٢٤] قِيلَ فِي مَعْنَاهَا: أَيِ الْقُرْآنِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهِ وَبَقِيَّةِ الْأَذْكَارِ الْمَشْرُوعَةِ؛ فَاللهُ هُوَ الطَّيِّبُ، وَكَلَامُهُ طَيِّبٌ، قَالَ ﷺ: «**أربع من أطيب الكلام، وهن من القرآن، لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»؛ [رواه أحمد بسندٍ صحيحٍ].

وَمِنْ أَلْفَاظِ التَّحِيَّاتِ: التَّحِيَّاتُ الَّتِي تُقَالُ فِي الصَّلَاةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «**التحيات لله والصلوات والطيبات**» إلى آخر الحديث [رواه مسلم].

ومن هنا فأسماء الله الحسنى وصفاته العلا دالة على ما يفعله ويقوله، فإنه ـ سبحانه ـ يفعل ويقول ما هو موجب كماله وعظمته، ولا يفعل ولا يقول ما يناقض ذلك.

وينتظم تقرير هذا المعنى والدلالة عليه من اسمه الطيب قول المصلى في التشهد: (والطيبات)؛ أي: لله ﷻ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكذلك قوله: (الطيبات) فهي صفة الموصوف المحذوف؛ أي: الطيبات من الكلمات والأفعال والصفات والأسماء لله وحده، فهو طيب وأفعاله طيبة وصفاته أطيب شيء، وأسمائه أطيب الأسماء، واسمه الطيب، لا يصدر عنه إلا طيب، ولا يصعد إليه إلا طيب، ولا يقرب منه إلا طيب، فكلمه طيب، وإليه يصعد الكلم الطيب، وفعله طيب، والعمل الطيب يعرج إليه.

فالطيبات كلها له، ومضافة إليه وصادرة عنه ومنتهية إليه، وفي حديث رقية المريض الذي رواه أبو داود وغيره: «أنت رب الطيبين».

ولا يجاوره من عباده إلا الطيبون كما يقال لأهل الجنة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۝٧٣﴾ [الزمر: ٧٣].

وقد حكم ـ سبحانه ـ في شرعه وقدره أن الطيبات للطيبين، فإذا كان هو ـ سبحانه ـ الطيب على الإطلاق؛ فالكلمات الطيبات، والأفعال الطيبات، والصفات الطيبات، والأسماء الطيبات كلها له ـ سبحانه ـ لا يستحقها أحد سواه؛ بل ما طاب شيء قط إلا بطيبته ـ سبحانه ـ، فطيب كل ما سواه من آثار طيبته، ولا تصلح هذه التحية الطيبة إلا له». انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقوله ﷺ في الحديث المتقدم: «**إن الله طيب لا يقل إلا طيباً**» يدل على أن الله ـ سبحانه ـ لا يقبل من الأعمال والأقوال إلا ما كان موصوفاً بالطيب، وهو عام في جميع الأقوال، فلا يعمل المرء المؤمن إلا صالحاً، ولا يقول إلا

طيباً، ولا يكتسب إلا طيباً، ولا ينفق إلا من الطيب، فإن الطيب توصف به الأعمال والأقوال والاعتقادات، فكل هذه تنقسم إلى طيب وخبيث، كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠].

والدين الحنيف كله دين طيب في عقائده وأحكامه وآدابه.

وقد ورد في الحديث أن المؤمن إذا زار أخاً له في الله تقول له الملائكة: (طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً).

فالمؤمن كله طيب، قلبه ولسانه وجسده، بما سكن في قلبه من الإيمان، وظهر على لسانه من الذكر، وعلى جوارحه من الأعمال الصالحة التي هي ثمرة الإيمان وداخلة في مسماه.

ولما طاب المؤمن في هذه الدار في عقائده وأعماله وأقواله أكرمه الله بدخول دار الطيبين التي لا يدخلها إلا طيب.

قال ـ سبحانه ـ: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل: ٣٢].

الله الطيب ﷻ فما طاب شيء قط إلا بطيبته تعالى، فطِيْبُ كل ما سواه إنما هو أثر من آثار طيبته سبحانه.

قال القاضي عياض: الطيب في صفة الله بمعنى المنزه عن النقائص فهو بمعنى القدوس. فلا ينبغي أن يتقرب إليه إلا بما يناسبه في هذا المعنى.

ولما كان الطيب تعالى منزهاً عن العيوب لزم العبد أن يتأدب مع ربه، والعجب من مخلوق يتحرز في كلامه مع أمير وغني من الخلق ولا تجده مؤدباً عند حديثه عن ربه.

وقد جاءت الشريعة بجملة من الأحكام في الأدب مع الله فلا يقول العبد عبدي أو أمتي وإنما يقول: فتاي وفتاتي، ولا يقول: لولا الله وفلان بل يقول: لولا الله ثم فلان بل وعدَّت الشريعة بعض هذه الألفاظ شركاً، مثل: لولا الله وفلان وقول ما شاء الله وفلان، ولما قال الرجل هذه الكلمة لرسول الله غضب وقال: أجعلتني لله ندّاً؟ قل: ما شاء الله ثم فلان، لولا الله ثم فلان.

وجاءه الأعرابي فقال له: إنا نستشفع بالله عليك فقال النبي: **«سبحان الله. سبحان الله»**. . فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال: **«ويحك أتدري ما الله؟ إنَّ شأن الله أعظم من ذلك. إنه لا يستشفع بالله على أحد»** [رواه أبو داود وهو حديث صحيح].

وقريب منها قول العامة: واسطتنا ربنا.

قال بعض السلف فيمن يعيب على الناس في خلقتهم: أتعيب الخالق أم تعيب المخلوق؟ فعيب المخلوق في لونه وشكله هو في الحقيقة أذية لله لأن الذي خلقه هو الله.

يقول ابن قدامة المقدسي: ومناجاة العباد لربهم كثيرة، ومن أحسنها ما روي عن منصور بن عمار قال: سمعت عابداً

بالليل يناجي ربه وهو يقول: وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، ولا التعرض لغضبك، فلست بمقامك جاهل، ولا بنظرك مستخف، ولكن زينت لي نفسي، وغرني سترك المرخى علي؛ فعصيتك بجهلي وخالفتك بجهدي؛ فالآن من عذابك من ينقذني؟ وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني؟

يا رب اعف عنا واغفر لنا.

يقول ابن الجوزي: وجدت أبو الوفاء بن عقيل العلم الجليل يقول لنفسه يوماً: والله ما أجد لنفسي خلة استحسن أن أقول متوسلاً بها اللَّهُمَّ اغفر لي كذا بكذا والله ما التفت قط إلا وجدت منه سبحانه برّاً يكفيني، ووقاية تحميني، مع تسلط الأعداء. ولا عرضت حاجة فمددت يدي إلا قضاها، هذا فعله معي وهو رب غني عني وهذا فعلي وأنا عبد فقير إليه، ولا عذر لي فأقول ما دريت، فواحسرتاه على عمر انقضى فيما لا يطابق الرضى. ويا حسرتاه على ما فرطت في جنب الله اللَّهُمَّ توبة خالصة من هذه الأقذار، ونهضة صادقة لتصفية ما بقي من الأكدار، وقد جئتك بعد الخمسين وأنا من خلق المتاع، فاغفر لي سالف فعلي. [«صيد الخاطر» لابن الجوزي].

مقام الله عظيم فليس بيننا وبين ربنا إلا الطاعة فنوح رسول من أولي العزم يسأل ربه نجاة ابنه مع كفره ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ [هود: ٤٥] فقال الله: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود: ٤٦].

وتأمل خوف نبي الله نوح إذ سأل ربه المغفرة مباشرة قال

﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧﴾ [هود: ٤٧].

فكيف يتجرأ بعد ذلك في إساءة الأدب مع ربه عبد ليس له مثل حظ نوح عليه السلام من مقام العبودية ثم يحيا آمنا ما كأنه أصاب شيئاً ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ﴾ [الأعراف: ٩٩]؟

الله الطيب لا يرضى من عبده إلا الكسب الطيب ولذا حرم عليه الكسب الحرام وتوعد آكله بالنار ففي الحديث: «**كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به**» [رواه الطبراني وهو صحيح].

الفضيحة يوم القيامة لآكل الحرام «**والذي نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم من هذا المال الحرام شيئاً إلا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه بقرة لها خوار وبعير له رغاء وشاة تصيح ثم رفع النبي ﷺ يديه حتى ظهر بياض إبطيه ثم قال: ألا هل بلغت اللَّهُمَّ فاشهد، اللَّهُمَّ فاشهد**» [ابن حبان في صحيحه].

وفي مسلم: «**لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول: يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئاً قد بلّغتك..**» فكيف بمن أكل أرضاً حراماً؟!

في مسلم: «**من اقتطع حق امرئ مسلم فقد أوجب الله عليه النار وحرم عليه الجنة قيل: يا رسول الله ولو كان شيئاً يسيراً؟ قال: وإن كان عوداً قضيباً من أراك**».

من صور أكل الحرام يأتيك عامل فتتفق معه على مال

معين فإذا أنهى عمله قال له: ما عملت شيئاً لتأخذ هذا المبلغ فيعطيه مالاً أقل ويقول له: خذه أو دعه!!

وفي المسند بسند صحيح: «**لا يحل للرجل أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفسه**».

قال الهيثمي: ألا ترى حكاية الإجماع على أن من أخذ منه شيء على سبيل الحياء من غير رضا منه بذلك أنه لا يملكه الآخذ؟

وعلّلوه بأن فيه إكراهاً بسيف الحياء فهو كالإكراه بالسيف الحسي، بل كثيرون يقابلون هذا السيف ويتحملون مرارة جرحه ولا يقابلون الأول خوفاً على مروءتهم ووجاهتهم التي يؤثرها العقلاء.. انتهى.

يقول العلماء: فلو أخذت مال أخيك على سبيل الإحراج فلا يجوز لك وإن كان في الظاهر أنه راض مثل أن تحرجه أمام الناس ليعطيك شيئاً من المال أو المتاع ويرضى نتيجة الحرج أو الخجل فهذا لا يحل لك في الباطن فيما بينك وبين الله ويجب عليك أن ترده.

وقد قيل: ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام. [شرح البلوغ للزامل].

في الحديث: «**ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة**» وذكر منهم «**رجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ثم لم يعطه حقه**» وفي رواية: «**لم يعطِ أجره**» [رواه البخاري].

الطيبون برأهم الله الطيب من أدناس الفواحش فلا تجد طيباً يخون مسلماً في عرضه ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ . . . [النور: ٢٦].

قضى الله أن لا يجاوره في جنته إلا كل طيب طاهر لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وصرح الله بمحبته للمتطهرين في كتابه فقال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة: ١٠٨]. [ابن القيم].

وفي حديث آخر: «**إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريمٌ يحب الكرم، جوادٌ يحب الجود...**» [الترمذي].

لا بد للمؤمن أن يكون طيِّباً:

النقطة الدقيقة أن الله ﷻ لأنه ذاتٌ كاملة لا يتجلى على مخلوق أو على إنسان إلا إذا كان طيباً، لذلك بإمكانك أن تقف في الصلاة، وأن تركع، وأن تسجد، إن لم تكن طيباً فلن يتجلى الله عليك، ولا يلقي في قلبك النور، ولا يمنحك القرب، بينما الأقوياء ببساطة بالغة يمكن أن تتقرب إليهم برفع صورة لهم فرضاً، أو بكتاب، أو بثناء، أو بكلمة تلقيها في حضرته، تتقرب إليهم بهذه الطريقة، ولا يشترط بعدها أن تكون كاملاً، لكن الإله العظيم لا يقبلك إلا إذا كنت طيباً، لا يقبلك إلا إذا كنت ورعاً، لا يقبلك إلا إذا كنت طاهر السريرة، لا يقبلك إلا إذا كنت مستقيماً.

لك أن تفعل كل شيء في الحقل الديني، أما أن تشعر بقرب من الله ﷻ، وأنت لست طيباً؛ بل فيك خبث واحتيال

وكذب ودجل ونفاق، لن تستطيع أن تصل إليه إلا إذا كنت طيباً ورعاً مستقيماً طاهراً، لذلك الفرق صارخ بين أتباع الأنبياء وأتباع الأقوياء، أتباع الأنبياء كمَّلٌ؛ لأن الله لا يقبلهم إلا إذا كانوا كذلك، ولا يتجلى عليهم، ولا يمنحهم توفيقه، لا يمنحهم تأييده، ولا يمنحهم قربه إلا إن كانوا طيِّبين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، ماذا يفعل أعدائي بي؟ بستاني في صدري، إن أبعدوني فإبعادي سياحة، وإن حبسوني فحبسي خلوة، وإن قتلوني فقتلي شهادة، فماذا يفعل أعدائي بي؟

لن تقطف ثمار العبادات إلا إذا كنتَ طيِّبَ النفس:

بإمكانك أن تفعل كل شيء مادي، بإمكانك أن تذهب إلى الحج، وأن تصوم رمضان، وأن تصلي، إن لم تكن مستقيماً فلن تقطف ثمار هذه العبادات؛ لأن الله طيب ولا يقبل إلا طيباً، فهذا الذي يأكل أموال الناس بالباطل، هذا الذي يعتدي على أعراض الناس، هذا الذي يقول كلاماً لا يرضي الله ﷻ ليس طيباً، لذلك لن يستطيع أن يقطف من ثمار العبادات شيئاً.

تريد القرب من الله، تريد أن تكون في عين الله، أن تكون في توفيق الله، وتكون في تأييد الله، أن ينصرك الله، أن تحيى حياة طيبة، تريد أن تكون متفوقاً عند الله، كن طيباً؛ لأن «**الله طيب لا يقبل إلا طيباً...**».

أتباع الأنبياء شيء، وأتباع الأقوياء شيء آخر، الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا، الأنبياء ملكوا القلوب، الأنبياء عاشوا للناس، أما الأقوياء فأخذوا ولم يعطوا، الأقوياء ملكوا الرقاب، الأقوياء عاش الناس لهم، والناس جميعاً تبع لقوي أو نبي، فإن «**اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً...**».

تريد أن تخطب وده كن طيباً، تريد أن تنال رضوانه كن طيباً، تريد أن يتجلى على قلبك كن طيباً، تريد أن تخشع في الصلاة كن طيباً تريد أن يقبل صيامك كن طيباً تريد أن يقبل حجك كن طيباً، هذه العبادات لا يمكن أن تقطف ثمارها إلا إذا كنت طيباً؛ لأن «**اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ**».

البلدة الطيبة؟

هناك أماكن طيبة، بلدة طيبة ورب غفور، ما صفات البلدة الطيبة؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاءكم، وأموركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأموركم إلى نسائكم، فبطن الأرض خيرٌ لكم من ظهرها**» [الترمذي].

البلدة الطيبة التي يكون فيها أمراء طيبون أغنياء سمحاء، والأمر شورى بينهم.

الأعمال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

هناك كلام طيب وكلام خبيث:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥].

أحياناً الكلمة تنتهي بالإنسان إلى طاعة الله وإلى التوبة، وإلى الصلح مع الله، فما من شيء أعظم عند الله من كلمة الحق، قل الحق ولا تخشَ في الله لومة لائم، وكلمة الحق لا تقطع رزقاً، ولا تقرّب أجلاً، الكلمة الطيبة تطير في الآفاق، والكلمة الخبيثة تطير في الآفاق، لذلك: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجاتٍ، وإنّ العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم**» [البخاري].

مثلاً: يقول لك كاتب: أنت أخلاقي لأنك ضعيف، وأنت ضعيف لأنك أخلاقي، هذه كلمة خبيثة تزهد الناس بمكارم الأخلاق، لكن أنت قوي؛ لأنك أخلاقي، وأخلاقي لأنك قوي، وليس هناك خُلق أساسه الضعف؛ بل تعفو عن مقدرة، وتعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وقد ورد: «أحِبّ الطائعين، وحبي للشاب الطائع أشد»، شاب في مقتبل العمر،

وهو مستقيم وعفيف «أحب الكرماء، وحبي للفقير الكريم أشد، أحب المتواضعين، وحبي للغني المتواضع أشد، أبغض العصاة، وبغضي للشيخ العاصي أشد، أبغض المتكبرين، وبغضي للفقير المتكبر أشد، أبغض البخلاء وبغضي للغني البخيل أشد».

وجاء في الحديث: «**إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب ما بقي من أموالكم**» [أخرجه أبو داود]؛ لأن الله طيب، هو طيب، وطيّب مالك، أنفقته بيسر، فبارك لك الله فيه، انتفعت به، وسلم من المصادرة، ومن التلف، ومن الحريق، الله ﷻ كما أنه إذا أعطى أدهش، إذا أخذ أدهش.

وفي حديث آخر، دققوا في هذا الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**من تصدق بعدل تمرةٍ** - يعني: بمثل تمرة - **من كسبٍ طيبٍ** - من مال حلال - **ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه** - الفرس الصغير - **حتى تكون مثل الجبل**» [البخاري].

إن محصلة معرفتك بالله، محصلة طاعتك له، محصلة إقبالك عليه، محصلة عملك الصالح أن تكون في النهاية طيباً؛ لأن الجنة لا يدخلها إلا الطيب: ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر: ٧٣].

كمال الله كمال المطلق، أسماء الله حسنى، وصفاته عُلى وكماله مطلق، وحسن الظن بالله ثمنه الجنة.

قصة جميلة:

أنت في ضائقة مالية شديدة، ولك صديق حميم، لكن منذ أمد طويل لا تعرف عنه شيئاً، ثم بلغك أنه غني كبير، وأنه كريم، هاتان المعلومتان تدفعانك إلى أن تسأله قرضاً، لولا هاتين المعلومتين لما سألته، وحينما تعرف رحمة الله، حينما تعرف عفو الله، محبة الله، حكمة الله، حينما تعرف أسماءه الحسنى تسأله، وتستغني به عما سواه.

أحد الخلفاء رأى عالماً جليلاً في الحرم المكي، قال له: سلني حاجتك، قال: إني والله أستحي أن أسأل غير الله في بيت الله.

كن عن همومك معرضاً وكِلِ الأمور إلى القضا
وابشر بخير عاجل تنس به ما قد مضى
فلربّ أمر مسخطٍ لك في عواقبه رضى
و لربما ضاق المضيق ولربما اتسع الفضا
اللَّه يفعل ما يشاء فلا تكن معترضا
اللَّه عودك الجميل فقس على ما قد مضى

ولله الأسماء الحسنى، اسأله التوبة يتب عليك، عن أنس بن مالكٍ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله تبارك

وتعالى: **«يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»** [الترمذي].

ادعه في كل شيء اسأل الله ملح طعامك، اسأل الله ترقيع نعلك إذا انقطع، اسأل الله حاجتك كلها، الدعاء هو العبادة فلذلك: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

حينما تعرفها تدعوه، حينما تعرفه تعلق الأمل عليه، حينما تعرفه لا تضعف ولا تجبن أمام قوي، ولا تذل أمام غني؛ بل تكون عزيز النفس.

اسأله الحوائج بعزة أو ذل، فإن الأمور تجري بالمقادير، ولا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه، وشرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس، لماذا أنت عزيز؟ لأنك تعرف الله، لماذا أنت لا تنافق؟ لماذا لا تضعف أمام قوي؟ كلام السحرة شيء لا يصدق: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾﴾ [طه: ٧٢].

أبو حنيفة النعمان وجعفر المنصور:

قال جعفر المنصور لأبي حنيفة النعمان، وكان من أقوى خلفاء بني العباس، ومن أشدهم بطشاً، قال له: يا أبا حنيفة لو

تغشيتنا، زرنا، قال: ولِمَ أتغشاكم، وليس لي عندكم حاجة أخاف عليها؟ وهل يغشاكم إلا من خافكم على شيء؟ فلو ظللت في مجلسك، إن أكرمتني فَتنتني، وإن أبعدتني ـ حبستني ـ أزريت بي.

نهاية العلم التوحيد، ونهاية العمل التقوى، فإذا وحدت الله، واتقيته جمعت المجد من كل أطرافه.





العفو الغفور

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾ [الحج: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢].

معنى العفو: هو الذي يمحو السيئات ويتجاوز وهو قريب من الغفور.

والعفو والمغفرة من لوازم ذات سبحانه.

وغفر في اللغة؛ أي: غطى وستر، وغفر الله لفلان؛ أي: ستره وعفا عنه.

وأصل الغفر الستر والتغطية، ومنه المغفر وهو ما يضعه المقاتل فوق رأسه ليستر رأسه، وليقيه الضربات.

ويقال جمع غفير: أي: لكثرتهم يستر بعضهم بعضاً.

والمغفرة من الله تعالى ستر للذنوب وعفوه عنها بفضله ورحمته.

المعنى في حق الله تعالى:

(الغافر) فاعل من غفر وهو المبالغ في الستر، فلا يفضح المذنب لا في الدنيا ولا في الآخرة.

و(**غفور**) للمبالغة كثير المغفرة؛ أي: يغفر ولا يبالي فهو يغفر الذنوب بالجملة ولا يحاسب عليها إذا تكررت.

واسم الله الغفور غالباً ما يقترن باسمه الرحيم، وقد اقترن به بضع وستون مرة في القرآن، فمن رحمة الله مغفرته لذنوب عباده وإن كثرت وإن عظمت!

و(**الغفار**) أشد مبالغة منه، فهو من يغفر الذنوب الكثيرة، وهو مخصص للذنوب الشديدة التي قد لا يتخيل العبد أن الله سيغفرها له.

فكأنه تعالى يقول: إن كنت ظالماً فأنا غافر، وإن كنت ظلوماً فأنا غفور، وإن كنت ظلاماً فأنا غفار.

والغفار والغفور سبحانه: هو الذي يستر الذنوب المتجاوز عن الخطايا والعيوب بفضله، مهما كان مقدارها ومهما تعاظمت النفس وتمادت في جرمها وعصيانها فهو سبحانه يغفر الكبائر والصغائر جميعها.

وأن يعفو ويغفر إلا هو سبحانه وعفوه كامل وواسع بلا حد وما يدل على ذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ

أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ الآية [فاطر: ٤٥]. وجاء في «الصحيحين» من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: **ليس أحدٌ ـ أو ليس شيء ـ أصبر على أذى سمعه من الله، إذ هم ليدعون له ولداً وإنه ليعافيهم**».

وعلى هذا نقول للمذنب العاصي: يا أيها المذنب ارجع إلى ربك العفو الغفور واطلب منه العفو والمغفرة ولا تطلبهما من غيره، فهو ربك الغفور ويعفو عن الزلات ولا ترى كثرة ذنوبك بإساءة الظن لربك الغفور على أنه لا يعفو عنك بل يغفرها ويتوب عليك، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال ﷺ: «**يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**». [رواه الترمذي: ٣٥٤].

لذا تب إلى ربك ودع الذنوب وارجع إلى ربك الغفور فيعفو عنك ويغفر لك ويرفع قدرك، ويا أيها العبد المصر على الذنوب باب عفو ربك مفتوح أمامك بلا بواب يريد ربك دخولك فيه ويفرح به كل الفرح، وقال ﷺ: «**لله أشد فرحاً بتوبة عبده حيث يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة**

فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال ـ من شدة الفرح ـ: اللَّهُمَّ أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح» [أصله في مسلم].

رأيت أيها المذنب ما ينتظر منك ربك، ويَدعوك إلى عفوه ورحمته وأنت تهرب منه. ألا تريد أن يغفر لك ويرحمك ـ ألا تريد أن يعفو عنك ويفتح لك الأبواب ـ ألا تريد أن تفرحه ويدخلك جنته وأظنك ستقول لا وألف لا؛ بل أريد مغفرته ورحمته. لذا تب من الآن من شؤم المعصية إلى عفو خالقك فللذنوب آثار لا تحمد عقباه: قُبحٌ في هيئتك، بُعد أهل الصلاح والتقوى عنك، وتجنب الحديث والجلوس معك؛ خشية أن يعمهم العقاب معك، ضيق الصدر والمعيشة... تراكم البلايا والعسر في حياتك وغير ذلك من الآثار السيئة للذنوب ولذا ندعوك دعوة مشفق ورحمته وحنانه، ونقول لك اخرج من ظلمك لنفسك... إلى نور ربك، وربك يقول: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢].

فهو الذي يستر العيوب ويغفر الذنوب، مهما بلغ الذنب من الكبر، ومهما تكرر من العبد وأراد الرجوع إلى الرب، فإن باب المغفرة مفتوح في كل وقت؛ لأن الغفور هو الذي يقبل ستر الذنب والمسامحة فيه مرة بعد مرة بلا نهاية لأن مغفرة الله بلا نهاية، أما ذنوبنا مهما عظمت أو كبرت فلها نهاية.

والله غفور لمن أقبل، غفور لمن تاب، وأناب، غفور

لمن أصلح واستغفر، أما أن يقيم الإنسان على معصية وينوي أن يبقى عليها ويقول: إن الله غفور رحيم فهذا من السذاجة والجهل وعدم الفهم.

قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠)﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

من الذي يفضحه الله؟

وهو سبحانه الذي يستر الذنوب، فلا يفضح من أول مرة بل يستر مرات ومرات عندما يقع الإنسان بذنب فيغفر له ويستره، ومرة ثانية وثالثة، وقد تقتضي الحكمة الإلٰهية أن يفضحه، كما ورد أن عمر بن الخطاب جيء عنده بسارق، وبعد أن أقر بفعلته قال: يا أمير المؤمنين هذه أول مرة، فقال عمر: «كذبت إن الله لا يفضح من أول مرة، فظهرت أنها الثامنة..».

يفعل بعض الظلمة الجرائم ويبطشون بالناس وهم يظنون أنهم سينجون بفعلتهم لكن الله ﷻ يمهل ولا يهمل.

ونذكر أيضاً قول النبي ﷺ والذي ورد في «صحيح مسلم»: عن النبي ﷺ، فيما يحكي عن ربه ﷻ قال:

«أذنب عبد ذنباً. فقال: اللَّهُمَّ! اغفر لي ذنبي.

فقال تبارك وتعالى: **أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له ربّاً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب.**

ثم عاد فأذنب. فقال: أي رب! اغفر لي ذنبي.

فقال تبارك وتعالى: **عبدي أذنب ذنباً. فعلم أن له ربّاً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب.**

ثم عاد فأذنب فقال: أي رب! اغفر لي ذنبي.

فقال تبارك وتعالى: **أذنب عبدي ذنباً. فعلم أن له ربّاً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك».**

إن هذا الحديث يدل أيضاً على أن مغفرة الحق ﷻ لا تمنح إلا لمستحق، وهذا العبد الذي غفر له الله ﷻ كان دائم الاستغفار، وهذا يرجع إلى إيمانه الصادق بالله ﷻ وخشيته منه.

وقول الحق اعمل ما شئت فقد غفرت لك.. لا يعني أنه ﷺ أطلق له العنان ليبغي في الأرض الفساد... تعالى المولى ﷻ عن ذلك.. فقد بدا من الحديث أن هذا العبد لم يكن يكرر نفس الذنب الذي يذنبه، والدليل على ذلك قوله ﷺ: ثم عاد فأذنب.. ثم عاد فأذنب.. فلو كان العبد يعود إلى نفس الذنب لقال ﷺ ثم عاد إلى ذنبه، يضاف إلى ذلك أن هذا العبد قد كشف أنه من ذوي النفس اللوامة، وصاحب هذه النفس دائماً يرتقي في المعراج الروحي إلى أعلى حتى يصل إلى النفس المطمئنة إن شاء له الله ذلك، ولا يعود إلى الخلف أو يهبط إلى أسفل... فالمغفرة في هذا الحديث رغم كونها مستقبلية إلا أنها مغفرة مترتبة على استحقاق العبد والذي يعلمه

الحق ﷻ من علمه بنفس عبده، وعمله بالغيب.. إذن فهي ليست مغفرة عشوائية يعقبها طغيان من العبد وفساد في الأرض. ونذكر أيضاً قول النبي ﷺ والذي ورد في «صحيح البخاري»: «**تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم، قالوا: أعملت من الخير شيئاً؟ قال: كنت أنظر الموسر وأتجاوز عن المعسر، قال: فتجاوزوا عنه**» [أخرجه البخاري].

فهذا مثال آخر لعبد استحق المغفرة الإلٰهية لرحمته بالعباد وتجاوزه عما له في ذمة المعسرين. اهـ.

ثمار الإيمان بالاسم الجليل:

١ ـ كرم الله لعباده العاصين:

فهو واسع المغفرة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢].

وهو سبحانه الذي يغفر الذنوب جميعاً ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

بل ومن كرمه أن يبدل السيئات حسنات ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٧٠].

٢ ـ لا تغتر بستر الله عليك:

كما في الحديث عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا ما يحب وهو**

مقيمٌ على معاصيه فإنما ذلك منه استدراج»، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤].

ومعنى (استدراج)؛ أي: أخذ بتدريج واستنزال من درجة إلى أخرى، فكلما فعل معصية قابلها بنعمة وأنساه الاستغفار فيدنيه من العذاب قليلاً قليلاً ثم يصبه عليه صباً.

٣ ـ لا تغتر بإعجاب الناس بك إنما أعجبوا بستر الله عليك:

نعم إن ستر الله هو المسدل على أعمالنا الصالحة، فلو أن الله ﷻ نزع ستره عنا لما جلس معنا أحد ولما آكلنا أحد؛ فالإعجاب بالنفس يأتي من عدم رؤية ستر الله علينا فلو استحضرنا ذنوبنا في عملنا لعلمنا أن نعمة الستر نعمة عظيمة، سئل ابن عمر هل كان أصحاب النبي ﷺ يضحكون؟ قال: **«نعم والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبال»**.

وكان الحسن البصري يقول: الحمد لله أنه ليس للذنوب رائحة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإذا حسنت السرائر.. أصلح الله الظواهر).

ويقول ابن القيم: (إذا زكاك المزكون وأثنى عليك المثنون فإنما هم إلى جميل ستر الله ينظرون فلا تغتر).

أقوال في الاستغفار:

١ ـ يروى عن لقمان عليه السلام أنه قال لابنه: (يا بني، عوِّد لسانك: اللَّهُمَّ اغفر لي، فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلاً).

٢ ـ وقالت عائشة رضي الله عنها: (طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً).

٣ ـ وقال قتادة: (إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، فأما داؤكم فالذنوب، وأما دوائكم فالاستغفار).

٤ ـ وقال الحسن: (أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقاتكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم، فإنكم لا تدرون متى تنزل المغفرة).

٥ ـ وقال بعض الشعراء:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم

إن كان لا يرجوك إلا محسن ... فبمن يلوذ ويستجير المجرم

مالي إليك وسيلة إلا الرضا ... وجميل عفوك ثم أني مسلم

بعض ما ورد في الاستغفار:

١ ـ روى البخاري من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو أن أبا بَكْرٍ الصديق رضي الله عنه قَالَ لِلنَّبِي صلى الله عليه وسلم عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي قَالَ: **«قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر**

الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم».

٢ ـ سيد الاستغفار: **«اللَّهُمَّ أنت ربي لا إلٰه إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»** قال: ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة. [رواه البخاري].

٣ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة قول: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم» [رواه أصحاب السنن].

٤ ـ وفي «صحيح مسلم» قوله عليه الصلاة والسلام في الدعاء بين التشهد والتسليم: **«اللَّهُمَّ اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إلٰه إلا أنت»**.





الرزاق الرازق

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [الجمعة: ١١].

وقال تعالى: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة: ١١٤].

الرِزْقُ: ما يُنْتَفَعُ به والجمع أرْزاقُ، والرِزْقُ العطاءُ.

وقوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٨٢]؛ أي: شُكْرَ رِزْقِكُمْ.

وروده في القرآن الكريم:

ورد في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

وورد في السُّنَّة الرازق يقول الرسول ﷺ: «**إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق**» [رواه أحمد].

المعنى في حق الله تعالى:

معنى اسم الله الرزاق: هو خالق الأرزاق والمتكفل بإيصالها لجميع خلقه.

والفرق بين الرازق والرزاق: الرازق اسم فاعل وأما الرزَّاق فهو صيغة مبالغة، والمعنى أنه يرزق جميع المخلوقات مهما كثر عددهم.

ورد اسم الرزاق في السُّنَّة في الحديث الذي رواه أحمد في «مسنده» (١٥٦١٣): عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غلا السِّعر على عهد رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، لو سعَّرت، فقال: «**إنَّ الله هو الخالقُ القابضُ الباسطُ، الرّازق المُسعِّر، وإنِّي لأرجو أن ألقى الله ولا يطلبني أحد بظلمة ظلمتها إياه في دم ولا مال**».

قوله: (هو الرزاق)؛ أي: المتكفل بأرزاق العباد القائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها.

رزق الله لعباده ينقسم إلى نوعين: رزق عام، ورزق خاص. الرزق العام هو الدين يشمل الجميع برهم وفاجرهم، أما الرزق الخاص هو رزق القلوب بالعلم والإيمان.

الرزق الطيب الحلال الذي يرزق به عباده المؤمنين.

الإيمان باسم الرزق أو الرازق يستلزم إفراد الله بالعبادة وهو المتفرد برزق عباده بجميع أنواع الرزق هادياً ومعنويّاً.

يجب أن نعرف أن رزق الله لعباده بالنعم الظاهرة لا يعني أن الله رضي عن من أنعمه، وضيق الله على عبده لا يعني أيقن أن الله لم ير عن من لم يوسع عليه في الخير، الحاصل أن الله

يبنها ويمسك رزقه على عباده بناءً على حكمة منه وبما يراه هو فيما ينبغي السعة وفيما ينبغي السعة وليس ذلك له علاقة بالاستقامة على دين الله من غيره وكل ذلك راجعٌ إلى امتحان الله واختباره لعباده لينظر كيف يعملون، وقال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر: ١٥ ـ ١٦].

أي: ليس كل من نعمته في الدنيا فهو كريم عليَّ ولا كل من قدرته عليه رزقه فهو.. لدين، وإنما الغني والعفو والسعة والضيق ابتلاء من الله، وامتحان ليعلم الشاكر من الكافر والعابد من الجازع.

وعلى هذا نقول للعباد الذين وسّع الله لهم بالنعم الدنيا الظاهرة انتبهوا على أنفسكم وليس ذلك إلا ابتلاء واختبار وحلول كل محاولة حتى تنجح في اختيار بالأعمال الصالحة بكثرة الخير في إخراج الزكاة والصدقة على الفقراء والإنفاق في سبيل الله وعدم استخدام ماله في معصية الله ﷻ ومن قام بذلك قد فاز في الاختبار ومن لم يقم بذلك قد خاب وخسر ورسب في الاختبار، ونقول: أيها الفقير المسكين الذي ضيق الله عليه في الرزق أبشر بخير وليس هذا دليل على عدم رضا الله بك فلو استقمت على الدين فأنت أفضل من صاحب الأرزاق الذي لم يستقم على الدين وستنال ما لا يتناوله هو من الخير يوم القيامة.

واشكر الله على القليل الذي أنعمت به وانظر إلى الذين يموتون بسبب الجوع فأنت أفضل حال منهم، وانظر إلى الذين لا يجدون ما يلبسون فأنت أفضل منهم، وانظر إلى الذين لا يجدون بيتاً يسكنون فيه فأنت أفضل منهم، وانظر إلى الذين يعيشون تحت خطر القتل ليلاً ونهاراً فأنت أفضل منهم، وانظر إلى الذين لا يستطيعون الجلوس أو القيام أو حتى الأكل والشرب لأنفسهم فأنت أفضل منهم وغير ذلك من الذين يتمنون أن يكونوا في مثل حالك ولكنهم حُرموا لذلك؛ إذن لو نظرت إلى أمثال هؤلاء ستجد نفسك في غناً كبير وسعة رزق، ولذا اصبر واحتسب واعمل لله تكن سعيداً في الدنيا والآخرة.

تأملات في رحاب الاسم الجليل:

إن الحديث عن الرزق حديث ذو أهمية بالغة، وخاصة في هذا الوقت الذي ضعف فيه إيمان كثير من الناس بربهم، وأن الرزق بيده، وأنه المتكفّل بالأرزاق؛ مما جعل اعتمادهم وللأسف على الخلق مثلهم، يرجونهم أو يخشونهم على أرزاقهم.

وإن الإيمان بهذا الاسم سيحل الكثير من المشاكل كالقلق والخوف من المستقبل، والجرأة على أكل الحرام، والحسد، واستحلال الربا وتبرير الرشوة، وجرائم القتل والسرقة من أجل المال التي سببها عدم أو ضعف الإيمان باسم الله الرزاق.

ونتناول هذا الاسم الجليل من خلال النقاط التالية:

رزق جميع الكائنات على الله:

فالله سبحانه تكفل للخلق بالرزق مهما كانوا وأينما كانوا، مسلمين وكافرين، إنساً وجنّاً، طيراً وحيواناً، وهو سبحانه كما يقول البلغاء يرزق النملة السمراء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾ [هود: ٦].

وصدق من قال:

فلو كانت الأرزاق تجري على الحِجى   هلكــنَ إذاً من جهلهن البهـائمُ

وأصحاب الحجى هم أصحاب الألباب والعقول فلو أن الأرزاق معلقة بالعقول لهلكت البهائم.

وقال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝٢٣﴾ [الذاريات: ٢٢، ٢٣].

وقال تعالى: ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ۝١٣٢﴾ [طه: ١٣٢].

ويقول النبي ﷺ: «**لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً**» [رواه ابن حبان في صحيحه] وللأسف فما أكثر الذين تغيرت قلوبهم فأصبحوا يتوكلون ويؤملون في دنياهم وأرزاقهم على خلق مثلهم، ونسوا الخلّاق الرزاق مدبر الأمور ومصرّف الدهور سبحانه.

وقَوْله: «**تَغْدُو**»؛ أَيْ: تَخْرُج مِنْ أَوَّل النَّهَار، «**خِمَاصاً**» جِيَاعاً، «**وَتَرُوح**»؛ أَيْ: آخِر النهار، «**بِطَاناً**»؛ أَيْ: مُمْتَلِئَة الأجواف.

ولما رأى عمر أناساً يسألون الناس في الحج قال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون، قال: كذبتم، المتوكل من ألقى حبة في الأرض، ثم توكل على الله.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأعراف: ١٠].

جعل الله لنا معايش في الأرض؛ أي: أسباب لكسب الرزق، وجعلها متناسبة مع الإنسان.

قال الشافعي رحمه الله:

توكلتُ فِي رزقي على اللّه خالقي ... وأيقنتُ أن اللّه لا شك رازقي
وما يكُ من رزقي فليس يفوتني ... ولو كان في قاع البحار العوامق
سيأتي به اللّه العظيم بفضله ... ولو لم يكن مني اللسانُ بناطق
ففي أي شيء تذهب النفس حسرة ... وقد قسم الرحمٰن رزق الخلائق؟

لا يطلب الرزق بمعصية الله:

فعلى المسلم أن يسلك الأسباب الحلال لطلب الرزق وليعلم أن رزقه مقسوم ومقدور فلا حيلة في الرزق ولا شفاعة في الموت، ورزق الإنسان يطلبه كما يطلبه أجله وقد حذَّرنا النبي ﷺ من أن تتعلق قلوبنا بتحصيل أرزاقنا؛ فننسى الله

ـ تعالى ـ والدار الآخرة، ونُشْغَل عن العمل الصالح بالجمع والتحصيل، والعد والتنمية، ولربما شحت نفوسنا عن أداء حق الله ـ تعالى ـ في أموالنا، أو امتدت أيدينا إلى ما لا يحل لنا؛ فنكون كالذي يأكل ولا يشبع، ويجمع ولا ينتفع! نعوذ بالله من نفوس لا تشبع، ومن قلوب لا تخشع.

عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس من عمل يقرب إلى الجنة إلا قد أمرتكم به ولا عمل يقرب إلى النار إلا قد نهيتكم عنه لا يستبطئن أحد منكم رزقه إن جبريل عليه السلام ألقى في رُوعي** (بضم الراء) **أن أحداً منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب فإن استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله فإن الله لا ينال فضله بمعصية**» رواه الحاكم بسند صحيح.

ولو دققنا في أسباب أكثر المعاصي لوجدناها من أجل المال، آه لو أيقنّا يقيناً قطعيّاً أن الله عز وجل بيده الرزق وحده؛ يكثِّره أو يقلله، يضيقه أو يوسعه، يسهله أو يعسره، وأن الواحد منا لن ينال ما عند الله عز وجل إلا بطاعته.

وإذا توهَّم إنسان أنه بمعصية الله عز وجل يزداد رزقه، قد يأتيه رزقٌ وفير بادئ ذي بدْء، ثم يُمْحَق، ثم يتلف، ثم يُهلك.

وصدق الشاعر حينما قال:

لا تعجلن فليس الرزق في العجل   الرزق في اللوح مكتوب مع الأجل

ولو صبرنا لكان الرزق يطلبنا   لكنه الإنسان خلق من عجل

اللَّه ـ تبارك وتعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب.

ويؤكد هذا المعنى حديث عبد الله بن مسعود: «**إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من أحب**» [صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب].

وسُئل أحد السلف: لم سمي الله خير الرَّازقين؟

فأجاب: لأنه إذا كفر به عبده لم يقطع رزقه عنه وهو كافر به.

فسبحان الله عطائه ورزقه مستمر حتى لمن يكفر به ويعطيه نعيمه في الدنيا، وأما الآخرة فإنه ﷻ لا يعطيها إلا من أطاع.

ثمار الإيمان بالاسم الجليل:

ـ اليقين بأن الرزق والأجل بيد الله وحده:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣﴾ [فاطر: ٣].

وأكثر شيء يقلق الإنسان الخوف على رزقه وأجله، وأخشى ما يخشاه انقضاء أجله وانقطاع رزقه، لذلك لو علم الناس علم اليقين أن آجالهم بيد الله، وأن إنساناً واحداً على

وجه الأرض لا يستطيع أن يحدِّدها، وأن أرزاقهم بيد الله، وأن أي جهةً على وجه الأرض مهما عظمت لا تستطيع أن تمنع، ولا أن تعطي، فإذا أيقنت يقيناً قطعيّاً أن حياتك بيد الله، وأن الذي منحك الحياة هو وحده يُنْهِي هذه الحياة، وأن الذي خلقك هو الذي تكفَّل برزقك، لو أيقن الإنسان بهاتين الحقيقتين لأصابته سكينة عجيبة ليقينه بالله.

ـ العزة في طلب الرزق:

لماذا التملق والنفاق إذا كنت توقن أن الرزق بيد الله؛ وأن الله بيده كل شيء، وأن كل من تراه من بني البشر هم بيد الله ﷻ، فلا تهن نفسك ولا تذلها إلا لله وحده، وكما ورد في الأثر «**اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس، فإن الأمور تجري بالمقادير**».

وقال الإمام الشافعي:

أنا إن عشت لست أُعدم قوتاً ... وإذا مت لست أعدم قبرا

همتي همة الملوك ونفسي ... نفس حر ترى المذلة كفرا

وإذا ما قنعت بالقوت عمري ... فلماذا أخاف زيدا وعمروا

ـ الطمأنينة بعد اليقين بأن الله هو الرزاق:

فالمؤمن الحق الذي يفهم قضية الرزق فهماً صحيحاً لن تستشرف نفسه ما في أيدي الناس، ولن تتطلع عينه على ما في خزائنهم، ولن تمتد يده إلى ما حرم الله ـ تعالى ـ عليه مهما كلف الأمر؛ لعلمه أن الذي خلقه سيرزقه.

والعبدَ إذا أيقن بأن الأجل محدد، وأن الرزق مقدر، واطمأن قلبه بذلك؛ فإنه لن يجزع من فقر أصابه، أو جائحة أتلفت ماله، ولن يشغل نفسه بالدنيا عن عمل الآخرة؛ لأنه يعلم أنه مهما سعى واجتهد وأجهد نفسه فلن يكتسب إلا ما كُتب له.

ولذا قال الحسن: «إن من ضعف يقينك أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله ﷻ».

وروي عن ابن مسعود قال: (إن أرجى ما أكون للرزق إذا قالوا: ليس في البيت دقيق).

وقال الإمام أحمد: «أسرّ أيامي إليّ يوم أُصبح وليس عندي شيء».

وقيل لأبي حازم الزاهد: ما مالُك؟

قال: لي مالان لا أخشى معهما الفقر: الثقة بالله، واليأس مما في أيدي الناس.

وقيل: أما تخاف الفقر؟!

فقال: أخاف الفقر ومولاي له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى؟!

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: «من وثق بالله في رزقه زاد في حسن خلقه، وأعقبه الحلم، وسختْ نفسه، وقلّت وساوسه في صلاته».

ومر إبراهيم بن أدهم على رجل ينطق وجهه بالهم والحزن فقال له إبراهيم:

يا هذا إني أسالك عن ثلاثة فاجبني: فقال له الرجل: نعم.

فقال له إبراهيم: أيجري في هذا الكون شي لا يريده الله؟

فقال: لا.

قال: أينقص من أجلك لحظة كتبها الله لك في الحياة؟

قال: لا.

قال: أينقص رزقك شي قدره الله.

قال: لا

قال إبراهيم: فعلام الهم إذن؟

وسئل الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما سر زهدك في الدنيا؟

قال أربعة أشياء:

* علمتُ أن رزقي لا يأخذه غيري فاطمأن قلبي.

* وعلمتُ أن عملي لا يقوم به غيري فاشتغلت به وحدي.

* وعلمتُ أن الله مطلع عليّ فاستحييت أن يراني على معصية.

* وعلمتُ أن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء ربي.

- السعي والأخذ بالأسباب:

لا بد مع اليقين بأن الله هو الرزاق من بذل الأسباب والجد في طلب الأرزاق ووجوه المكاسب المباحة التي أباحها الله - تبارك وتعالى - لعباده، كما قال ﷻ: ﴿فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك: ١٥].

ومع بذل الأسباب لا بد من طلب الرزق من الله ﷻ، ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت: ١٧].

- كثرة الأموال ليس من علامات حب الله للعبد:

وهذا اعتقاد الكافرين قديماً حينما قالوا - كما حكى القرآن عنهم -: ﴿وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ: ٣٥ - ٣٧].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة: ٥٥].

ـ الطاعة سبب للبركة في الرزق والمعاصي سبب للمحق والحرمان:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾... [الطلاق: ٢، ٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝١٦﴾ [الجن: ١٦].

ويقول النبي ﷺ: «**الدعاء يرد القضاء، وإن البر يزيد في الرزق، وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**» [رواه أحمد بإسناد حسن].

فاللَّهُمَّ متعنا بما رزقتنا وزدنا من فضلك وجودك يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ اجعلنا من أوثق خلقك بك... وأفقر عبادك إليك، ولا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى قوتنا ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين ولا أقل من ذلك يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ وما رزقتنا من رزق فاجعله عوناً لنا على طاعتك، ومقرباً لنا إلى مرضاتك. ومتاعاً لنا إلى حين.





الغني

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

وقال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ [لقمان: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ﴾ [يونس: ٦٨].

هذا الاسم ورد في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ﴾ [محمد: ٣٨].

شأن الخالق أنه غني عن كل شيء، وشأن المخلوق أنه مفتقر إلى كل شيء، الرب رب، والعبد عبد، وفي قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٣٣].

أحياناً يكون الإنسان رحيماً لكنه فقير، يتحرك قلبه ولا يستطيع أن يفعل شيئاً للفقير، لكن عظمة الله ﷻ أنه غني، وأنه رحيم، فغناه ورحمته تعطيان الإنسان كل شيء.

وغالباً ما يقترن اسم «الغني» باسم الحميد، كما في قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ [الحج: ٦٤].

هو غني عن عباده، لكنه يعاملهم معاملة يحمدونه عليها، هناك إنسان قد يكون غنيّاً، لا يحتاج إلى أحد، تراه فظّاً، غليظاً، مستكبراً، مستعلياً، أما خالق السماوات والأرض، الذات الإلٰهية الكاملة: غني، ومع أنه غني كامل، ما أروع أن يجتمع الغنى مع الكمال.

الرحمة حسن لكن في الأمراء أحسن، هناك حديث طويل حول هذا الموضوع أحياناً تجتمع صفتان في الإنسان فيكون متألقاً أعلى تألقٍ، الله ﷻ «الغني» حميد، مع أنه غني عن عباده، لو أن كل من في الأرض كفروا لا يحتاج إليهم أبداً، ومع ذلك يعاملهم معاملة كاملة يحمدونه عليها.

واقترن اسم الله «الغني» باسم الحليم.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ۝٢٦٣﴾ [البقرة: ٢٦٣].

غني عن عباده لكنه يمدهم بالطعام والشراب والهواء، ويمدهم بكل ما يحتاجونه إذاً وهم يعصونه، يُعصى ويرحمهم.

قال تعالى في حديث قدسي: «**إن الإنس والجن في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويُشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرهم إليّ صاعد، أتحبب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إليّ بالمعاصي، وهم أفقر شيء إلي، من أقبل عليّ منهم تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب، أهل ذكري أهل مودتي، أهل شكري أهل زيادتي، أهل**

معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعايب، الحسنة عندي بعشرة أمثالها وأزيد، والسيئة بمثلها وأعفو، وأنا أرأف بعبدي من الأم بولدها» [رواه البيهقي والحاكم عن معاذ، والديلمي وابن عساكر عن أبي الدرداء].

هناك غني بخيل، العدل حسن لكن في الأمراء أحسن، والسخاء حسن لكن في الأغنياء أحسن، والصبر حسن لكن في الفقراء أحسن، والتوبة حسن لكن في الشباب أحسن، والحياء حسن لكن في النساء أحسن.

وفي الحديث الشريف: **«اللَّهُمَّ أنت الله، لا إِلٰه إِلا أنت، أنتَ الغنيُّ، ونحن الفقراء، أنْزِلْ علينا الغيث واجعلْ ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إِلى حين»** [أبو داود عن عائشة].

غنى الإنسان نسبي لأنه في الوقت نفسه مفتقر إلى أشياء لا تعد ولا تحصى.

الله ﷻ هو الغني سبحانه وله كمال الغنى من جميع الوجوه والاعتبارات بكماله وصفاته التي لا يتطرق إليها «أي» نقص وهو غني عن جميع الخلق، من كمال غناه أنه لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تميزه معصية العاصين، ولو آمن أهل الأرض كلهم جميعاً ما زاد ذلك في ملكه شيئاً، قال الله تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: ٤٠].

ومن كمال غناه أنه لو اجتمع أول الخلق وآخرهم في وقت واحد فسألوه، فأعطى كل منهم ما سأله ما نقصه من ملكه مثقال ذرة.

ومن كمال غناه أن إنفاق المنفقين وبذل الباذلين في سبيله وابتغاء مرضاته لا ينفعه شيء وكذلك شح الشحيحين وبخل البخلاء ولا يهزه شيئاً، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨].

يستلزم الإيمان باسم الله الغني إفراد الله بالعبادة لغنائه المطلق وكل مفتقر إليه.

ومن لوازم تعلق (باسم الله الغني) في قلب المؤمن استغنائه عن الخلق في غير اللازم في حوائجه ورجوعه المطلق إلى الغنيّ الكامل.

وعلى هذا نقول للعبد الفقير: أن مهما آتاك الله من خيرات الدنيا فاعلم أن الغنيّ الحقيقي هو الله وليس أنت ولا ينبغي لك أن تقول عن نفسك أنك غني، وكيف تظن أنك غني وقد احتجت إلى غيرك؟ فبناء بيتك وخيط ثوبك وتجهيز طعامك وتصليح مركبك وغير ذلك من الحاجيات التي لو احتجت قضاء واحدة منها بإمكان أفقر إنسان حولك يهينك كل الإهانة لحاجتك الماسة إليه، وعلى هذا وضحنا لك فقرك وأزلنا لك شبهة ظنك، لذا على كل من وسع الله عليهم. . . ممن ضيّق

عليهم من خيرات الدنيا أن يقدّر كل واحدٍ الآخر وكل واحد يعتبر فقير تجاه الآخر في أحوالٍ دون أحوال وكلهم فقراء أمام الغنيّ الحميد.

توزيع الحظوظ في الدنيا توزيع ابتلاء:

لذلك الحظوظ وزعت في الدنيا توزيع ابتلاء، هذا ممتحن بالغنى، وهذا ممتحن بالفقر، وهذا ممتحن بالوسامة، وهذا ممتحن بالدمامة، وهذا ممتحن بالصحة فكل ما آتاك الله إياه أنت ممتحن فيه، وسوف ينظر الله ماذا تعمل، هل تتخذ الصحة أساساً للمعصية والإثم؟ أم أن تتخذ الصحة لخدمة الخلق؟ هل تتخذ وقت الفراغ للانحرافات التي لا ترضي الله؟ أم تتخذ وقت الفراغ لطلب العلم؟ أنت ممتحن بوقت الفراغ، ممتحن بالصحة، ممتحن بالمال، ممتحن بالزوجة، ممتحن بالأولاد، ممتحن في كل ما آتاك الله، وممتحن في كل ما روي عنك، لذلك من أدعية النبي عليه الصلاة والسلام: «**اللَّهُمَّ إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يقرب إلى حبك**»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٣٥) من حديث معاذ بن جبل قال: احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة من صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس، فخرج سريعاً فثوب بالصلاة، فصلى رسول الله ﷺ وتجوز =

إذا امتحنتنا بالغنى، أو بالصحة، أو بالقوة، أو بالوسامة، فاجعل هذه الأشياء في خدمة عبادك يا رب، وإن امتحنتنا بالفقر أحياناً، بالمرض أحياناً، فاجعل الفراغ الناتج عن هذا الامتحان في طاعتك.

وأسألك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يقرب إلى حبك».

= في صلاته، فلما سلم دعا بصوته فقال لنا: **«على مصافكم كما أنتم»** ثم انفتل إلينا فقال: **«أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة: أني قمت من الليل فتوضأت فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي فاستثقلت، فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال: يا محمد، قلت: لبيك رب، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري رب، قالها ثلاثاً»** قال: **«فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي، فتجلى لي كل شيء وعرفت، فقال: يا محمد، قلت: لبيك رب، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفارات، قال: ما هن؟ قلت: مشي الأقدام إلى الجماعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء في المكروهات، قال: ثم فيم؟ قلت: إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيام. قال: سل. قلت: اللَّهُمَّ إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يقرب إلى حبك»**، قال رسول الله ﷺ: **«إنها حق فادرسوها ثم تعلموها»**. «هذا حديث حسن صحيح» سألت محمد بن إسماعيل، عن هذا الحديث، فقال: «هذا حديث حسن صحيح». [قال الألباني]: صحيح.

الغنى الحقيقي هو غنى العمل الصالح:

فيجب أن تعد نفسك غنياً إذا أكرمك الله بعمل صالح، إذا سخرك لخدمة خلقه، إذا كنت مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشر، إذا بثثت في الناس الطمأنينة، والأمن، والسكينة، إذا أطعمت جائعهم، إذا كسوت عاريهم، إذا عالجت مريضهم، إذا آويت مشردهم، إذا أنصفت مظلومهم، أنت الغني، الغنى الحقيقي غنى العمل الصالح.

القرار البطولي الذي يتخذه الإنسان بالتوبة قد يدفع ثمنه ولكن يرقى به إلى الجنة:

الآن الغنى في ذات الله عز وجل إذا تعلق الغنى بالمشيئة فهو من صفات الأفعال ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ ﴿إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [التوبة: ٢٨].

هذه إذاً من صفات الأفعال؛ لأنه هو أغنى وأقنى.

الغني سبحانه هو المستغني عن الخلق بذاته وصفاته وسلطانه:

«الغني» صفة من صفات أفعال الله عز وجل، وإن لم يتعلق الغنى بالمشيئة، فهو صفة من صفات الذات.

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧].

هذه صفة ذات، وكقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

لو دخلنا في تفاصيل معنى «الغني»، «الغني» سبحانه هو المستغني عن الخلق بذاته، وبصفاته، وبسلطانه، والخلق جميعاً فقراء إلى إنعامه، وإحسانه، فلا يفتقر إلى أحد في شيء؛ بل كل مخلوق مفتقر إليه في كل شيء، وهذا هو الغنى المطلق، وهو الغنى الحقيقي، وغنى الإنسان غنى مجازي؛ يعني: غني بماله، لكن مفتقر إلى الصحة، مفتقر إلى العقل، مفتقر إلى التوفيق، مفتقر إلى النصر.

الغني هو الذي يغني من يشاء من عباده بحكمته:

و«الغني» أيضاً هو الذي يغني من يشاء من عباده بحكمته، وأي غني سوى الله فغناه نسبي، مقيد، مجازي، لا غني على الحقيقة إلا الله، أما غنى الحق ﷻ فهو غنىً كامل ومطلق، ومهما بلغ المخلوق في غناه.

الإنسان فقير، فقير إلى شربة ماء، سئل أمير المؤمنين هارون الرشيد! بكم تشتري هذا الكأس إذا منع عنك؟ قال: بنصف ملكي، قال: فإذا منع إخراجه؟ قال: بنصف ملكي الآخر.

أنت وكل ما تملك رهن كأس ماء، مهما بلغ المخلوق في غناه، فهو فقير إلى الله؛ لأنه المنفرد بالخلق والتقدير، والملك والتدبير، هو المالك لكل شيء، خلقاً، وتصرفاً، ومصيراً، ملكية مطلقة، خلقاً، وتصرفاً، ومصيراً.

قد تملك دولة طائرة، تبيعها إلى دولة أخرى، الآن المالك الحقيقي هو الثاني، لكن قد تمتلك بيتاً، ملك رقبة، وقد تسكنه، وتملكه ملك منفعة، ولكن مصيره ليس إليك، إما أن يصادر، أو أن تنظم المنطقة فيؤخذ بطريق، أو أن يموت الإنسان ويتركه، أو أن يضطر إلى بيعه، آتي بأمثلة دقيقة:

ملكية الله ﷻ ملكية مطلقة، خلقاً، وتصرفاً، ومصيراً، يعطي من يشاء ما يشاء من فضله، ويقسم لكل مخلوق ما يخصه من حياته ورزقه، عطاؤه لا يمتنع، ومدده لا ينقطع، وخزائنه ملأى، ولا تنفذ:

«**يدُ الله ملأى، لا يَغيضُها** ـ أي: لا ينقصها ـ **نفقة سحَّاء** ـ مستمرة، دائمة ـ **الليل والنهار** ـ يعني: طوال الليل والنهار ـ وقال: **أَرَأَيتم ما أنْفَقَ منذُ خلق السماء والأرضَ؟ فإنه لم يَغض** ـ أي: لم ينقص ـ **ما في يده، وكان عرْشُه على الماء، وبيده الميزانُ، يَخفِضُ ويَرفَعُ**» [متفق عليه عن أبي هريرة].

والنبي ﷺ قال فيما رواه عن ربه تبارك وتعالى: «**يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**» [مسلم عن أبي ذر].

«الغني» على سبيل الإطلاق، والقيام بالنفس هو من صفة الله وحده الغنى المطلق، والقيام على الخلق هو الله ﷻ، وليس ذلك لأحد سواه، هو «الغني» بذاته عن العالمين، المستغني عن الخلائق أجمعين، واتصاف غير الله بالغنى لا يمنع أن يكون الحق متوحداً في غناه؛ لأن الغني في حق غيره مقيد، وفي حق الله مطلق، وهذا واضح معلوم، وذلك مطرد في جميع أوصافه بدلالة اللزوم.

تقنين الله ﷻ تقنين تأديب وتقنين العباد تقنين عجز:

بقي شيئاً آخر في الغنى، قد نرى شحّاً في الأمطار، وقد نرى قلة في المحاصيل، وقد نرى قصراً في العمر، وقد نرى أشياء قليلة بالحياة، الحقيقة مستحيل وألف ألف مستحيل أن يكون تقنين الله ﷻ تقنين عجز، أما نحن البشر نقنن تقنين عجز؛ الكهرباء قليلة نقطع التيار لساعات عن كل حي في المدينة، الماء قليل، نقطع الماء ساعات طويلة كل يوم، المحاصيل قليلة نرفع الأسعار، الإنسان يقنن تقنين عجز، إلا أن الله ﷻ إذا قنن فتقنينه تقنين تأديب، الأدلة:

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١].

الآية الثانية: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى: ٢٧].

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: ٢١].

التقنين من الله تعالى تقنين تربية ومعالجة وسوق إلى بابه الكريم لذلك التقنين تقنين إلٰهي.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: ١٦، ١٧].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦].

وقد يُحرم المرء بعض الرزق بالمعصية؛ فالتقنين فيما يبدو هو تقنين تأديب لا تقنين عجز، تقنين حكمة، تقنين تربية، تقنين معالجة، تقنين سوق إلى باب الله عز وجل، فئة كبيرة جدّاً من عباد الله قد تساق إلى الله عز وجل بالتقنين والحرمان أحياناً، ولكن نسأل الله جل جلاله أن يجعل الرخاء والبحبوحة حالة يتمتع بها كل المؤمنين.

«عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنتظرون إلا فقراً منسيّاً، أو غنى مطغياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً مفنِّداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر**»[1].

---

(١) قال الإمام النووي في «الرياض» (١/ ٥٠): قال الترمذي: حديث حسن. أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ٣، رقم ٧)، والترمذي =

يظن الغني حينما ينحرف، ويهمل أوامر الله ﷻ، ويستعلي، ويتغطرس، يظن أنه في بحبوحة، هو في شقاء كبير؛ لأنه خسر دينه، خسر صلته بالله ﷻ.

«**أو هرماً مفنداً**»: البطولة من طال عمره، وحسن عمله، البطولة من ابتعد عن الخرف.

﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٥].

وفي رواية أخرى: «**بادروا بالأعمال الصالحة، فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غناً مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر**» [أخرجه الحاكم عن أبي هريرة].

ليس الغنى عن كثرة العَرَض وإنما الغنى غنى النفس: من تعريفات النبي ﷺ الجامعة المانعة: «**ليس الغنى عن كثرة العَرَض وإنما الغنى غنى النفس**» [أخرجه البخاري ومسلم وأبو يعلى وابن حبان عن أبي هريرة].

المؤمن غني، يكبر قلبه ولا ترى كبره، يتضاءل أمامه كل كبير، وغير المؤمن فقير، ومعه ملايين مملينة، يصغر قلبه ولا ترى صغره، فيتعاظم عليه كل حقير.

= (٢٣٠٦)، والحاكم (٧٩٠٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٧٢). وأخرجه أبو يعلى (٦٥٤٢)، والطبراني في «الأوسط» (٣٩٤٥)، والقضاعي (٨٢٣).

«**ليس الغنى عن كثرة العرض**»: الأموال المنقولة، والغير منقولة، والعملات الصعبة، والأراضي، والبيوت والمركبات، والشركات، والأسهم، لا.

«ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس»
[أخرجه البخاري ومسلم وأبو يعلى وابن حبان عن أبي هريرة].

الاستغناء عن الناس يولد راحة نفسية لا توصف:

كلما استغنيت عن الناس شعرت براحة نفسية، وكلما استغنيت عما في أيدي الناس أحبك الناس.

شيء آخر: قال أحدهم: احتج إلى الرجل تكن أسيراً، واستغنِ عنه تكن نظيره، وأحسن إليه تكن أميره.

لذلك من أدعية النبي عليه الصلاة والسلام: «**اللَّهُمَّ لا تجعل حوائجنا إلا إليك، ودلنا بك عليك**».

المؤمن غني، غني بنفس أبية، بنفس عزيزة، لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه.

لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه، لا تتضعضع أمام غني، ولا أمام قوي، استعن بالله، ولا تعجز.

(اللَّهُمَّ لا تجعل حوائجنا إلا إليك، ودلنا بك عليك).

سُئل الحسن البصري ـ وكانت له هيبة كبيرة، ومكانة علية ـ بمَ نلت هذا المقام؟ فقال: باستغنائي عن دنيا الناس، وحاجتهم إلى علمي.

متى يسقط العلم؟ حينما يحتاج العالم إلى ما في أيدي الأمير، وحينما يزهد الأمير بما عند العالم، انتهى العلم، أما حينما يستغني العالم عما في أيدي الناس، ويحتاج الناس إلى علمه يرتفع العلم. يرتفع العلم ويسقط: يرتفع إذا استغنى العلماء عما في أيدي الأقوياء، واحتاج الناس إلى علمهم، ويُسقط العلم من يدعي العلم: حينما يحتاج من يحمل هذا العلم إلى ما في أيدي الأقوياء، وحينما يزهد الأقوياء بما عند العلماء.

ومن تعريفات الإيمان الرائعة: الإيمان غنىً عن المطامع، غنىً عن المحارم، الطمع أذل قلوب الرجال، وأذل رقابهم، من الداخل متضعضع، ورقبته خاضعة.

من زهد بما في أيدي الناس أحبه الناس ومن رغب بما عند الله أحبه الله:

كن من أعظم الناس، فأعظم الخلق من صغرت الدنيا في عينيه، فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد، فلا يتكلم بما لا يعلم، ولا يماري فيما علم، ومن كان أكثر دهره صامتاً، فإذا تكلم بذّ القائلين، يُرى ضعيفاً مستضعفاً، فإذا جدّ الجد فهو الليث عادياً، لذلك: (تعس عبد الدرهم والدينار، تعس عبد البطن، تعس عبد الفرج، تعس عبد الخميصة ـ الثياب ـ) [أخرجه البخاري في كتاب «الرقائق»].

لذلك قالوا: خذ من الدنيا ما شئت، وخذ بقدرها همّاً،

ومن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ من حتفه وهو لا يشعر.

ويذكر أنهم دخلوا على أبي عبيدة الجراح، وكان قائد الجيش الإسلامي في الشام دخلوا إلى غرفته، فإذا فيها قدر ماء مغطى برغيف خبز، وعلى الحائط سيفه المعلق، ويجلس على جلد غزال، قالوا: ما هذا؟! قال: هو للدنيا وعلى الدنيا كثير، ألا يبلغنا المقيل؟.

لذلك: ازهد بما في أيدي الناس يحبك الناس، وارغب بما عند الله يحبك الله.

لا تسألن بنيّ آدم حاجة واسأل الذي أبوابه لا تغلقُ
اللَّه يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضبُ





الجواد

ورد هذا الاسم في السُّنَّة المطهرة فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى جواد يحب الجود ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفاسفها**»(١)

وجاء أيضاً في حديث قدسي الذي رواه الترمذي (٢٤٩٥).

عن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى: يا عبادي كلكم ضال إلا من هديت فسلوني الهدى أهدكم، وكلكم فقيرٌ إلا من أغنيت فسلوني أرزقكم، وكلكم مذنبٌ إلا من عافيت، فمن علم منكم أني ذو قدرةٍ على المغفرة فاستغفرني غفرت له ولا أبالي، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أتقى قلب عبدٍ من عبادي ما زاد ذلك في ملكي جناح بعوضةٍ، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أشقى قلب عبدٍ من عبادي ما نقص ذلك من ملكي جناح بعوضةٍ، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا في صعيدٍ**

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٢٦).

واحدٍ فسأل كل إنسانٍ منكم ما بلغت أمنيته فأعطيت كل سائلٍ منكم ما سأل ما نقص ذلك من ملكي إلا كما لو أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه إبرةً ثم رفعها إليه، ذلك بأني جوادٌ واجدٌ ماجدٌ أفعل ما أريد عطائي كلام وعذابي كلام إنما أمري لشيءٍ إذا أردته أن أقول له: كن، فيكون»(١).

الجواد: اسم فاعل من جادَ يجود وهو الكَثِيرُ العَطَاءِ الذي يعطي من غير سؤال.

والجَوَاد: النَّجيب من الخيل والجمع: جِيادٌ ويقال فَرَسٌ جَوَادٌ: سَرِيعُ الجَرْيِ

ورودُ الاسم في السُّنَّة النبوية:

لم يرد هذا الاسم الجليل في القرآن وإنما ثبت في السُّنَّة، من حديث ابن عباس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله تعالى جواد يحب الجود، ويحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها»** [أخرجه البيهقي عن ابن عباس].

تنبيه: جواد بِفَتْحِ الجِيمِ وَتَخْفِيفِ الوَاوِ (على ما ضبطه الكثير من أهل العلم).

المعنى في حق الله تعالى: الجواد: الذي عم بجوده جميع الكائنات، وملأها من فضله، وكرمه، ونعمه المتنوعة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٩٥).

والجواد كثير الإنفاق؛ ولا يقول أخاف على مالي من الغناء؛ بل يعطي ولا يخاف.

وقد جاء الدنيا وليس له شيء. وأعطاه ربّه من الكثير، فعليه أن يعطي كثيراً. والله سيزيد له من فضله وبركته ونعمته. وقد جاء في الحديث **«ما من يوم يصبح العباد فيه، وإلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللَّهُمَّ اعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر: اللَّهُمَّ اعط ممسكاً تلفاً»** [رواه البخاري (١٤٤٢)]. وعلى هذا نقول للمسلم حذاري ثم حذاري لأنك على خطر عظيم بدعوة ملك عليك ودعوة الملك مستجابة بلا شك لذا فر من الآن قبل أن تصيبك دعوة الملك إلى المساكين والفقراء وقدّم لهم فيما أعطاك ربُّك وأمرك أن تؤتيهم في ماله الذي وكلك فيه.

ونقول أيضاً للمنفق الجواد اثبت على ما أنت عليه فأنت على خير وربك الجواد يفرح بك وزد في إنفاقك، سوف يزيد لك من خيره وكيف لا؛ والمَلك الذي يعبد الله بلا راحة ولا انقطاع ولا يعصيه أبداً، يدعو لك كل صباح أن يخلف الله لك في عطائه ورزقه ولذا زد على خيرك ثم زد على خيرك فالجواد يزيد لك من نعمائه ويعطيك من عطائه... ثم يدخلك رحمته.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله تعالى: يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته،**

فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطؤون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه»(١).

ثمار الإيمان بالاسم الجليل:

أن يكون المسلم جواداً كريماً لا بخيلاً لئيماً:

يقول ابن عباس: «كان رسولُ اللهِ ﷺ أجودُ الناسِ، وكان أجودَ ما يكونُ في رمضانَ، حين يلقاه جبريلُ» [رواه البخاري].

ويقول أنس: **«كان النبيُّ ﷺ أحسنَ الناسِ، وأجودَ**

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٧٧)، وأحمد (٢١٤٥٨).

الناسِ، وأشجعَ الناسِ، ولقد فَزِعَ أهلُ المدينةِ ذات ليلةٍ، فانطلق الناسُ قبلَ الصوتِ، فاستقبلهم النبيُّ ﷺ قد سبق الناسَ إلى الصوتِ، وهو يقولُ: لم تُراعوا لم تُراعوا؛ وهو على فرسٍ لأبي طلحةَ عُريٍ ما عليه سرجٌ، في عُنُقِه سيفٌ، فقال: لقد وجدتُه بحراً، أو إنه لبحرٌ». [رواه البخاري].

وفي «الصحيحين» واللفظ لمسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا.

وفي «صحيح مسلم» عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلاً سأل النبي ﷺ غنماً بين جبلين، فأعطاه إياه، فأتى قومه فقال: أي قوم! أسلموا، فوالله! أن محمداً ليعطي عطاء ما يخاف الفقر، فقال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها.

۞ ۞ ۞



الفتاح

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ۝٨٩﴾ [الأعراف: ٨٩].

قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [فاطر: ٢].

قال ابن القيم في نونيته في بيان عن هذا الاسم:

وكذلك الفتاح من أسمائه والفتح في أوصافه أعران

...بحكم وهو شرع إلٰهنا والفتح بالأقدار فتح ثان

قال العلامة السعدي في شرح الأبيات: «فالفتاح هو الحكم المحسن الجواد، وفتحه تعالى قسمان:

أحدهما: فتحه بحكمه الديني وحكمه الجزائي.

والثاني: الفتاح بحكمه القدري. ففتحه بحكمه الديني هو شرعه على ألسنة رسله، جميع ما يحتاجه المكلفون ويستقيمون به على صراط المستقيم. وأما فتحه بجزائه فهو فتحه بين أنبيائه ومخالفيهم وبين أوليائه وأعدائهم بإكرام الأنبياء وأتباعهم ونجاتهم، وبإهانة أعدائهم وعقوبتهم وكذلك فتحه يوم القيامة، وحكمه بين الخلائق حين يوفي كل عامل ما عمله. وأما فتحه

القدري فهو ما يقدره على عباده من خير وشر ونفع وضرر وعطاء ومنع، قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [فاطر: ٢].

فالرب تعالى هو الفتاح العليم الذي يفتح لعباده الطائعين خزائن جوده وكرمه، ويفتح على أعدائه.. ذلك، وذلك بفضله وعدله الحق الواضح المبين [٤٤ ـ ٤٥]».

الفتاح هو الذي يفتح أبواب الخير لعباده وهو الذي يفتح القلوب ويسر العيون.

وروده في القرآن الكريم:

أولاً: ورد اسم الله الفتـاح مرة واحدة: في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٦﴾ [سبأ: ٢٦].

ثانياً: وورد مرة واحدة بصيغة الجمع: في قول الله ﷻ: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ۝٨٩﴾ [الأعراف: ٨٩].

ثالثاً: المعنى في حق الله تعالى: الفتاح: هو الحاكم الذي يحكم بين عباده بالحق.

وهو الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده.

وهو الناصر الذي ينصر عباده المؤمنين.

رابعاً: تأملات في رحاب الاسم الجليل: اسم الفتاح له معنيان:

المعنى الأول: الفتاح الذي يحكم بين العباد فيما هم فيه يختلفون.

كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف: ٨٩].

قال ابن كثير: «أي: افصل بيننا وبين قومنا، وانصرنا عليهم، ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾؛ أي: خير الحاكمين، فإنك العادل الذي لا يجور أبداً».

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سبأ: ٢٦].

فهو سبحانه الذي يظهر أهل الحق على الباطل بحكمه فيظهر المظلوم وصدقه ويفضح الظالم وكذبه.

وقد سمى الله تعالى يوم القيامة بيوم الفتح.. لأنه يوم القضاء بين العباد، يقول تعالى ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [السجدة: ٢٩].

والمعنى الثاني: فتحه لعباده جميع أبواب الخيرات والبركات:

قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢].. فالأمر بيد الله وحده، فهو الذي يفتح لعباده أبواب

الرحمة والأرزاق المتنوعة، فما يأتيهم من خير، أو رزق، فلا يقدر أحد أن يمنعه، وما يمسك ﷻ ويمنع، فلا يستطيع أحد أن يرسله، فعنده الخزائن وبيده الخير، وهو الجواد المنان الفتّاح، يفتح ما انغلق من الأمور والأحوال، فييسرها منه كرماً، ويتفضل بقضاء الحوائج وتفريج الكربات.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

أي: لو أنهم امتثلوا لأمرنا، لكان جزاء ذلك أن يُفتِحَ لهم من رحمته وأن يُنزل عليهم من فيض رزقه ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

ويفتح بلطفه وتوفيقه بصائر الصادقين فيرون الحق ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [هود: ٨٨].

فيسهّل لهم سبل الخير والطاعة، وييسرها عليهم، ويهديهم إليها ويسوقهم لها، بحوله وقوته لا بحولهم وقوتهم.

وهو الذي يفتح على من يشاء من أبواب الطاعات والقربات على تنوعها وألوانها وصنوفها، على درجاتها، فمن الناس من يفتح عليهم في القرآن، والعناية به، وحفظه، وتجويده، وضبطه، وإتقانه، وتلاوته، والقدرة على تعليمه.

ومن عباده من يفتح عليه في الصلاة فتكون قرة عينه في الصلاة.

ومنهم من يفتح له في الدعاء، ومنهم من يفتح له في الصيام حتى إنه ليصوم يوماً ويفطر يوماً، وهو سهل عليه.

ومنهم من يفتح له في صلة الأرحام، فلا يزال يزورهم، ويحسن إليهم، ويبرهم، ويأتيهم ويأتونه فيدعوهم وهكذا... يفتح عليه في باب الصلة والبر.

ومنهم من يفتح له في مساعدة المحتاجين وإغاثة الملهوفين، ورعاية الأيتام والمعاقين، وتفريج كربات المكروبين، وتسديد ديون الغارمين، وكفالة المساكين والمرضى المعوزين، وحمل الأرامل والفقراء، ورعايتهم، ومواساتهم وهكذا..

ومنهم من يفتح عليه في باب الاحتساب، فيأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر لا يخاف في الله لومة لائم، ويصبر على الأذى، ولا يزال يتبع المنكرات ويتتبعها ويحذر منها، وينهى عنها... فيكون على يديه من الخير ما يكون.

ومنهم من يفتح عليه في أبواب الشفاعة والإصلاح بين الناس، فيفك أسيراً، ويحقن دماً، ويمنع باطلاً، ويحجز ظلماً، ويقيم حقّاً، ويسعى في الإصلاح بين المتخاصمين، وهكذا.. ترد الزوجة إلى زوجها، والزوج إلى زوجته بمثل جهوده.

قال معروف: إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب العمل، وأغلق عليه باب الجدل، وإذا أراد بعبد شرّاً أغلق عليه باب العمل وفتح عليه باب الجدل».

وقد يفتح الله على بعض عباده في تعليم العلوم، فمنهم من فتح عليه في تعليم التوحيد، وعقيدة الإسلام، ومنهم من فتح عليه في تعليم الحديث، وتعلم فنونه، ومصطلحه، وتمييز صحيحه من سقيمه، وتبويبه ومعاني غرائبه وألفاظه، ومنهم من فتح له في الفقه، ومذاهبه، وأقوال العلماء فيه، والتمييز بينها، ومعرفة الراجح منها، ومنهم من فتح له في التفسير، ومعرفة كلامه، ومعانيه، وما فيه من الأحكام والأسرار العظيمة.

ومن العلماء من فتح له في العلم في تصنيفه وجمعه، ولذلك تراهم يسمون كتبهم فتح الباري، فتح المنعم، فتح المغيث، فتح الوهاب، فتح المعين، فتح القدير، فتح العزيز، فتح المجيد، فتح رب البرية، الفتح الرباني، وهذه كلها أسماء كتب لعلماء المسلمين.

والفتح الذي يفتح الله به على عباده يكون له علاقة مباشرة بطهارة قلوبهم، واتّباعهم لما يحبه، واجتنابهم لما يبغضه.

ويكون من الفتح أيضاً الإلهام الذي يلهمه الله تعالى من يشاء من عباده، فيكون ملهماً موفقاً مصيباً للحق لا يختار بين أمرين، إلا اختار الأصوب، قال عليه الصلاة والسلام: **«لقد كان فيمن كان قبلكم رجال محدثون** ـ يعني: ملهمون ـ **يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن في أمتي منهم أحد فإنه عمر بن الخطاب»** [رواه البخاري ومسلم].

فيجري الصواب على لسانه، كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث آخر: وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه**»، وقال ابن عمر: «ما نزل بالناس أمر قط، فقالوا فيه، وقال فيه عمر، إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر»[1].

ولذلك كثرت موافقاته لربه، كما كان يتمنى أن تنزل الصلاة عند مقام إبراهيم فنزلت، قال: يا رسول الله: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

قلت: يا رسول الله: لو أمرت نسائك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب.

واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن، فنزلت هذه الآية على لفظ عمر.

وكذلك وافق ربه في شأن أسارى بدر، وجاءت موافقته في منع الصلاة على المنافقين، وأيضاً في تحريم الخمر.

قال ابن حجر رحمه الله: «وقفنا منها على خمسة عشر موضعاً، وكان لعمر بصيرة نافذة، وفراسة ثاقبة، قال مرة

---

(١) صحيح: أخرجه ابن حبان (٦٨٥٦)، وأحمد (٥٦٩٧)، والترمذي (٣٦٨٢)، «صحيح الجامع» (١٧٣٦)، و«المشكاة» (٦٠٣٣).

لرجل: ما اسمك؟ قال: جمرة، قال: ابن من؟ قال: ابن شهاب، قال: مِن مَن؟ قال: من الحرقة، هذا البطن الذي هو منه من القبائل، قال: أين مسكنك؟ قال: بحرّة النار، قال: بأيها ـ حرة النار واسعة ـ قال: ذات لظى، قال عمر: أدرك أهلك فقد احترقوا، فذهب الرجل فكان كما قال عمر رضي الله عنه» [رواه مالك في «الموطأ»].

هذه أنوار يقسمها الله كيف يشاء ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٤٠].

أسباب فتح الله على العبد:

إن للفتح من الله على العبد أسباباً منها:

التوكل عليه واللجوء إليه، ودعاؤه والطلب منه، والركون إلى جنبه، فإن العبد إذا عقد أمله بالله، ولم يرج إلا الله، ولم يدع غيره، ولم يثق إلا به، ولم يتوجه إلا إليه، فتح الله عليه ما أغلق من الأبواب، وما استعصى من المسالك، وهذا الصدق في قلب العبد هو السبب في توفيق الرب سبحانه وتعالى، فإذا ركن العبد إلى ربه، فتح عليه من رحمته، وسكون قلبه، وطمأنينة نفسه، حتى لو كان مسجوناً مأسوراً في جب عميق، ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الكهف: ١٦].

قال شيخ الإسلام، وهو في حبسه بالإسكندرية: «إني والله العظيم في نعم من الله ما رأيت مثلها في عمري كله، وقد

فتح الله سبحانه من أبواب فضله ونعمته، وخزائن جوده ورحمته، ما لم يكن بالبال، ولا يدور في الخيال.

والفتاح يحب أن نتعامل مع سننه في الكون ونأخذ بالأسباب؛ فالجوارح تعمل وقلوبنا متعلقة به تنتظر فتحه ونصره ﷻ، وقد يؤخر الله علينا الفتح ليختبر ثقتنا به؛ لنقف على الباب طويلاً؛ لنبقى بين يديه طويلاً نسأله ونرجوه ونبتهل إليه، وفي هذا المعنى يقول أحد العلماء: لا تسأم من الوقوف على بابه ولو طردت، ولا تقطع الاعتذار ولو رددت، فإذا فتح الباب للمقبولين فادخل دخول المتطفلين، وقل له مسكين فتصدق علي، فإنما الصدقات للفقراء والمساكين وأنا فقير ومسكين.

ويقول حسان بن ثابت:

ببابك لن أغادره ولن أسعى إلى غيرك
سأنسج بالرضا ثوبي وأَشْرُف أنني عبدك

تعلم الرجاء في الله من طفل:

ويقول الفضيل بن عياض: تعلمت الرجاء في الله من طفل صغير!! قالوا: كيف ذلك؟!! قال: كنت في طريقي إلى المسجد، فإذا بأم تفتح باب بيتها وتُلقي منه طفلاً صغيراً وأُغلق الباب، وبعدها وقف الصغير على الباب يبكي ويستعطف ويرجو، فرقت له أمه ففتحت له وضمته إليها.

فقلت سبحان الله، هذا طفل وقف بباب أمه يبكي ويستعتب (يعتذر) ففتحت له ولو وقف العبد بباب ربه يبكي ويستعتب لفتح له..... فسبحان الله.

عندما يأتي الفتح:

والفتاح يأتي بالفتح من حيث لا ندري، فيوسف عليه السلام سُجن تسع سنين وسجْنه هذا قمة الفتح؛ لأنه لو لم يسجن لما كان تعرف على ساقي الملك، فيرى الملك الرؤيا، ويفسرها له يوسف، ولو كان خرج من السجن مبكراً قبل رؤية الملك للرؤية ما كان عزيز مصر..... فكان سجنه ثم خروجه فتحاً عليه وعلى أهله وعلى أهل مصر وما حولها بخطته في مواجهة المجاعة.

الفتح نوعان:

فتح إنعام على المؤمنين، **وفتح** استدراج على العصاة والكافرين.

ـ فأما فتح الإنعام:

فالمقصود به ما يفتحه الله على من يشاء من عباده من الحكمة والعلم والفقه في الدين، بحسب التقوى والإخلاص والصدق، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

ففتح الإنعام ثمرة من ثمرات التقوى فحينما يفتح الله على

أمة من الأمم أو عبد من عباده لا يرزقهم بركة واحدة وإنما يرزقهم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ هكذا. . «بركات من السماء والأرض» مفتوحة بلا حساب، من فوقهم ومن تحت أرجلهم، بلا تحديد ولا تفصيل، فهي البركات بكل أنواعها وألوانها، وبكل صورها وأشكالها، ما يعهده الناس وما لا يخطر لهم ببال؛ فالبركات الحاصلة مع الإيمان والتقوى، بركات في الأشياء، وفي النفوس، وفي طيبات الحياة. . وليست مجرد وفرة مال وترف مع الشقاء والتردي والانحلال.

ـ فتح الاستدراج:

وقد يفتح الله على بعض أهل المعاصي من الرزق ما يغترون به، ويكون سبباً في هلاكهم، وهذا من مكر الله بهم، استدراجاً لهم إذا تركوا ما أمروا، ووقعوا فيما نهوا عنه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤].

روى الإمام أحمد في «مسنده» من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج»**، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤].

فلنتأمل الآية وكيف انتقل القوم من حال إلى حال، باستدراج من الله ومكر، أولاً: نسوا ما ذكروا، أعرضوا، عصوا، وعاندوا.

بعد ذلك ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤] من صنوف النعم فظنوا أو توهموا أن الله راض عنهم، فلماذا أعطاهم إذا كان ساخطاً عليهم؟، فجاء التلبيس من إبليس.

فلما غمرتهم النعمة ﴿فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ عندما أتى العطاء من أبواب متعددة، باب كل شيء ﴿أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ فجأة، انتقم الله منهم، وهم غافلون، فكان الواقع الأليم لهذا الانتقام ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ الإبلاس: الحَيرَة واليأس، ومنه سُمِّيَ إبليس؛ لأنه أبلَسَ من رحمة الله: أي: يَئسَ منها وتحيَّر.

فمعنى مُبلِسون: أي: نادمون ساكتون متحسّرون على ما فَرَطَ منهم.

الإيمان باسم الله الفتاح يستلزم معرفة أنه الفتاح لكل خير وهو صاحب مفاتيح للأبواب المغلقة من الحاجيات؛ إذن هو الذي يرجى عنه ويدعى. وعلى هذا ينبغي على العبد التوجه إلى الله وحده في طلب الفتح له من جميع الأمور، كبيراً كان أم صغيراً فهو الفتاح العليم يفتح لك ولا يبالي ويقضي حاجتك بلا عوض ﷻ رب العالمين.

ثمار الإيمان بالاسم الجليل:

ـ الله تبارك وتعالى هو الحاكم بين عباده في الدنيا والآخرة؛ يحكم بينهم بالقسط والعدل، فالله جل جلاله لا تخفى عليه خافية، وهو سبحانه لا يحتاج إلى شهود ليحكم بين خلقه وما كان غائباً عما حدث في الدنيا.. يقول تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأعراف: ٧].

ويقول جل جلاله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١].

ـ الفتح والنصر من الله تبارك وتعالى؛ فهو يفتح على من يشاء ويذل من يشاء.. وقد نسب الله تعالى الفتح إلى نفسه؛ ليُنبه عباده على طلب النصر والفتح منه لا من غيره، لذلك قال الله تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ [المائدة: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف: ١٣].

ـ دوام التوكُّل أن تعتمد على الله تبارك وتعالى قبل الأخذ بالأسباب، وأن تطلب منه وحده مفاتيح الخير.

ـ كن مفتاحاً للخير، ارفع للخير راية: يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن هذا الخير خزائن ولتلك الخزائن مفاتيح، فطوبى لعبدٍ**

جعله الله ﷻ مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، وويلٌ لعبدٍ جعله الله مفتاحاً للشر مغلاقاً للخير» [رواه ابن ماجه وحسنه الألباني].

ـ اللجوء إلى الله في الأمور كلها في الشدة والرخاء في السراء والضراء.... في طلب الرزق وفي طلب العلم، وفي تيسير العسير، وتفريج الكربات، وطلب النصر، فهو سبحانه الفتاح العليم.

ـ أن ندعو الله تعالى باسمه الفتاح:

ومن الأدعية الواردة في القرآن والسُّنَّة: **«رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ»**.

واللَّهُمَّ افتح لي أبواب رحمتك: عند دخول المسجد قال رسول الله ﷺ: **«إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللَّهُمَّ افتح لي أبواب رحمتك. وإذا خرج فليقل: اللَّهُمَّ إني أسألك من فضلك»** [رواه مسلم].





المجيب

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود: ٦١].

«**المجيب**» اسم فاعل، من أجاب، يجيب، فهو مجيب، والإجابة رد السؤال.

والإجابة كذلك إجابة المحتاج بالعطية والنوال، وإعطاء الفقير عند السؤال، فللمجيب معنيان، إجابة السائل بالعلم وإجابة الطالب لشيء بالعطاء.

وروده في القرآن الكريم:

ورد هذا الاسم معرفاً في القرآن الكريم في قوله تعالى حكاية عن نبيِّه صالح: ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود: ٦١]. .

وورد بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الصافات: ٧٥].

اسم الله المجيب يدل على أن الله يسمع دعاء الداعين ويجيبهم ويحب أن يسأله العبادُ جميع حوائجهم الدنيوية كما يجب أن يسألونه الهداية والرشد والتوفيق والسداد، وهذا دليل

على كمال قدرته وملكه وأن خزانته لا تنقص بالعطاء، ولو أعطى كل الخلق. . . من الجن والإنس من الأوليين والآخرين مسألتهم. وجاء في الحديث القدسي قوله: «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقصه المخيط إذا أدخل البحر**». [رواه مسلم (٢٥٧٧)]. وما يدل أيضاً أن الله يستجيب لعباده ولا يرد دعائهم. الحديث الذي رواه سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفراً**» [رواه الترمذي وهو صحيح بهذا اللفظ أيضاً].

وعلى هذا نخاطب العبد الفقير أن لا يغفل في دعاء ربه المجيب في كل ما يحتاجه في الدارين بما ليس فيه قطيعة رحم ولا ظلم أحد ولا تعدي ويرفع يديه إلى السماء ويطلب من الله ما يريد مع توفير أسباب إجابة الدعاء بحلال المأكل والمشرب ويكون على يقين تامٍّ بإجابة الله له ويرفع يديه ويدعو ولا يتعجل في الإجابة وعليه أن يحمل هم الدعاء ولا يحمل هم الإجابة. وعلى هذا نقول لمن ضاقت عليه الدنيا بما رحبت ادعو الله وسيفرج عنك كربك، ويا أيها المظلوم ادعو الله سينصرك على ظالمك. وادعوا الله جميعاً في أموركم يسمعكم وسيجيبكم، وكيف لا وقد قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

تأملات في رحاب الاسم الجليل:

خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ، وَسَيَّرَهم وِفْقَ مَشِيئَتِهِ، وَدَبَّر شُؤُونَهم بِحِكْمَتِهِ، واسْتَغْنَى عَنْهُمْ بِذَاتِهِ، فَكَانُوا الفُقَرَاءَ إِلَيْهِ فَقْراً تَاماً مِنْ أَوَّلِ أَمْرِهِمْ إِلَى آخِرِهِ، فَمِنْهُ وُجُودُهُمْ، وَإِلَيْهِ مَرَدُّهم، وَعَلَيْهِ اعْتِمَادُهُمْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهم وَتَصَرُّفَاتِهِم فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فاطر: ١٥ ـ ١٧].

لِهَذَا كَانَ الدُّعَاءُ مِنْ أَفْضَلِ الوَسَائِلِ التي يَضْرَعُ بِهَا العَبْدُ إِلَى ربِّهِ لِقَضَاءِ حَوَائِجِهِ وتَحْقِيقِ مَطَالِبِهِ الدِّينِيَّةِ والدُّنْيَوِيَّةِ.

وَذَلِكَ لأَنَّهُ تَعْبِيرٌ صَادِقٌ عَنِ العُبُودِيَّةِ الخَالِصَةِ، وَوَفَاءٌ بِحَقِّ الرُّبُوبِيَّةِ بِقَدْرِ طَاقَةِ العَبْدِ وَوُسْعِهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ ـ قَطْعاً ـ أَنْ يُؤَدِّي للرُّبُوبِيَّةِ حقَّها مَهْمَا بَذَلَ فِي ذَلِكَ مِنْ جُهْدٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج: ٧٤].

أَيْ: مَا عَرَفُوه حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، وَمَا عَبَدُوهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ، وَمَا شَكَرُوهُ حَقَّ شُكْرِهِ، لَكِنَّهُمْ عَرَفُوهُ وَعَبَدُوهُ وَشَكَرُوهُ بِقَدْرِ طَاقَتِهِم، فَقَبِلَ اللهُ مِنْهُم مَا بَذَلُوهُ وَعَذَرَهم فِيمَا قَصَّرُوا فِيهِ.

والعَبْدُ إِذَا انْقَطَعَ عَنِ الدُّعَاءِ يَشْعُرُ بالكَرْبِ قَدْ أَلَمَّ بِهِ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَحَدَبٍ، وَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ يَعِيشُ وَحْدَهُ فِي غُرْبَةٍ مُوحِشَةٍ، وَيَجِدُ نَفْسَهُ في دَوَّامَةٍ مِنَ الهُمُومِ وَالأَحْزَانِ، فَيَضِيقُ

صَدْرُه وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانُهُ بِخَيْرٍ، فَإِذَا دَعَا اللهَ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، وَاجْتَهَدَ في الدُّعَاءِ وَالضَّرَاعَةِ، وَجَدَ نَفْسَهُ قَدْ أُلْهِمَتْ رُشْدَها، وأُوتِيَتْ تَقْوَاها، واسْتَرَدَّتْ رَوْحَهَا وَرَيْحَانَهَا، وَاسْتَعَادَتْ ثِقَتَهَا بِخَالِقِهَا، وَعَادَ إِلَيْهَا مَا فَقَدَتْهُ ـ بِسَبَبِ الغَفْلَةِ ـ مِنْ نُورٍ كَانَتْ تَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ.

والدُّعَاءَ الخَالِصَ هو الطرِيقُ إِلَى اللهِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ إِظْهَارِ الخُضُوعِ والذُّلِّ، والتَّمَسْكُنِ والتَّوَاضُعِ، وكَمَالِ الافْتِقَارِ إِلَى اللهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ، فيه يَكُونُ القُرْبُ، ولَهُ يَكُونُ الحُبُّ، وبه يَكُونُ الفَلَاحُ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

وَمِنْ فَوَائِدِ الدُّعَاءِ أَنَّهُ يَغْرِسُ في نُفُوسِ العِبَادِ العِزَّةَ؛ إِذْ يَلْجَأُ العَبْدُ في أَوْقَاتِ الشِّدَّةِ إلى اللهِ وَحْدَهَ، ولا يَلْجَأُ إلى أَحَدٍ سِوَاهُ، وهذه هي العِزَّةُ في أَسْمَى مَظَاهِرِهَا وأَرْقَى مَعَانِيهَا، فَهُمْ بِهَذِهِ العِزَّةِ مُلُوكٌ يُغْبَطُونَ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنْ نِعْمَةٍ. فَهَلْ هُنَاكَ أَعَزُّ وَأَكْرَمُ، وَأَقْوَى وَأَمْنَعُ، وأَغْنَى وأَعْظَمُ مِنْ عَبْدٍ اسْتَغْنَى بِخَالِقِهِ فَلَاذَ بِهِ وَلَمْ يَلُذْ بِسِوَاهُ!

وكان الإمام أحمد يقول: «اللَّهُمَّ كما صُنْتَ وجهي عن السجود لِغَيرِك، فَصُن وجهي عن مسألة غَيْرِك».

وَمِنْ فَوَائِدِ الدُّعَاءِ أَيْضاً أَنَّهُ يَنْقِلُ الدَّاعِي مِنْ صَخَبِ الحَيَاةِ وَضَوْضَائِها إلى رِحَابِ الْمنَاجَاةِ وصَفَائِها، ويَقْطَعُه ولَوْ لِفَتْرَةٍ مَحْدُودَةٍ عَنْ شَهَواتِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا ومَتَاعِها الزائِلِ لِيَصِلَه بِالمَلأ الأَعْلَى، وَيَجْعَلُهُ يَشْعُرُ بِاللذةِ الرُّوحِيَّةِ، والطُّمَأْنِينَةِ القَلْبِيَّةِ، وَالسَّعَادَةِ النَّفْسِيَّةِ، وفي ذلك مَا فِيهِ مِنَ الاسْتِعْدَادِ القَوِيِّ، والتَّهَيُّؤ الفَعَّالِ، لِحُسْنِ التَّحَوُّلِ إلى المُدَاوَمَةِ على ما يُرْضِي اللهَ، والعَزْمِ الأكيدِ على مُخالَفَةِ الهَوَى والشَّيْطَانِ.

أيضاً فَإِنَّ الإيمان بهَذَا الاسْمَ ينزع مِنْ نُفُوسِ المؤْمِنِينَ مَا قَدْ يُصِيبُها مِنْ يَأْسٍ وجَزَعٍ وَخَوْفٍ وَضَعْفٍ، وَيُشْعِرُهم بأَنَّ اللهَ قَرِيبٌ مِنْ عِبَادِهِ، يُجِيبُ الْمضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وهو مُوقِنٌ بالإجَابَةِ، ويَكْشِفُ عنه السُّوءَ بما شَاءَ وَكَيْفَ شَاءَ؛ فَهُوَ نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ وَنِعْمَ الْمجِيبُ.

وَعَلَى العَبْدِ حين يَدْعُو رَبَّهُ أَنْ يَسْتَحْضِرَ في قَلْبِهِ الشُّعُورَ بِأَنَّهُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ افْتِقَاراً تَاماً، فَإِنَّ هَذَا الشُّعُورَ يُوَلِّدُ شُعوراً آخَرَ، وَهُوَ تَعْظِيمُ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ، فَيَدْعُو وَهُوَ شَاكِرٌ، ودُعَاءُ الشَّاكِرِينَ لا يُرَدُّ.

وَبِهَذَا الشُّعُورِ المُزْدَوَجِ يَدْعُو العَبْدُ رَبَّه مِنْ غَيْرِ إِحْسَاسٍ بالجَزَعِ، الذي قَدْ يَعُوقُه عَنِ الإِخْلَاصِ فِيهِ؛ فَإِذَا قَالَ العَبْدُ: يَا رَب، شَعَرَ بَادِئَ ذِي بِدْءٍ بِأَنَّهُ عَبْدٌ فَقِيرٌ يَدْعُو رَباً بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ

شَيْءٍ، وهو يُقَدِّمُ بينَ يَدَي دُعَائِهِ أَنَّهُ مَغْمُورٌ بِالنِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، وَإِنَّمَا يَدْعُوهُ إلى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ طَمَعاً في المَزِيدِ مِنْ وَاسِعِ رَحْمَتِهِ، وَلَكِنْ لَا يَقْوَى العَبْدُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا إِذَا غَذَّى قَلْبَه وعَقْلَهُ وَرُوْحه بِذِكْرِ اللهِ؛ فَبِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ، وتَسْلَمُ مِنْ هَوَاجِسِ النَّفْسِ وَوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ، يقولُ اللهُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨].

فَضْلُ الدُّعَاءِ:

ـ الدُّعَاءُ عِبادَةٌ نَتَقَرَّبُ بِهَا إلى اللهِ:

رَوَى التِّرْمِذِيُّ ـ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ ـ عَنِ النُّعْمَانِ بنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

فَفِي هَذَا الحَدِيثِ يُبَيِّنُ لنَا النَّبِيُّ أنَ اَلدُّعَاءَ مِنْ أَفْضَلِ العِبَادَاتِ فَقَالَ: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**»؛ أَيْ: رَأْسُ العِبَادَاتِ، أَوْ لُبُّهَا، أو أَفْضَلُها؛ فَيَنْبَغِي للمُسْلمِ أَنْ لَا يَغْفَلَ عَنْ هَذِهِ العِبَادَةِ العَظِيمَةِ الجليلَةِ.

ـ الدُّعَاءُ يَرُدُّ عَنْكَ المَصَائِبَ قَبْلَ وُقُوعِها:

فَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لا يرد القضاء إلا الدعاء**».

فَقَدْ يَدْعُو الشَّابُّ أَنْ يَنْجَحَ هذا العَامَ، فَلَمْ يَسْتَجِبِ اللهُ لَهُ، فَيَظُنُّ أَنَّ دُعَاءَهُ ذَهَبَ سُدًى، ولَكِنَّ اللهَ قَدْ يَدْفَعُ عَنْهُ مُصِيبَةً أَوْ حَادِثاً أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ بِسَبَبِ الدُّعَاءِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَاهُ البُخَارِيُّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«ما من مسلمٍ يدعو، ليس بإثمٍ، ولا بقطيعة رحمٍ، إلا أعطاه الله إحدى ثلاثٍ: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها»**، قَالَ: إِذاً نُكْثِرُ، قَالَ: **«الله أكثر»**.

- الدُّعَاءُ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ المَغْفِرَةِ:

عن أنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرةً»** [رواه التّرمذيّ وحسّنه، وذكره الألبانيّ في الصحيحة وحسّنه بشواهده].

شُرُوطُ وآداب الدُّعَاءِ:

- الإِخْلَاصُ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [غافر: ١٤].

وَالإِخْلَاصُ: هُوَ صِدْقُ النيةِ فِي التَّوَجُّه إلى اللهِ وَحْدَهُ، مَعَ اليقينِ بِأَنَّ اللهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

ـ اسْتِحْضَارُ القَلْبِ أَثْنَاءَ الدُّعَاءِ:

عن أبي هريرة أن النَّبِيَّ ﷺ قال: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ**» [روى الترمذيّ وحسّنه الألبانيّ].

ورأى كليم الله موسى عليه السلام رجلاً عند قطيع الغنم يدعو ويصر في الدعاء، فقال موسى: يا رب لو كان الأمر بيدي لاستجبت له، فقال الله عز وجل: يا كليمي أنت لا تعرفه صاحبك يدعوني بلسانه وقلبه عند غنمه وأنا لا أستجيب لعبد لسانه معي وقلبه مع غيري.

ـ أَكْلُ الحَلَالِ:

إِنَّ أَكْلَ الحَرَامِ قَدْ يَمْنَعُ إِجَابَةَ الدُّعَاءِ، عن أبي هريرة أن رسول اللهِ ﷺ قَالَ: («**أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك) [رواه مسلم].

ومعنى الحديث: أن التعامل بالمال الحرام أكلاً ولباساً وتغذية مانع لإجابة دعاء الداعي مهما توفرت أسباب الإجابة

من السفر، والتبذل، ورفع الأيدي، والإلحاح، وغيرها. قال بعض السلف: (لا تستبطئ الإجابة وقد سددت طرقها بالمعاصي).

- أَنْ لَا يَدْعُوَ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ:

روى مسلمٌ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل**»، قيل: يا رسول الله! ما الاستعجال؟ قال: «**يقول: قد دعوت، وقد دعوت، فلم أر يستجب لي، فعند ذلك يستحسر ويدع الدعاء**».

الإِثْمُ: الذَّنْبُ، كَأَنْ يَدْعُو اللهَ أَنْ يُمَكِّنَهُ مِمَّا لَا يَحِلُّ لَهُ: كَسَرِقَةٍ وَزِنَا وَنَحْوِهِمَا، قَطِيعَةُ الرَّحِمِ: الدُّعَاءُ عَلَى أَقَارِبِهِ وَأَرْحَامِهِ.

- عَدَمُ الاعْتِدَاءِ في الدُّعَاءِ:

قَالَ قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾ [الأعراف: ٥٥].

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ مَا مُلَخَّصُهُ: «الاعْتِدَاءُ فِي الدُّعَاءِ تَارَةً يَكُونُ بِسُؤَالِ مُحَرَّمٍ، وتَارَةً يَكُونُ بِأَنْ يَسْأَلَ اللهَ مَا يُنَافِي حِكْمَتَه؛ كَأَنْ يَسْأَلُهُ أَنْ يُخَلِّدَه إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، أَوْ أَنْ يَعِيشَ بِلَا طَعَامٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ». اهـ.

أَمْثِلَةٌ للاعْتِدَاءِ في الدُّعَاءِ:

رَوى أَحْمَدُ ـ وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيح الجَامِع» ـ عنْ سعدِ بنِ أبِي وَقَّاصٍ أَنَّهُ سَمِعَ ابناً له يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وأَسْأَلُك مِنْ نَعِيمِهَا وَبَهْجَتِهَا، وَمِنْ كَذَا وَمِنْ كَذَا، وَمِنْ كَذَا وَمِنْ كَذَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَسَلَاسِلِهَا، وَأَغْلَالِها، وَمِنْ كَذَا وَمِنْ كَذَا. . .

فقال: لقد سألت الله خيراً كثيراً، وتعوّذت بالله من شرٍّ كثيرٍ، وإنّي سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ: **«سيكون قوم يعتدون في الدعاء»** وَقَرَأَ هَذِهِ الآية: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾ [الأعراف: ٥٥]. وَإِنَّ حسبك أن تقول: **«اللَّهُمَّ إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قولٍ أو عملٍ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قولٍ أو عملٍ»**.

وَرَوَى أَحْمَدُ وَصَحَّحَهُ الحَاكِمُ وَالذَّهَبِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ أَنَّهُ سَمِعَ ابنه يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ القَصْرَ الأَبْيَضَ عَنْ يَمِينِ الجَنَّةِ إِذَا دَخَلْتُها.

فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، سَلِ اللهَ الجَنَّةَ، وعُذْ بِهِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«يكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور»**.

- **التَّضَرُّعُ وَخَفْضُ الصَّوْتِ:**

قَالَ قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥].

قَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ: «كَانَ الْمسْلِمُونَ يَجْتَهِدُونَ في الدُّعَاءِ وَمَا يُسْمَعُ لَهُمْ صَوْتٌ، إِنْ كَانَ إِلَّا هَمْساً بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهم».

وفي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: رَفَعَ النَّاسُ أَصْوَاتَهُمْ بالدُّعَاءِ، فَقَالَ ﷺ: **«أيها الناس، أربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إن الذي تدعون سميع قريب»**.

- **رَفْعُ اليَدَينِ أَثْنَاءَ الدُّعَاءِ:**

عن سلمان الفارسي أن رسول الله ﷺ قال: **«إن ربكم حيي كريم، يستحيي أن يبسط العبد يديه إليه فيردهما صفراً»**، أو قال: **«خائبتين»** [رواه أحمد والترّمذيّ].

- **أَنْ يَبْدَأَ بِحَمْدِ اللهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ والصَّلاةِ على النَّبِيِّ ﷺ:**

فَقَدْ رَوَى التِّرمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ عنِ ابنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي، والنَّبِيُّ ﷺ وَأَبو بَكْرٍ وَعُمَرُ مَعَهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَدَأْتُ بِالثَّنَاءِ عَلَى اللهِ تَعَالَى ثُمَّ الصَّلاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ دَعَوْتُ لِنَفسِي، فَقَالَ النَّبيُّ: **«سل تعطه، سل تعطه»**.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ ـ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ ـ عَنْ فَضَالَةَ بنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلاً يَدْعُو في صَلَاتِهِ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**عجل هذا، إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه سبحانه والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بما شاء**».

ـ يَعْزِمُ المَسْأَلَةَ وَلَا يَسْتَثْنِ:

فَفِي «الصَّحِيحَينِ» عن أبي هريرة مرفوعاً: «**لا يقولن أحدكم: اللَّهُمَّ اغفر لي إن شئت، اللَّهُمَّ ارحمني إن شئت، ليعزم الدعاء؛ فإن الله صانعٌ ما شاء، لا مكره له**».

ـ تَكْرَارُ الدَّعْوَةِ ثَلَاثاً:

رَوَى مُسْلِمٍ عَنِ ابنِ مَسْعَودٍ قَالَ: «وَكَانَ ﷺ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثاً، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثاً».

وَعِنْدَ أَبِي دَاودَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ: «أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ يَدْعُوَ ثلاثاً وَيَسْتَغْفِرَ ثلاثاً».

أَوْقَاتُ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ:

ـ جَوْفُ الليلِ:

مسلم عن جابرٍ مرفوعاً: «**إن في الليل لساعة لا يوافقها رجلٌ مسلمٌ يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة**».

وَحُدِّدَتْ هَذِهِ السَّاعَةُ: فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلةٍ إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر... يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**».

- سَاعَةُ الجُمُعَةِ:

ففي «الصحيحين» عن أبي هريرة مرفوعاً: «**إن في الجمعة لساعةً لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ وهو قائمٌ يصلي، يسأل الله خيراً إلا أعطاه إياه وأشار بيده يقللها**»، وعند مسلم: «**وهي ساعةٌ خفيفةٌ**».

وَعِنْدَ أَبِي دَاودَ والحاكِمِ وَصَحَّحَهُ ووافقَهُ الذَّهبيُّ عنْ جَابِرٍ مَرْفُوعاً: «**يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعةً، منها ساعةٌ لا يوجد مسلمٌ يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه إياه، فالتمسوها آخر ساعةٍ بعد العصر**».

- دَعْوَةُ الصَّائِمِ وَالمُسَافِرِ:

البَيْهَقِيُّ في «الشُّعَبِ» وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ عن أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً: «**ثلاث دعواتٍ مستجاباتٍ: دعوة الصائم، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر**».

- بَيْنَ الأَذَانِ والإِقَامَةِ:

فَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعاً: «**الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة**».

وَعِنْدَ أَبِي يَعْلَى: «الدُّعَاءُ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ مُسْتَجَابٌ فادْعُوا».

ـ حَالُ السُّجُودِ:

وفي «صَحِيحِ مُسْلِم» عَنْ أَبِي هُريرةَ: **«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجدٌ، فأكثروا الدعاء»**.

ثمار الإيمان بالاسم الجليل:

أولاً: محبته سبحانه والأعتصام به؛ لأن الإيمان بقربه سبحانه القرب الخاص المستلزم للرحمة، وإجابة الدعوة، واللطف بعبده يثمر المحبة والطمأنينة والأعتصام به سبحانه، وطلب العون منه وحده.

ثانياً: قوة الرجاء في الله سبحانه، وعدم اليأس من رحمته، والتضرع بين يديه فهو قريب لمن ناجاه مجيب لمن دعاه، وهذا يثمر الأمل والرَّوح في القلب، ويزرع حسن الظن به سبحانه في قضاء الحاجات وتفريج الكربات، ويفتح باب الدعاء والتضرع من العبد لربه سبحانه، ويخلص القلب من شوائب الشرك والتعلق بالمخلوقين.

ثالثاً: أن يقضِيَ حوائِج الطالِبين، لِيَقْضِيَ الله حاجَتَه. والله في عَوْن العبد ما كان العبد في عَوْن أخيه.

رابعاً: لا تستَعْظِم شيئاً تسأله الله، فالله ﷻ لا يُعْجِزُه شيء، ولا تستعظم السؤال إطلاقاً فالله على كل شيء قدير قال ﷺ: **«إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»** [رواه البيهقي بسند صحيح].



النصير

قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [النساء: ٤٥].

قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال: ٤٠].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: ٧٨]؛ يعني: نعم المولى ونعم النصير من الأعداء. [«تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٣٠)]. وقال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: عند قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [النساء: ٤٥] «ينصرهم على أعدائهم، ويبين لهم ما يحذرون منهم، ويعينهم عليهم فولايته تعالى: فيها حصول الخير، ونصره، فيه زوال الشر [«تفسير السعدي» (٣/ ٢٣٠)]».

معنى «النصير»: هو الذي تولى نصر عباده وتكفل بتأييد أوليائه والدفاع عنهم والنصر لا يكون إلا من عنده وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران: ١٢٦].

الإيمان بنصر الله يستلزم الثقة الكاملة لله سبحانه في نصرة عباده وعدم الخوف من العدو مهما كانت قوتهم ويستلزم التوكل الكلي لله سبحانه.

وعلى هذا يجب على العبد المسلم الرجوع إلى الله في

الكل. ولا يطلب العون إلا منه، ولا يرجو النجاة إلا منه ولا يرجع إلا إليه ولا إله إلا هو سبحانه، ولا يغتر بقوة الكافرين وليست إلا استدراج في زمن يسير يوشك أن تزول. فعلى المؤمنين أن يثقوا في نصرة الله لهم ويستقيموا على دينه حق الاستقامة وسينصرهم الله على أعدائهم، ويرفع شأنهم عليهم، ويعينهم على قيادتهم، لكن الأمر يحتاج قوة اليقين بالله والقيام على حدوده حتى يحقق لهم ذلك، وقال الحق سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد: ٧]، وقال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧].

النصير كمالٌ في الوصف ومبالغة فيه: ودالّاً على كمال الوصفية، وهو صيغة مبالغة، وصيغ المبالغة تعني شيئين؛ تعني مبالغة الكَمّ، ومبالغة النوع؛ أي: مهما يكن العدو قويّاً فالله هو النصير، ومهما تكن الأعداء كثيرة فالله ﷻ نصير.

الآيات والأحاديث الوارد فيها اسم النصير:

الله نصير مع أقوى عدو، ونصير مع أكثر الأعداء تنوعاً، لذلك هذا الاسم ورد مطلقاً، وورد مقروناً باسم المولى في آيتين فقط.

الآيات: الآية الأولى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال].

الآية الثانية: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: ٧٨].

الأحاديث: وورد هذا الاسم أيضاً مقيداً في دعاء النبي عليه الصلاة والسلام، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا غَزَا قَالَ: «**اللَّهُمَّ أنت عضدي ونصيري، بك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل**» [الترمذي وأبو داود].

النصر من عند الله:

أول قواعد النصر أن النصر من عند الله، وحينما يتوهم المسلمون أن النصر من عند زيد أو عبيد فقد وقعوا في وهمٍ كبير، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ١٠].

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

أنواع النصر:

١ ـ النصر الاستحقاقي:

وإذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان عليك فمن معك؟ ولكن هناك نصر استحقاقي؛ فالمؤمن حينما يكون على ما ينبغي وينتصر فهذا نصر سماه العلماء النصر الاستحقاقي، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

كان أصحاب النبي من الافتقار ومن الاستقامة ومن التوحيد ما استحقوا به نصر الله ﷻ.

بالمناسبة، حينما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦ والأنفال: ١٠].

النصر الاستحقاقي ثمنه الإيمان والإعداد: معنى ذلك أنه من عند الله، ولكن له ثمن، ما ثمن هذا النصر؟ الإيمان والإعداد:

الإيمان: الإيمان الذي يحملك على طاعة الله ـ والإعداد المتاح فقط.

الآية الأولى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾ [الروم: ٤٧].

كلام خالق الأكوان، وزوال الكون أهون عند الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ۝٥١﴾ [غافر: ٥١].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥].

فالنصر سلعة لا يبيعها أحد إلا الله تبارك وتعالى. وليست ملكاً لأحد إلا الله.

درسان بليغان من معركة أُحُد وحُنين:

الآن نستنبط من وقعة أحد ووقعة حنين أن هناك درسين بليغان، الأول: حينما تقول: الله، يتولاك الله ﷻ، وحينما تقول: أنا، يتخلى عنك، وهذا الدرس نحتاجه كل يوم؛ بل كل ساعة، قل: أنا بعلمي، واختصاصي النادر، وخبراتي المتراكمة، ومالي العريض، وجاهي الكبير، يتخل الله عنك، في حرفتك، في مهنتك، لا تقل: أنا، أنا كلمة مهلكة، قل: الله، في زواجك، في عملك، في حرفتك، حينما تقابل عدوّاً فإذا قلت: الله، يتولاك الله، فإذا قلت: أنا، يتخلى عنك.

لذلك حينما نعتد بأنفسنا يتخلى الله عنا، «وما من مخلوق يعتصم بي من دون خلقي أعرف ذلك من نيته، فتكيده أهل السماوات والأرض إلا جعلت له من بين ذلك مخرجاً، وما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا جعلت الأرض هويّاً تحت قدميه، وقطعت أسباب السماء بين يديه».

النصر من عند الله فقط:

﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِى بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤﴾ [الروم: ٢ ـ ٤].

تبين أن أخفض نقطة في الأرض غور فلسطين، والروايات التاريخية تؤكد أن هذه المعركة التي جرت بين الروم والفرس كانت في غور فلسطين.

الروم أهل كتاب، وأهل الكتاب مشركون، ومع ذلك انتصروا، هذا النصر ليس استحقاقياً، ولكنه نصر تفضلي، فنحن في عبادتنا نقول: يا رب، إن لم نكن نستحق النصر الاستحقاقي فانصرنا نصراً تفضلياً، والنصر التفضلي؛ يعني: أن المنتصر ليس كما ينبغي، لكن حكمة الله اقتضت أن ينتصر، لذلك أثبت الله للصحابة الكرام وهم نخبة البشر فرحهم بهذا النصر.

هذا هو النصر التفضلي، إذا كانت فئة ليست كما ينبغي، وانتصرت على الكفار وأعداء الله فهذا شيء ينبغي أن نفرح له بنص هذه الآية.

وهناك نصر آخر، ما هو؟ نصر أصحاب الأخدود.

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾﴾ [البروج: ٤ ـ ٧].

هل انتصر أصحاب الأخدود؟

بالمقياس التقليدي لم ينتصروا، لكنهم انتصروا نصراً مبدئياً؛ لأنهم ثبتوا على إيمانهم بالله.

بالمناسبة، مسيلمة الكذاب قبض على صحابيين، وقال

للأول: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما سمعت شيئاً، فقتله، وقال للثاني: أتشهد أني رسول الله؟ قال: أشهد أنك رسول الله.

الآن استمعوا إلى ما قاله النبي الكريم عن هذه الحادثة، قال: أما الأول فأعز دين الله فأعزه الله، الذي قتل النبي عليه الصلاة والسلام عدَّه منتصراً؛ لأنه صمد على مبدئه، ومن هذا النوع من النصر ماشطةُ بنتِ فرعون، جاؤوا بأولادها الخمسة؛ لأنها قالت لما وقع المشط من يدها: يا الله، البنت قالت لها: ألك رب غير أبي؟ قالت: الله ربي ورب أبيك وربك، فحدثت أباها، فجاء بقدر من النحاس، وجعل فيه زيتاً مغليّاً، وجاء بأولادها الخمسة، وأمسك الأول، وقال: ألك رب غيري؟ قالت: الله ربي وربك، فألقى الأول في الزيت المغلي فظهرت عظامه طافية على سطح الزيت، وأمسك ولدها الثاني، ألك رب غيري؟ قالت: الله ربي وربك، فألقى الثاني، وألقى الثالث، وألقى الرابع، الخامس رضيع، فلما قال لها: ألك رب غيري؟ سكتت، تضعضعت، ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة، فأنطق الله ولدها الرضيع، قال: اثبتي يا أمي، فأنت على الحق، وألقاه في الزيت، ثم ألقاها في الزيت، هذه انتصرت نصراً مبدئيّاً؛ أي: ثبتت.

فلذلك النبي عليه الصلاة والسلام في الإسراء والمعراج شم رائحة لم يشم مثلها إطلاقاً، فقال: يا جبريل، ما هذه

الرائحة؟ رائحة طيبة جدّاً، قال: هذه رائحة ماشطة بنت فرعون، ففي النصر المبدئي يمكن أن لا تنتصر بالمقياس التقليدي، لكن ماتوا على الإيمان، وهذا نصر مبدئي، وفي هذا المعنى تسلية وتطمين لكل مَن قُتِل وهو على حق.

فالنبي قال: أما الأول فأعز دين الله فأعزه الله، القلق على من؟ على الثاني الذي قال: أشهد أنك رسول الله، يا الله ما أعظم هذا الدين! أما الثاني فقد قبل رخصة الله، ما كلف الله الإنسان فوق ما يستطيع، فلو أن الماشطة قالت: أنت ربي، فلا شيء عليها، ولكن لو أخذ كل المؤمنين بالرخص ما بقي هناك بطولات؛ فالإمام أحمد بن حنبل لم يقبل بخلق القرآن، فدخل السجن، وعذب.

لذلك الأمة في حاجة لمن يدفع ثمن مبدئه غالياً، ولو أن كل إنسان أخذ بالرخص فلن نجدد في الأرض بطولات إطلاقاً.

قصص القرآن قوانين سارية في كل زمان ومكان:

لا أمل، فرعون من ورائهم، والبحر من أمامهم، فرعون بطغيانه وجبروته وحقده ولؤمه وقوته وراءهم، والبحر أمامهم.

﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢].

لذلك الله عز وجل يقلب القصص القرآنية إلى قوانين، سيدنا

يونس وهو في بطن الحوت: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

إذاً: أول نصر استحقاقي، والثاني تفضيلي، والثالث مبدئي؛ فالإنسان لا يعدم أن ينتصر نصراً مبدئيّاً، هذا بإمكانه.

الله ﷻ هو النصير، ولا نصير سواه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧].

أي: تدفعوا ثمن النصر إيماناً يحمل على طاعته وإعداداً للقوة المتاحة.

النصر بيد الله: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦ والأنفال: ١٠].

النصر الذي نتمناه له ثمن، إن دفعنا ثمنه وصلنا إليه، لذلك الله ﷻ يبين أن المؤمن الذي يحمله إيمانه على طاعة الله يحقق أحد شَرطي النصر.

شروط النصر: الإيمان والإعداد:

وللنصر شرطان كل منهما شرط لازم غير كاف، فلا بد من الإيمان الذي يحمل على طاعة الله، ولا بد من الإعداد، لقوله تعالى:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

أن نستسلم، أن نيئس، أن نحس بالإحباط، أن نقول:

انتهينا، هذا نُلام عليه، هذا يأس، واليأس كفر، هذا تشاؤم، والتشاؤم ليس من صفات المؤمن، لذلك لا بد وأن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء، وبعدها تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء.

عن أنسٍ قال: «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: **يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك**، فقلت: يا رسول الله، آمنّا بك، وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: **نعم، إنّ القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلّبها كيف يشاء**» [الترمذي].

كلُّ قوي جبّار بيد الله القوي الجبّار، فلا تخش أحداً إلا الله:

الآن ما علاقة هذا الحديث بالنصر؟ هذا الذي تراه قويّاً، هذا الذي تراه طاغية قلبه بيد الله، كشاهد على هذه الفكرة.

الإمام الحسن البصري من كبار التابعين، وقد أدى أمانة العلم، وبيّن ما ينبغي أن يبيّنه، كان في عهد الحجاج، وكان الحجاج كما تعلمون، بلغه ما قاله فيه الحسنُ، فقال لجلسائه: «يا جبناء، والله لأرينّكم من دمه»، وأمر بقتله، القضية سهلة جدّاً، وجاء بالسياف، وأمر بإحضاره ليقطع رأسه أمام مَن حوله، جيء بالحسن البصري، ودخل على الحجاج، ورأى السياف، ومد النطع، وانتهى كل شيء، فحرك شفتيه، فإذا بالحجاج يقول له: أهلاً يا أبا سعيد، أنت سيد العلماء، وما زال يدنيه، ويقربه حتى أجلسه على سريره، واستفتاه في

موضوع، وقد تروي الرواية أنه عطّره، وأكرمه، وشيعه إلى باب قصره، من الذي صعق؟ الحاجب، تبعه الحاجب، قال: يا أبا سعيد، لقد جيء بك لغير ما فعل بك، فماذا قلت لربك؟ قال: قلت له: «يا ملاذي عند كربتي، يا مؤنسي في وحشتي، اجعل فتنته علي برداً وسلاماً كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم».

هذا الذي تخافه قلبه بيد الله، هذا القوي الذي يتمنى إفناءك قلبه بيد الله، قد يملؤه الله هيبة منك، إذاً الله نصير؛ لأن قلوب الذين حولك بيد الله ﷻ، ألم يقل أحد الأنبياء: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ [هود: ٥٥].

متحدياً لهم: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٦].

هذه الآية وحدها تكفي: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٦].

لذلك: «إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ» [الترمذي].

حينما تدعو الله ﷻ، وتقول: يا ناصر انصرني، يا ناصر انصرني، هو موجود، ويسمع، ويقدر، ويحب أن يرحمك، ولن تدعو جهة إلا إذا أيقنت بوجودها وعلمها، وقدرتها ورحمتها، لذلك قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧].

الله أكبر من كل شيء، فلا تقطع الأمل مهما حدث:

حينما تقول: الله أكبر، فهو أكبر من كل قوي، أكبر من كل جبار، قال تعالى: ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الشعراء: ٦١].

فرعون بحقده وجبروته، وأسلحته وجيشه يتبع شرذمة من بني إسرائيل مع سيدنا موسى، وصلوا إلى البحر، لا أمل للنجاة، انتهى الأمل، الأمل صفر، قال تعالى: ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الشعراء: ٦١].

ويونس، وهو في بطن الحوت الأمل صفر، والإنسان يمكنه أن يقف على فم الحوت على قدميه، ويمكن أن تقف في فمه، ووجبته الغذائية أربعة أطنان، والإنسان وزنه ثمانين كيلواً، قال تعالى: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].





القدير

قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ۝٦﴾ [البقرة: ٢٨٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ۝٤٤﴾ [فاطر: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ﴾ [الأنعام: ٦٥].

(القدير): من أي فعل اشتُق؟ إما من التقدير، وإما من القدرة؛ فالإنسان أحياناً يكون عالماً، إذاً: عنده تقدير دقيق، وأحياناً يكون قوياً عنده قدرة، وأحياناً تلتقي مع إنسان بأعلى درجات العلم، لكنه لا يملك أن ينفذ ما يطمح إليه، وقد تجد إنساناً آخر في أعلى درجات القوة، ولكن لا يعلم ماذا يفعل، فهو إمّا قوي لا يعلم، وإما عالم لا يقدر.

تماماً كما ذكرت من قبل: أحياناً الإنسان يقدر إنساناً ولا يحبه، وقد يحب إنساناً ولا يقدره، يكون الأب، وتكون الأم أحياناً بأعلى درجات الحب، لكن لم يتح لها أن تكون مثقفة ثقافة عالية، لها ابن يحمل أعلى شهادة، يحب أمه حبّاً لا حدود له، لكن في ميزان العلم لا وزن لها، وقد يلتقي مع إنسان عالم كبير لكنه لئيم، فيقدّر علمه، ولا يحبه، لكن الذات الإلٰهية بقدر ما تعظمها بقدر ما تحبها.

﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمٰن: ٧٨].

بالجلال تعظمه، وبالإكرام تحبه، هذه أسماء الله الحسنى.

الله ﷻ قدير، من التقدير؛ يعني: أنه ذو علم دقيق جداً، وقدير من القدرة، فبقدر ما تطمئن إلى علمه تطمئن إلى قدرته، وبالعكس، وبقدر ما تطمئن إلى قدرته تطمئن إلى علمه.

فإذاً: اسم (القدير) مأخوذ من القدرة.

- ورودُ اسم (القدير) في الكتاب والسُّنَّة:

هذا الاسم أيها الإخوة ورد في القرآن وفي السُّنَّة معاً، في القرآن ورد في قوله تعالى في سورة الروم: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الروم: ٥٤].

ورد أيضاً في ثلاثين موضعاً في القرآن الكريم، كقوله تعالى:

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

في ثلاثين آية في القرآن ورد فيها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة: ١٠٩] وآية واحدة ورد فيها: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الروم: ٥٤].

وفي الحديث الشريف في قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على**

كل شيءٍ قديرٌ؛ اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد» [رواه البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه].

وهذا هو التوحيد، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد: «اللَّهُمَّ لا مانِعَ لِمَا أعْطَيْتَ».

كن مع اللَّه ترَ اللَّه معك   واترك لكل وحاذر طمعك

و إذا أعطاك من يمنعه   ثم من يعطي إذا ما منعك

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢].

إذا كان الله معك فمن عليك؟! وإذا كان عليك فمن معك؟! ويا رب، ماذا فقَد من وجدك؟ وماذا وجد مَن فقدك؟

الأدلة تدل على ثبوت القدرة صفة لله، وهو كامل القدرة، فبقدرتها خلق السموات والأرض وما فيها من مخلوقات وبقدرتها يحيي ويميت ويبعث الناس يوم النشور للجزاء وبقدرته سبحانه هداية الخلق وبقدرتها أحاط بكل شيء علماً.

الإيمان باسمه القدير يستلزم صدق التوكل عليه ويستلزم الثقة به في قضاء الحاجات وتفريج الكروب، وكذلك الثقة في رحمته ولطفه وتسليم قضايا على العباد أنها تمت بإرادته وبحكمته سبحانه وهو القادر على وقوع ما أراده وعلى رفعه حيث أراد.

ومن مستلزمات الإيمان بقدرته سبحانه الابتعاد عن ظلم النفس بترك أوامره وفعل نواهيه، وكذلك الابتعاد عن ظلم العباد بشتى أنواع الظلم كالمال والعرض والدم لأن الإيمان بقدرة الله تعالى يجعل المرء في حذر شديد عن الظلم بما يترتب على الظلم من عقاب العبد بسبب ظلمه أو الانتقام منه بسبب ظلمه للعباد أو بسبب جوابه على دعوة المظلوم في عقوبة الظالم، ورحم الله القائل: «إذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك».

والإيمان بقدرة الله يستلزم أن كل ما نعم به العبد من قوة ومكانة وعزة إن كل ذلك، إلا من عند الله سبحانه.

وعلى هذا يجب الاعتقاد أن الله قادر على كل شيء ولا يعجزه شيء ولا يحتاج معيناً أو مساعد في مخلوقاته أو تدبيراته إنما هو سبحانه القادر المطلق على كل شيء ما كان وما سيكون، كما يجب الاعتقاد أن الجن والإنس ضعفاء ومحتاجين إليه يجب عليهم إذلال أنفسهم أمامه وتضرعهم إليه، كما يجب على العبد الذي أوتي من قوة في جسمه أو قوة في أمره أو جاه أو مال أن الله هو الذي أعطاه هذه القوة والقدرة ويجب شكر الله عليها والعمل لله وفقاً لما يريد، والإحسان إلى الخلق هو عدم إظهار أي تمييز عليهم، إن الفضل كله يرجع إلى الله وحده، والتواضع أمام الخلق وحب من يستحق الحب وكره من يستحق الكره وفقاً لهما يرضي الله سبحانه.

فالإنسان دون أن يشعر يتجه إلى قوي يلوذ به، إلى قوي يحميه، إلى قوي يدافع عنه، إلى قوي يلجأ إليه.

فالإنسان حينما يتجه إلى الله الحقيقي خالق السموات والأرض، يكمل ضعفه الذي أراده الله باعثاً إلى معرفة الله وطاعته، وقطف ثمار عبوديته لله ﷻ.

ـ الإنسان مفطور إلى الاتجاه إلى قوي: بالمناسبة أيها الأخوة، طبيعة النفس تقتضي أنها لا تتجه إلا لما توقن أنه يعلم، ويسمع، ويرى.

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩].

الله ﷻ إن تكلمت فهو يسمع، وإن تحركت فهو يرى، وإن أخفيت فهو يعلم، يسمعك إذا دعوته، ويراك إذا توجهت إليه، ويعلم سرك وجهرك، وفضلاً عن ذلك الإنسان لا يتجه إلى جهة إلا إذا أيقن أنها تسمعه، وأنها قادرة على أن تلبيه.

الإنسان بحاجه إلى مبلغ فلا يذهب إلى إنسان فقير؛ لأن هذا مضيعة للوقت، يذهب إلى من يتوهم عنده المبلغ.

إذاً: أنت تدعو من؟ تدعو من يسمعك، وتدعو من هو قادر على حل مشكلتك، وتدعو من يحبك، القوي الذي يعاديك لا تتجه إليه، تتجه إلى قوي يريد أن يرحمك، فلمجرد أن تدعو الله ﷻ ـ دقق ـ لمجرد أن تدعو الله ﷻ فأنت مؤمن

بوجوده، ومؤمن بسمعه وبصره وعلمه، ومؤمن بقدرته ومؤمن برحمته.

لذلك قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧].

عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قَالَ: **«الدعاء هو العبادة»** [الترمذي].

وقد روي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أيضاً بنفس اللفظ.

الدعاء هو العبادة، فلمجرد أن تدعو الله من أعماق قلبك، وأنت موقن بأنه يعلم، ويسمع، ويرى، وهو قادر على أن يلبّيك، وهو يحب أن يلبيك، يحبك ويرحمك، فأنت مؤمن.

لذلك بعض الأسماء أحياناً أقرب إلى الإنسان من بعض الأسماء الأخرى، أنت إنسان ضعيف مفتقر: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾ [معارج: ١٩].

شديد الجذع، حريص على ما في يديه: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٨] ضعفك وهلعك، وشدة خوفك، وحرصك على ما في يديك، هذه الصفات التي هي صفات ضعف في أصل خلقك هي لصالحك.

ـ كل شيء بيد الله القويّ: مِن هنا يأتي اسم (القدير)، إنك تعتز بقوي.

اجعل لربك كل عزك يستقر ويثبت
فإذا اعتززت بمن يموت فإن عزك ميت

أنت كمؤمن حينما تعتز بالله فأنت أقوى الأقوياء.

القصص التي يرويها القرآن هي لمن؟ هي لنا: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢].

بل بالمنظور الأرضي احتمالات النجاة صفر، فرعون بجبروته، بقوته، بأسلحته، بحقده، بطغيانه، وراء فئة وشرذمة قليلة جداً مستضعفه خائفة، وصلت إلى البحر، وهو مِن ورائهم.

﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الشعراء: ٦١].

الله ﷻ يريدك أن تثق به، يريدك أن تكون مطمئناً لقدرته ورعايته.

فلذلك من صفات المؤمن أنه واثق من نصر الله ﷻ، النبي ﷺ حينما ذهب إلى الطائف وكذبه أهلها، واستخفوا به، واستهزؤوا به، وأغروا صبيانهم؛ أي: نالوه بالأذى، وسال الدم من قدمه، الآن قفل راجعاً إلى مكة، يقول له زيد: يا رسول الله، كيف ترجع إلى مكة وقد أخرجتك؟ أنا أتصور إذا كان هناك خط بياني للدعوة فقد وصل الخط إلى النهاية

الصغرى، مكة أخرجته، وكذبته، وكفرت بدعوته، واستهزأت به، فلما لجأ إلى أهل الطائف فعلوا به أشنع مما فعل أهل مكة، ليس له أحد، فقال كلمة لا تنسى، قال: «**يا زيد إن الله ناصر نبيه**»، هذه ثقة الإنسان بالله مبعثها معرفته.

ولما انتقل من مكة إلى المدينة مهاجراً، ووضعت مئة ناقة لمن يأتي به حيّاً أو ميتاً، مكافأة على من يقتله، أو من يقبض عليه، وهذا رقم فلكي في مقاييس ذلك العصر، تبعه سراقه ليلقي القبض عليه، أو ليقتله، ويأخذ المئة ناقة، فقال له النبي الكريم بكل بساطه: «**يا سراقة، كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟**» ماذا يقول؟! أنت ملاحق مهدور دمك، تقول: كيف بك يا سراقه إذا لبست سواري كسرى؟ أي: أنك سوف تصل إلى المدينة سالماً، وسوف تؤسس دولة، وسوف تنشئ جيشاً، وسوف تحارب أقوى دولة في العالم، وسوف تنتصر عليها، وسوف تأتيك غنائم كسرى إلى المدينة، ولك يا سراقه سوار كسرى.

إذا توهم الإنسان توهماً أن الله لا يعلم ما يجري فهذا يناقض إيمانه بالله؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩].

وإذا توهم أن الله لا يقدر أن يدمر أعداءه هو واهم، وهذا يناقض إيمانه بالله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٧٧﴾.

وإذا توهم أن الله لا يعنيه ما يجري في الأرض فهو واهم؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤].

وإذا توهم أن أعداء المسلمين يفعلون شيئاً ما أراده الله فهو واهم، لقول الله ﷻ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنفال: ٥٩].

يجب أن تؤمن أن الله يعلم، وهو قادر، ويعنيه ما يجري في الأرض، وهؤلاء أعداؤه لا يستطيعون أن يتحركوا إلا بإذنه، ولن يتفلتوا من قبضته.

إذاً: هناك حكمة بالغة فيما يجري، ولصالح المسلمين، ولكن هذه نعمة باطنة، وليست نعمة ظاهرة، قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

إذاً: كلمة (القدير) تملأ النفس طمأنينة، تملأ النفس ثقة بنصر الله ﷻ.

ـ اسم (القدير) يدور مع الإنسان في جميع حياته:

الله ﷻ له قضاء وقدر، القضاء علم، والقدر تقدير، وهذا الاسم يدور مع الإنسان في كل شؤون حياته، الله ﷻ علم من هذا الإنسان كبراً، فهيأ له معالجة حكيمة، وضعه بموقف وقد أُهين به، حينما يهان يتألم أشد الألم، ثم يلقي في روعه أن هذه الإهانة بسبب الكبر الذي يظهر منك،

فصار الله ﷻ قديراً يعلم بدقة، وقدير يملك القدرة كي يعيده إلى الصواب.

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨].

لا تطمئن إلا بذكر الله، ومحال أن تطمئن إلا إذا كنت مع الله؛ لأن الله يعطي الصحة والذكاء والمال والجمال والقوة لكل الناس، لكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه من المؤمنين، والأمن نعمة يختص بها المؤمن:

﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨١، ٨٢].

وهذا الاسم العظيم من أقرب الأسماء إلى الإنسان، فأنت ضعيف وهو قدير، أنت فقير وهو غني، أنت لا تعلم وهو يعلم، يا رب أنا لا أعلم، لكنك تعلم، أنا ضعيف، لكنك قوي، أنا فقير، ولكنك غني، والإنسان المؤمن يقوى بمن يعبده، فأنت ضعيف، لكنك مع القوي.

الله ﷻ قدير، والإنسان ضعيف، وشأن الإنسان أن يكون مفتقراً إلى الله، وشأن الله أن يقوي الإنسان الذي افتقر إليه، وهذا من خصائص الإنسان، الله ﷻ جعل في أصل خلق الإنسان ضعفاً لصالحه؛ لأن الإنسان لو خلق قويّاً لاستغنى بقوته، فشقي باستغنائه، خُلق ضعيفاً ليفتقر في ضعفه فيسعد بافتقاره، شأن الإنسان أن يكون ضعيفاً، لكنه يقوى بالله ﷻ.

درسان بليغان من غزوة بدرٍ وحنين:

فكلما افتقرت إلى الله تولاك الله، وكلما اعتددت بنفسك تخلى عنك، ودرس بليغ من غزوة بدر.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

في بدر الصحابة الكرام افتقروا إلى الله فانتصروا.

أما في حنين: «وقد أعجبتهم كثرتهم قالوا: لن نغلب من قلة» [أخرجه أبو داود والترمذي والحاكم عن ابن عباس].

نحن كثيرون، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [التوبة: ٢٥].

وهذان درسان بليغان في حياتنا، إذا قلت الله تولاك، ونصرك، وأيدك، وحفظك، ووفقك، إذا قلت: أنا، خبراتي، ثقافتي، أسرتي، جماعتي، حينما تعتد بغير الله يتخلى عنك، هذا درس بليغ.

لذلك ورد في بعض الآثار:

«ما من مخلوق يعتصم بي من دون خلقي فتكيده أهل السماوات والأرض إلا جعلت له من بين ذلك مخرجاً، وما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني أعرف له ذلك من نيته إلا جعلت الأرض تحت قدميه، وقطعت أسباب السماء بين يديه»

[رواه ابن عساكر عن كعب بن مالك].

إذاً: الله ﷻ قدير، الله ﷻ عليم، الله ﷻ غني، المؤمن يفتقر إلى الله.

وما لي سوى فقري إليك وسيلة   فبالافتقار إليك فقري أدفع

وما لي سوى قرعي لبابك حيلة   فإذا رددت فأي باب أقرع

لذلك الله ﷻ (قدير)، والله ﷻ قادر، والله ﷻ مقتدر، قادر اسم فاعل، قدير اسم مبالغة من اسم الفاعل، مقتدر من فعل اقتدر، وفي «صحيح الإمام البخاري» يقول عليه الصلاة والسلام: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد» وهو على كل شيء قدير.**

هناك من يملك ولا يحمد، هناك من يحمد ولا يملك، لكن الله ﷻ له الملك وله الحمد، ذو الجلال والإكرام، بقدر ما تعظمه بقدر ما تحبه، مالك الملك بيده كل شيء لكن كماله مطلق، يملك ويُحمد.

التوحيد يملأ القلب أمناً وطمأنينةً: لا تحل مشكلاتنا بأن الله خلق السموات والأرض، لا تحل مشكلاتنا إلا بالإيمان بأن الأمر بيد الله.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤].

﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الكهف: ٢٦].

آيات التوحيد تملأ النفس طمأنينة، هو قدير، وأنت ضعيف، هو أقوى من أعدائك، أقوى من كل قوة في الكون، هو خالق السماوات والأرض.

﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

ـ عندما يوحد الإنسان يمتلئ قلبه أمناً، وأماناً، وتفاؤلاً، وبشراً، الأمر بيد الله، ولا يعقل ولا يقبل أن يسلمك الله إلى غيره، ثم يأمرك أن تعبده، طمأنك وقال: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] هو القدير.

لذلك «**لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قديرٌ**».

اللَّهُمَّ لا مانع لما أعطيت، إذا أعطاك ما يمنعه؟ لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، هذا التوحيد.

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢].

«اللَّهُمَّ لا مانِعَ لِمَا أعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ» [رواه البخاري ومسلم، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه]. وكان يقوله النبي ﷺ بعد كل صلاة.

لا ينفع ذكاءُ العبد مع الله:

ـ ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب: ٣٨].

القدر الفعل، والمقدور العلم، الله عز وجل عليم قدير، القضاء

والقدر، القضاء هو الحكم، والقدر تقدير فعل بحسب العلم.

الله ﷻ يطلع على إنسان مستقيم، علم الله باستقامته يقدر له توفيقاً، يطلع على إنسان كاذب علم الله بكذبه يقدر له علاجاً، فمجمل القضاء والقدر أن الله يعلم، ويقدر لهذا الإنسان ما يناسبه.

«ولكل شيء حقيقة، وما بلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه» [أخرجه أحمد، والطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه].

هذا هو التوحيد، وهذا هو الإيمان بالله.





الرقيب

يقول تعالى حكاية عن عيسى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٧].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾ [الأحزاب: ٥٢].

الرقيب: في اللغة: فعيل بمعنى فاعل وهو الموصوف بالمراقبة، والرقابة تأتي بمعنى الحفظ والحراسة والانتظار مع الحذر والترقب.

ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]، فرقيب بمعنى يراقب ويرصد، وعتيد حاضر لا يغيب.

ومنه قول هارون: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾ [طه: ٩٤].

وعن ابن عمر: أن أبا بكر قال: «ارْقُبوا مُحَمَّداً فِي أَهْلِ بَيْتِهِ» «صحيح البخاري»؛ أي: احفظوه فيهم.

الرقيب: هو الذي يراقب أحوال العباد ويعلم أقوالهم ويحصي أعمالهم، وهو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء.

فالرقيب الموكل بحفظ الشيء المترصد له، ورقيب القوم حارسهم، ورقيب الجيش طليعتهم، والرقيب الأمين.

وراقب الله تعالى في أمره؛ أي: خافه.

رقيب على جميع المخلوقات بعامة الذي أحاط بكل شيء.

اليقين باسم الله الرقيب يثمر مراقبة الله في القلب سرّاً وعلانية، ليلاً ونهاراً؛ لأنه سبحانه لا يخفى عليه خافية وهو سبحانه يسمع كلامنا ويرى مكاننا، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فإذا ثبتت حقيقة يقين ذلك في قلب المؤمن، سعى إلى حفظ قلبه وسمعه وبصره ولسانه وجوارحه، وتوجب صيانة الظاهر والباطن.

ينبغي أن نعلم أيضاً أنه لولا رقابة الله سبحانه في كل شيء، ما قامت السماوات والأرض وما بينهما، وما بقي شيء مما يستفيد به الإنسان والحيوان. ولو تخلت رقابة الله ﷻ عن هذا العالم طرفة عين لغرق من في السموات والأرض من مخلوقات في ظلام دامس؛ يهلك السائرين في السماء والأرض؛ لأنه ﷻ نور السماوات والأرض ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ

زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور: ٣٥].

ويقول تعالى مبيناً ذلك في سورة القصص بقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [القصص: ٧١ - ٧٣].

وعلى هذا يجب على الإنسان التسليم الكامل والتفويض التام لجميع أمور حياته لله وحده، وهذه حقيقة العبودية؛ فالعبد يسلم أمره لسيده، ولا يخالفه في صغير أو كبير.

فالله سبحانه وتعالى مطلع على كل أمور عباده من صغير وكبير وما خفي وما ظهر. فهو سبحانه على كل شيء رقيب ولا يغيب عنه شيء في كونه.

بعض العباد يظنون أن الله لا يراه وأنه يغيب عن سمعه وبصره، ويغفل هذا المسكين أن الله الرقيب يراه ويسمع به؛ فالعبد النبيه الذي لا يغفل عن ذلك، فلا يقول إلا ما يرضي الله ولا يفعل إلا خيراً، ولا يفكر إلا في ما يعلم أنه يرضي الله.

يقول الله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة: ٢٨٤].

ومراقبة الله:

هي دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق ﷻ على ظاهره وباطنه؛ فاستدامته لهذا العلم واليقين بذلك هي المراقبة، وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه ناظر إليه سامع لقوله مطلع على عمله، ومن راقب الله في خواطره عصمه الله في حركات جوارحه.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان: ١]، قال: قرأها حتى ختمها ثم قال: **«إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك ساجد وملك قائم، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصُعدات تجأرون إلى الله تعالى»**(١) [رواه الترمذي].

ومعنى الحديث: لو علمتم ما أعلم من عظمته جل في علاه وانتقامه ممن يعصيه لطال بكاؤكم وحزنكم وخوفكم مما ينتظركم، ولما ضحكتم أصلاً.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، والطبراني (٩٠٤٢)، انظر: الصَّحِيحَة: ١٧٢٢.
انظر: الصَّحِيحَة (١٠٥٩). الأَطِيطُ: نَقِيضُ صوتِ المَحامِلِ والرِّحال إذا ثَقُل عليها الرُّكبان، وأَطَّ الرَّحْلُ والنِّسْعُ، يَئِطُّ، أَطّاً، وأَطِيطاً: صَوَّتَ.
وكذلك كلُّ شيءٍ أَشْبَهَ صوتَ الرَّحْلِ الجَدِيد. «لسان العرب» (٧/ ٢٥٦).
أَيْ: وَيَنْبَغِي (لَهَا أَنْ تَئِطَّ)؛ أَيْ: تُصَوِّتَ. «تحفة الأحوذي» (٦/ ٩٧).

أقوال السلف في المراقبة:

المراقبة هي علم القلب بقرب الرب.

وقال أحدهم: والله إني لأستحي أن ينظر الله في قلبي وفيه أحد سواه.

وقيل: علامة المراقبة إيثار ما أنزل الله، وتعظيم ما عظم الله، وتصغير ما صغر الله.

وكان بعض السلف يقول لأصحابه: زهدنا الله وإياكم في الحرام زهد من قدر عليه في الخلوة فعلم أن الله يراه فتركه من خشيته جل في علاه.

وقال الشافعي: أعز الأشياء ثلاثة: الجود من قلة، والورع في خلوة، وكلمة الحق عند من يرجى أو يخاف.

أحوال المراقبة:

مراقبة العبد في الطاعة: أن يكون مخلصاً فيها.

أما مراقبته في المعصية تكون: بالتوبة والندم والإقلاع.. فكلما ورد الذنب على خاطره، يستعيذ بالله منه ويبعث على وجل قلبه.. فيكون دائماً أبداً مُنيب إلى ربِّ العالمين، كثير الرجوع إليه.

ومراقبته في المباح تكون: بمراعاة الأدب، والشكر على النعم.. فإنه لا يخلو من نعمة لا بد له من الشكر عليها، ولا يخلو من بلية لا بد من الصبر عليها، وكل ذلك من المراقبة.

والتوسع في المباحات يبعث على الذنب لا محالة؛ لأن النفس تطغى بذلك وهي لا تأمر بخيرٍ أبداً.

ثم تأتي مرحلة المراقبة بعد العمل.. وهي أن يكون قلبه وجلاً ألا يُقبَل عمله، وهذا من تمام المراقبة؛ قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ هو الرجل يكون جالساً مع القوم فتمر المرأة فيسارقها النظر إليها.

قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠].

قال قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥].

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤].

ويقول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾ [الزلزلة: ٤] وفسرها النبي عليه الصلاة والسلام بقوله: «**أتدرون ما أخبارها**» قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: «**فإن أخبارها أن تشهد على**

كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول: عملت كذا وكذا يوم كذا كذا، فهذه أخبارها» [رواه الترمذي وقال حديث حسن].

من قصص من سلف في المراقبة:

ـ قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز:

شاب يمتلئ قوةً وشباباً وشهوة.. تدعوه امرأة ذات منصب وجمال وفي حال خلوة بعيداً عن أعين الناس لا رقيب عليهما من البشر لا يخاف من أهلها وأقاربها ولا يخاف من أهله وأقاربه... بل هي التي تدعوه.. لم يحتج إلى التفكير.. ومع ذلك كله يقول: إني أخاف الله.

ما الذي حمله على ذلك وهو في خلوة؟ إنها مراقبة الله عز وجل.. إنه لتذكره باطلاع الحق عليه.. فترك المعصية لله عز وجل.

ـ ابن عمر وراعي الغنم:

عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: خَرَجَ ابْنُ عُمَرَ فِي بَعْضِ نَوَاحِي الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ أَصْحَابٌ لَهُ، وَوَضَعُوا سفْرَةً لَهُ، فَمَرَّ بِهِمْ رَاعِي غَنَمٍ، قَالَ: فَسَلَّمَ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: هَلُمَّ يَا رَاعِي، هَلُمَّ، فَأَصِبْ مِنْ هَذِهِ السُّفْرَةِ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي صَائِمٌ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: أَتَصُومُ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ الْحَارِّ شَدِيدٍ سُمُومُهُ وَأَنْتَ فِي هَذِهِ الْجِبَالِ تَرْعَى هَذَا الْغَنَمَ؟ فَقَالَ لَهُ: أَيْ وَاللهِ، أُبَادِرُ أَيَّامِي الْخَالِيَةَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ وَهُوَ يُرِيدُ يَخْتَبِرُ وَرَعَهُ: فَهَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنَا شَاةً مِنْ

غَنَمِكَ هَذِهِ فَنُعْطِيكَ ثَمَنَهَا وَنُعْطِيكَ مِنْ لَحْمِهَا فَتُفْطِرَ عَلَيْهِ؟

فَقَالَ: إِنَّهَا لَيْسَتْ لِي بِغَنَمٍ، إِنَّهَا غَنَمُ سَيِّدِي، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: فَمَا عَسَى سَيِّدُكَ فَاعِلا إِذًا فَقَدَهَا، فَقُلْتَ: أَكَلَهَا الذِّئْبُ، فَوَلَّى الرَّاعِي عَنْهُ وَهُوَ رَافِعٌ أُصْبُعَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَهُوَ يَقُولُ: أَيْنَ اللهُ؟

قَالَ: فَجَعَلَ ابْنُ عُمَرَ يُرَدِّدُ قَوْلَ الرَّاعِي، وَهُوَ يَقُولُ: قَالَ الرَّاعِي: فَأَيْنَ اللهُ؟

قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ بَعَثَ إِلَى مَوْلاهُ فَاشْتَرَى مِنْهُ الْغَنَمَ وَالرَّاعِي فَأَعْتَقَ الرَّاعِيَ، وَوَهَبَ منهُ الْغَنَمَ». [رواه البيهقي في «شُعب الإيمان»].

ومما هو جدير بالذكر اشتهار القصة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه والصواب روايتها عن ابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

ـ عمر وبنت بائعة اللبن:

كان يتجول ليلاً كعادته للاطمئنان على رعيته، فسمع صوت بائعة اللبن وهي تقول لابنتها: يا بُنيتي ضعي الماء على اللبن، فقالت الفتاة: يا أماه ألم تعلمي أن أمير المؤمنين قد نهى عن خلط اللبن بالماء؟

قالت: يا بنيتي عمر بن الخطاب لا يرانا الآن، فقالت الفتاة: يا أماه إن كان عمر لا يرانا فرب عمر يرانا..

فوضع علامة على البيت وذهب لأولاده، وقال لهم: في

هذا البيت فتاة أيكم يحب أن يتزوج هذه الفتاة، والله لا تخرج هذه الفتاة من بيت ابن الخطاب، وإن لم ترضوا أن تتزوجوها أنتم فسأتزوجها فتزوجها عاصم بن عمر بن الخطاب، وعاش معها عيشة رضية هنية، وأنجب منها فتاة اسمها ليلى، تزوجها عبد العزيز بن مروان، فأنجبت منه حاكم عادل، ومجدد القرن الأول عمر بن عبد العزيز.

- لولا الله تخشى عواقبه:

كان عمر بن الخطاب يطوف ليلة في المدينة فسمع امرأة تقول:

ألا طال هذا الليل وازور جانبه   وليس إلى جنبي خليل ألاعبه
فو اللّه لولا اللّه تخشى عواقبه   لزعزع من هذا السرير جوانبه
مخافة ربي والحياء يردني   وأكرم بعلي أن تنال مراكبه
ولكنني أخشى رقيباً موكلاً   بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه

فسأل عمر نساء: كم تصبر المرأة عن الرجل؟ فقلن شهرين وفي الثالث يقل الصبر، وفي الرابع ينفذ الصبر، فكتب إلى أمراء الأجناد: أن لا تحبسوا رجلاً عن امرأته أكثر من أربعة أشهر.

- عامر بن عبد قيس:

عن أبي عبدة العنبري قال: لما هبط المسلمون المدائن

وجمعوا الأقباض أقبل رجل بحُق معه فدفعه إلى صاحب الأقباض فقال الذين معه: ما رأينا مثل هذا قط، ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه. فقالوا له: هل أخذت منه شيئاً؟ فقال: أما والله لولا الله ما أتيتكم به فعرفوا أن للرجل شأناً: فقالوا: من أنت؟ فقال: لا والله لا أخبركم لتحمدوني، ولا غيركم ليقرظوني، ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس.

ـ قصة سهل التستري مع خاله:

قال سهل بن عبد الله التسترى: كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم الليل، فأنظر إلى صلاة خالي (محمد بن سوار)، فقال لي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟

* قال: قل بقلبك عند تقلبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معي، الله ناظر إليّ، الله شاهدي؛ فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قل ذلك في كل ليلة إحدى عشر مرة، فقلته فوقع في قلبي حلاوته؛ فلما كان بعد سنة، قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة؛ فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لذلك حلاوة في سرى؛ ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل من كان الله معه، وناظراً إليه، وشاهده.. أيعصيه؟ إياك والمعصية!».

ـ قصة إبراهيم بن أدهم مع الرجل العاصي:

جاء رجل إلى «إبراهيم بن أدهم» رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: يا أبا إسحاق: إني رجل مسرف على نفسي بالذنوب والمعاصي، فأعرض علي ما يكون زاجراً لي عنها، وهادياً لقلبي!!

فقال «إبراهيم»: إن قبلت مني خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك معصية قط، ولم توبقك لذة!! فقال الرجل: هات يا أبا سحاق!!

قال: أما الأولى: فإذا أردت أن تعصي الله عَزَّ وَجَلَّ، فلا تأكل رزقه، فقال الرجل: فمن أين آكل؟، وكل ما في الأرض من رزقه؟!!

فقال إبراهيم: يا هذا أفيحسن أن تأكل رزق الله وتعصيه؟

قال: لا!! هات الثانية.

قال «إبراهيم»: يا هذا إذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئاً من بلاده!!

فقال الرجل: هذه أعظم من الأولى، يا أبا إسحاق: إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له تعالى، فأين أسكن؟!!

قال: يا هذا أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده ثم تعصبه؟

قال: لا!! هات الثالثة!!

قال «إبراهيم»: إذا أردت أن تعصيه وأنت تأكل رزقه

وتسكن بلاده، فانظر موضعاً لا يراك فيه مبارزاً له فاعصه فيه!!

قال: يا إبراهيم!! كيف هذا وهو مطلع على ما في السرائر والضمائر؟

قال إبراهيم: يا هذا أفيحسن أن تأكل من رزقه وتسكن في بلاده وتعصيه وهو يراك ويرى ما تجاهره به؟

قال الرجل: لا، هات الرابعة.

قال «إبراهيم»: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك، فقل له: أخرني حتى أتوب توبة نصوحاً وأعمل لله عملاً صالحاً.

فقال الرجل: لا يقبل مني ولا يؤخرني!!

فقال إبراهيم: يا هذا!! فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب، وتعلم أنه إذا جاء لم يكن له تأخير، فكيف ترجو وجه الخلاص؟!!

قال الرجل: هات الخامسة!!

قال «إبراهيم»: إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار، فلا تذهب معهم!!

قال الرجل: إنهم لا يدعونني ولا يقبلون مني!! فقال إبراهيم: فكيف ترجو النجاة إذن؟

فقال الرجل: يا إبراهيم «حسبي حسبي!! أنا أستغفر الله وأتوب إليه!!

قد صيغ قلبي على مقدار حبهم فما لحب سواهم فيه متسع

كقول أَبِي الْعَتَاهِيَةِ:

«تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صادقاً لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ»

وقال الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ: «مَنْ أَحَبَّ حَبِيباً لَمْ يُبْغِضْهُ»، ثُمَّ قَالَ:

«تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ شَنِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ أَحَبَّ مُطِيعُ
مَا ضَرَّ مَنْ كَانَتِ الْفِرْدَوْسُ مَنْزِلَهُ مَا كَانَ فِي الْعَيْشِ مِنْ بُؤْسٍ وَإِقْتَارِ
تَرَاهُ يَمْشِي حَزِيناً خَائِفاً شَعِثاً إِلَى الْمَسَاجِدِ يَسْعَى بَيْنَ أَطْمَارِ»[1].

ثمار الإيمان بالاسم الجليل:

الإيمان أن الله هو الرقيب الذي لا يخفى عليه شيء

يجب على كل مكلف أن يعلم: الله جل شأنه هو الرقيب على عباده، الذي يراقب حركاتهم وسكناتهم، وأقوالهم وأفعالهم بل ما يجول في قلوبهم وخواطرهم، لا يخرج أحد من خلقه عن ذلك قال سبحانه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

---

(١) «شعب الإيمان» للبيهقي (٢/ ٤٤).

استشعار مراقبة الله:

من علم أن الله رقيب على حركات قلبه، وجوارحه وأنه مطلع على عمله راقب تصرفاته، ومعاملاته وعباداته، وسائر حياته، وفي ذلك صلاح دنياه وآخرته؛ بل بلوغه أعلى درجات الإيمان كما جاء في حديث جبريل عليه السلام عندما سأل النبي ﷺ عن الإحسان فأجابه: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» [رواه مسلم].

وفي الحديث: «**اتق الله حيث ما كنت**»: أي: في السر والعلانية.

وعن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال له: «**أوصيك بتقوى الله في سر أمرك وعلانيتك**» [صحيح الترغيب والترهيب للألباني].

وقيل: بما يستعان على غض البصر؟ قال: بعلمك أن نظر الناظر إليك أسبق من نظرك إلى المنظور إليه.

يا مذنب الذنب أما تستحي ... اللَّه في الخلوة ثانيك
غرك من ربك إمهاله ... وستره طول مساويك

فإذا همت النفس بالمعصية فذكرها بنظر الله، لا يكن الله أهون الناظرين إليك.

إذا ما خلوت الدهر يوماً بريبة ... والنفس داعية إلى العصيان
فاستح من نظر الإله وقل لها ... إن الذي خلق الظلام يراني

المواظبة على الطاعات:

وكثرة الأعمال الصالحة من فرائض ونوافل لأنها تقربك إلى الله وتقوي إيمانك مما يبعث فيك الازدياد من طاعة الله وترك معاصيه.

العبادة في السر:

لأنها أقرب إلى الإخلاص وأبعد عن الرياء وكفى من ثوابها أن سبعة ممن يظلهم الله هم من أصحاب عبادات السر **لقول النبي ـ سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه** [رواه ابن حبان في صحيحه].

الدعاء:

بأن تسأل الله ﷻ أن يرزقك خشيته في الغيب والشهادة؛ فقد كان من دعاء الرسول ﷺ: **«وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة»** [ابن جزيمة في صحيحه].

۞ ۞ ۞



الستير

الرَّبُّ ﷻ سِتِّيرٌ يُحِبُّ السَّتْر

ورد هذا الاسم في السُّنَّة المطهرة من حديث يعلى بن أمية ﵁ قَالَ: **«رأى رسول الله ﷺ رجلاً يغتسل بالبراز بلا إزارٍ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: إنّ الله ﷻ حليمٌ حييٌّ ستّيرٌ يحبّ الحياء والسّتر فإذا أراد أحدكم أن يغتسل فليتوار بشيءٍ»**. وفي رواية: **«فإذا اغتسل أحدكم فليستتر»**[(١)].

الستير هو الساتر الذي يستر كثيراً على عباده ولا

---

(١) أخرجه أبي داود (٤٠١٢)، والنسائي (٤٠٦). (الْبَرَاز): هُوَ الْفَضَاء الْوَاسِع.
أخرجه أبي داود (٤٠١٢)، والنسائي (٤٠٦). وصححه الألباني في الإرواء: ٢٣٣٥.
أخرجه النسائي (٤٠٦).
أَيْ: كَثِيرُ الْحَيَاء. عون المعبود (٩/ ٣٥).
أَيْ: سَاتِرٌ لِلْعُيُوبِ وَالْفَضَائِح. عون المعبود (٩/ ٣٥).
أخرجه أبي داود (٤٠١٢)، والنسائي (٤٠٦).
وُجُوباً إِنْ كَانَ ثَمَّ مَنْ يَحْرُمُ نَظَرُهُ لِعَوْرَتِهِ، وَنَدْباً فِي غَيْر ذَلِكَ. عون (٩/ ٣٥).
النسائي (٤٠٧). (حم) ١٧٩٩٩.

يفضحهم إلا إذا تكرروا في فعل الفضيحة ولا يخزهم ما داموا قد ستروا على أنفسهم ولم يرجعوا إلى المنكرات والأعمال المشينة. فهو ﷻ يرزقهم وينعم عليهم ويسترهم وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«كل أمتي معافًى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه»**[(١)].

فالمجاهرة بالمعصية من الكبائر.

ويستلزم الإيمان بهذا الاسم محبة الله ﷻ لعباده لأنه يسترهم ولا يفضحهم ويمهلهم ولا يستعجل عنهم، فحق لمن وقف مع عبده بمثل هذه الوقفة أن يعبده وحده ولا يشرك في عبادته شيئاً، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن أمور أخرى ويخلص له العبادة.

فينبغي من العبد أن يستحي من الله حيث يستر عليه ولا يفضحه على الخلق فحري بالعبد أن يتأدب ويقف على حدود الرب الستير، ولا يرفع الستر الذي ستره الله به بفعل المحذورات حتى يغفر الله عليه، ويفتحه على الخلق.

وعلى المرء أن يتصف بصفة الستر مع إخوانه فلا

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٢١) ومسلم (٢٩٩٠).

يفضحهم ويستر عيوبهم، بحيث إذا سمع أو رأى عيب أخيه يستره ولا يخبر الناس به. ويقول سمعت عن فلان كذا وكذا أو رأيت فيه كذا وكذا، وهذا خلق ذميم، وليس من أخلاق أهل الصلاح والتقوى.

وأيضاً الاتصاف بهذا الخلق المذموم يسبب كشف الله لستره عليه في أظهار عيوبه للناس، كما لا يجوز له أيضاً التجسس على إخوانه؛ للبحث عن أسرارهم أو عيوبهم كما لا يجوز أيضاً السماع لأحد أن يذكر عيوب إخوانه.

وكل ذلك يعتبر محرم على خلاف منهج السلف الصالح وقد جاء في حديث ابن عمر وأبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**من ستر أخاه المسلم في الدنيا، ستره الله في الدنيا الآخرة**»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يستر الله على عبدٍ في الدنيا، إلا ستره الله يوم القيامة**»[2].

يَحْتَمِل وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا أَنْ يَسْتُرَ مَعَاصِيَه وَعُيُوبَه عَنْ إِذَاعَتِهَا فِي أَهْلِ الْمَوْقِف.

وَالثَّانِي: تَرْكُ مُحَاسَبَتِهِ عَلَيْهَا، وَتَرْكِ ذِكْرِهَا، وَالأَوَّلُ

---

(١) (أحمد) ٧٩٢٩ (خ) ٢٣١٠، (م) ٥٨ (٢٥٨٠)، (ت) (١٤٢٦).

(٢) (م) (٧١)، (٢٥٩٠).

أَظْهَر، لِمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَر «يُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، يَقُولُ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْم»(١).

عن أبي برزة الأسلمي قال: نادى رسول الله ﷺ حتى أَسْمَعَ الْعَوَاتِقَ، فَقَالَ: **«يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته حتى يفضحه في بيته»**(٢).

عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: **«يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله»** قَالَ: وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْماً إِلَى الْبَيْتِ أَوْ إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَالَ: «مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللهِ مِنْكِ»(٣).

يَا من لهُ سترٌ عليّ جميلُ ... هل لي إليكَ إذا اعتذرتُ قبولُ
أيّدتني ورحمتني وسترتني ... كرَماً فأنتَ لمن رجاك كفيلُ
وَعصيتُ ثمّ رأيتُ عفوكَ واسعاً ... وعليّ ستركَ دائماً مسبولُ
فلكَ المحامدُ والممادح في الثنا ... يا مَن هو المقصود والمسؤولُ

---

(١) شرح النووي على مسلم (٨/ ٤٠١).
(٢) أخرجه أحمد برقم (١٩٨٠١) صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن.
(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٣٢) [قال الألباني]: حسن صحيح.

وصدق الشاعر حيث قال:

وهو الحَيِيُّ فَلَيسَ يَفْضَحُ عَبْدَهُ عندَ التَّجَاهُرِ مِنْهُ بالعِصْيَانِ
لَكِنَّهُ يُلْقِي عَلَيْهِ سِتْرَهُ فَهْوَ السَّتِيرُ وصَاحِبُ الغُفْرَانِ

قال البيهقي: «ستير: يعني: أنه ساترٌ يستر على عباده كثيراً، ولا يفضحهم في المشاهد. كذلك يحبُّ من عباده السَّتر على أنفسهم، واجتناب ما يَشينهم». اهـ.

وجاء الحديث برواية أخرى عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: **كلُّ أمَّتي مُعافًى إلّا المُجاهِرين الذي يعملُ العمل بالليل فيسترُه ربه ثم يصبحُ فيقول: يا فلانُ: إني عملتُ البارحة كذا كذا فيكشفُ ستر الله عز وجل.** [رواه الطبراني في المعجم الأوسط بسند لا بأس به].

قال ابن بطال: وفي الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله وبصالحي المؤمنين». اهـ.

والستير سبحانه لا يهتك ستر عبده من أوّل ذنب حتى يتمادى.

يُروى عن الفاروق رضي الله عنه أنه قال لسارقٍ اعتذر أنها أول مرة: (كذبت، إن الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة).

وستر الله في الآخرة أعظم منّة من ستر الدنيا قال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا: أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم. أي**

ربّ، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته. وأما الكافر والمنافق، فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين» [أخرجه البخاري].

كيف تفوز بستر الله تعالى عليك؟

إليك بعض أسباب الفوز بستر الله تعالى عليك:

- الإخلاص واجتناب الرياء:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«من سمع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به»** [متفق عليه].

- عدم المجاهرة بالذنب والستر على نفسه:

فلو ستر نفسه، لكان في محل ستر الله تبارك وتعالى له.. فليس عندنا كرسي اعتراف ولا صناديق غفران، فمن اقترف ذنباً وهتك ستراً فليبادر بالتوبة من قريب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وتأخير التوبة ذنب يجب التوبة منه.

عَنْ مَيْمُوْنٍ قَالَ: «مَنْ أَسَاءَ سِرّاً، فَلْيَتُبْ سِرّاً، وَمَنْ أَسَاءَ عَلَانِيَةً، فَلْيَتُبْ عَلَانِيَةً فَإِنَّ النَّاسَ يُعَيِّرُوْنَ وَلَا يَغْفِرُوْنَ، وَالله يَغْفِرُ وَلَا يُعَيِّرُ» [«سير أعلام النبلاء» (٩/ ٨١)].

وعن العلاء بن بدر قال: «لا يعذب الله قوماً يسترون الذنوب».. وعن عثمان بن أبي سودة قال: لا ينبغي لأحد أن

يهتك ستر الله. قيل: وكيف يهتك ستر الله؟ قال: يعمل الرجل الذنب فيستره الله عليه فيذيعه في الناس.

قالَ ابن بَطّال: فِي الجَهر بِالمَعصِيَةِ استِخفاف بِحَقِّ الله ورَسُوله وبِصالِحِي المُؤمِنِينَ، وفِيهِ ضَرب مِنَ العِناد لَهُم، وفِي السِّتر بِها السَّلامَة مِنَ الاستِخفاف؛ لأَنَّ المَعاصِي تُذِلّ أَهلها، ومِن إِقامَة الحَدّ عَلَيهِ إِن كانَ فِيهِ حَدّ ومَن التَّعزِير إِن لَم يُوجِب حَدّاً، وإِذا تَمَحَّضَ حَقّ الله فَهُو أَكرَم الأَكرَمِينَ ورَحمَته سَبَقَت غَضَبه، فَلِذَلِكَ إِذا سَتَرَهُ فِي الدُّنيا لَم يَفضَحهُ فِي الآخِرَة، والَّذِي يُجاهِر يَفُوتهُ جَمِيع ذَلِكَ.

[«فتح الباري» (١٠/ ٤٨٧)].

فإذا وقع العبد في معصية ثمَّ تاب منها دون أن يجهَر بها، ستره الله في الدنيا والآخرة.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال رجلٌ لابن عمر كيف **سمعتَ رسول الله ﷺ يقول: في النّجوى؟ قال: سمعته يقول: يدني المؤمن يوم القيامة من ربّه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرّره بذنوبه فيقولُ: هل تعرفُ؟ فيقول أي ربِّ أعرفُ، قال: فإنّي قد سترُتها عليك في الدنيا وإني أغفرُها لك اليومَ فيُعطى صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائقِ هؤلاء الذين كذبوا على الله.**

[رواه مسلم].

ـ الاستغفار والإكثار من العبادات:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدّاً فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، قَالَ: وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْهُ، قَالَ: وَحَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ قَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدّاً فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ اللهِ، قَالَ: «**أليس قد صلّيت معنا؟**»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فإنّ الله قد غفر لك ذنبك أو قال حدّك**» [متفق عليه].

فالأصل أن تستر على نفسك إذا وقعت في ذنبٍ ما، وعليك أن تُكْثِر من الصلاة ومن العبادات والاستغفار وتُجدد توبتك.

ـ أن تستر على أخيك المسلم:

فإن الجزاء من جنس العمل.. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لا يستر عبد عبداً في الدنيا، إلا ستره الله يوم القيامة**» [«صحيح مسلم»].

عن علام بن مسقين قال: سأل رجل الحسن فقال: يا أبا سعيد، رجل عَلِمَ من رجل شيئاً، أيفشي عليه؟، قال: يا سبحان الله! لا.

ومن الستر: تغطية المسلم لعيوب أخيه.. قال رسول الله: «.. **ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**» [«صحيح البخاري»]..

يقول ابن حجر: «قَوله: **«ومن ستر مسلماً»**؛ أَي: رَآهُ عَلَى قَبِيحٍ فَلَم يُظهِرهُ؛ أَي: لِلنّاسِ، ولَيسَ فِي هَذا ما يَقتَضِي تَرك الإِنكار عَلَيهِ فِيما بَينَهُ وبَينَهُ.

ويُحمَلُ الأَمرُ فِي جَوازِ الشَّهادَةِ عَلَيهِ بِذَلِكَ عَلَى ما إِذا أَنكَرَ عَلَيهِ ونَصَحَهُ فَلَم يَنتَهِ عَن قَبِيحِ فِعلِهِ ثُمَّ جاهَرَ بِهِ.. كَما أَنَّهُ مَأمُورٌ بِأَن يَستَتِرَ إِذا وقَعَ مِنهُ شَيء، فَلَو تَوجَّهَ إِلَى الحاكِمِ وأَقَرَّ لَم يَمتَنِع ذَلِكَ والَّذِي يَظهَرُ أَنَّ السَّترَ مَحَلّه فِي مَعصِيَةٍ قَد انقَضَت، والإِنكارَ فِي مَعصِيَةٍ قَد حَصَلَ التَّلَبُّس بِها فَيَجِبُ الإِنكارُ عَلَيهِ وإِلَّا رَفَعَهُ إِلَى الحاكِمِ، ولَيسَ مِنَ الغِيبَةِ المُحَرَّمَةِ بَل مِنَ النَّصِيحَةِ الواجِبَةِ، وفِيهِ إِشارَةٌ إِلَى تَركِ الغِيبَةِ لأَنَّ مَن أَظهَرَ مَساوِئَ أَخِيهِ لَم يَستُرهُ». [«فتح الباري» (٥/٩٧)].

واعلم أنَّ النَّاس على ضربين: **أحدهما**: من كان مستوراً لا يُعرف بشيءٍ مِنَ المعاصي، فإذا وقعت منه هفوةٌ، أو زلَّةٌ، فإنَّه لا يجوزُ كشفها، ولا هتكُها، ولا التَّحدُّث بها؛ لأنَّ ذلك غيبةٌ محرَّمة.. وهذا هو الذي وردت فيه النُّصوصُ، وفي ذلك قد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩].. والمراد: إشاعةُ الفَاحِشَةِ على المؤمن المستتر فيما وقع منه، أو اتُّهِمَ به وهو بريء منه، كما في قصَّة الإفك.

والثاني: من كان مشتهراً بالمعاصي، معلناً بها لا يُبالي بما ارتكبَ منها، ولا بما قيل له فهذا هو الفاجرُ المُعلِنُ، وليس له غيبة.. كما نصَّ على ذلك الحسنُ البصريُّ وغيره، ومثلُ هذا لا بأس بالبحث عن أمره؛ لِتُقامَ عليه الحدودُ.. ومثلُ هذا لا يُشفَعُ له إذا أُخِذَ، ولو لم يبلغِ السُّلطان؛ بل يُترك حتّى يُقامَ عليه الحدُّ لينكفَّ شرُّه، ويرتدعَ به أمثالُه.

قال مالك: من لم يُعْرَفْ منه أذى للناس، وإنَّما كانت منه زلَّةٌ، فلا بأس أنْ يُشفع له ما لم يبلغ الإمام.. وأمَّا من عُرِفَ بشرٍّ أو فسادٍ، فلا أحبُّ أنْ يشفعَ له أحدٌ، ولكن يترك حتى يُقام عليه الحدُّ. [«جامع العلوم والحكم» (٣٨/١١، ١٢)، بتصرف].

ومن الستر على المسلم: أن لا تنعت المرأة امرأة أخرى لزوجها.. عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها»** [متفق عليه].. وهذا للأسف ينتشر بين المسلمات حتى المتدينات منهن، وينبغي أن لا تصف المرأة امرأة أخرى لزوجها.

ـ عدم تتبع عورات المسلمين:

عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله: **«يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته»** [رواه أبو داوود وقال الألباني: حسن صحيح (٤٨٨٠)].

وعن ابن عباس عن النبي قال: **«من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته»** [رواه ابن ماجه وصححه الألباني (٢٥٤٦)].

ـ الصدقة:

فالصدقة من أسباب الستر وأن يحجبك الله تعالى عن النار، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **«من استطاع منكم أن يستتر من النّار ولو بشقّ تمرةٍ فليفعل»** [«صحيح مسلم»].

ـ ستر المسلم عند تغسيله:

قال رسول الله: **«من غسل ميتاً فستره، ستره الله من الذنوب. ومن كفنه، كساه الله من السندس»** [رواه الطبراني وحسنه الألباني، «صحيح الجامع» (٦٤٠٣)].

ـ كظم الغيظ والغضب:

قال رسول الله ﷺ: **«.. ومن كف غضبه ستر الله عورته..»** [رواه ابن أبي الدنيا وحسنه الألباني، «صحيح الجامع» (١٧٦)].

ـ الدعاء:

عن ابن عمر قال: لم يكن رسول الله يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: **«اللَّهُمَّ إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللَّهُمَّ إني أسألك العفو والعافية في ديني**

ودنياي وأهلي ومالي، اللَّهُمَّ استر عوراتي وآمن روعاتي، اللَّهُمَّ احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي» [رواه أبو داوود وصححه الألباني (٥٠٧٤)].

ـ حُسن الظن بالله:

فمن جملة الخير أن يُحسن العبد ظنه بربِّه ويُحسن الظن بأنه سيستره في الدنيا والآخرة، فالله جلَّ في علاه هو الستير يحب الستر على عباده ويسترهم في الدنيا والآخرة.. يقول الله ﷻ في الحديث القدسي: **«أنا عند ظن عبدي بي إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر»** [«صحيح الجامع» (١٩٠٥)].

ـ الإحسان إلى البنات:

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: دَخَلَتْ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئاً غَيْرَ تَمْرَةٍ فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: **«من ابتلي من هذه البنات بشيءٍ كن له ستراً من النار»** [متفق عليه].

ـ تأدية حق الله في المال:

فإذا أديت حق الله في مالك، سترك الله. أما إذا لم تؤد حق الله في مالك، نالتك العقوبة.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: **«قال الخيل ثلاثةٌ؛**

هي لرجلٍ وزرٌ وهي لرجلٍ سترٌ وهي لرجلٍ أجرٌ.. فأما التي هي له وزرٌ فرجلٌ ربطها رياءً وفخراً ونواءً على أهل الإسلام فهي له وزرٌ، وأما التي هي له سترٌ فرجلٌ ربطها في سبيل الله ثم لم ينس حق الله في ظهورها ولا رقابها فهي له سترٌ، وأما التي هي له أجرٌ فرجلٌ ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام في مرجٍ وروضةٍ فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شيءٍ إلا كتب له عدد ما أكلت حسناتٌ» [رواه مسلم].

- عدم التسميع بالفواحش:

فلا يجوز إشاعة الفاحشة بين المؤمنين.. عن شبيل بن عوف قال: «كان يقال: مَنْ سمَّع بفاحشة فأفشاها فهو فيها كالذي أبداها» [«صحيح الأدب المفرد» (٣٢٥)]. فالذي ينشر أخبار المعاصي ويُفشيها، سينال وزر كل من يقع فيها بسببه حتى وإن لم يقع هو في تلك المعصية.

- حجاب المرأة:

عن أبي المليح قال: دخل نسوة من أهل الشام على عائشة، فقالت: ممن أنتن؟، قلن: من أهل الشام، قالت: لعلكن من الكورة التي تدخل نساؤها الحمامات، قلن: نعم، قالت: أما إني سمعت رسول الله يقول: **«ما من امرأة تخلع ثيابها في غير بيتها إلا هتكت ما بينها وبين الله تعالى»** [رواه أبو داوود وصححه الألباني (٤٠١٠)].. فالتي تخلع ثيابها في غير بيت أهلها، تهتك الستر الذي أسدله الله تعالى عليها.

- **اجتنـاب الذنوب والمعاصي:**

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتّى إذا أخذه لم يفلته**» [متفق عليه]. . فإذا ظلم العبد نفسه باقتراف الذنوب والمعاصي وتعدى الحدود، فإن الله تعالى يؤاخذه بذنبه ويرفع ستره عنه. . أما إن لم يقترف تلك الذنوب، كان في رحمة الله تعالى وسَتَرَهُ الله جل جلاله.

- **الاستتـار وعدم التعري:**

عن جابر أن النبي قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام بغير إزار..**» [رواه الترمذي وصححه الألباني، مشكاة المصابيح (٤٤٧٧)]. . والحمامات المقصود بها كحمامات البخار وصالات الألعاب الرياضية في عصرنا؛ فالأصل أن يستتر.

- **غض البصر:**

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة..**» [«صحيح مسلم»].

- **عدم إفشـاء أسرار الزوجين:**

قال رسول الله: «**هل منكم رجل إذ أتى أهله فأغلق عليه بابه وألقى عليه ستره واستتر بستر الله**»، قالوا: نعم، قال: «**ثم يجلس بعد ذلك فيقول فعلت كذا فعلت كذا**»، فسكتوا. . ثم أقبل على النساء فقال: «**هل منكن من تحدث؟**»، فسكتن. .

فجثت فتاة كعاب على إحدى ركبتيها وتطاولت لرسول الله ليراها ويسمع كلامها فقالت: يا رسول الله، إنهم ليحدثون وإنهن ليحدثن، فقال: «**هل تدرون ما مثل ذلك؟، إنما مثل ذلك مثل شيطانة لقيت شيطاناً في السكة فقضى حاجته والناس ينظرون إليه، ألا إن طيب الرجال ما ظهر ريحه ولم يظهر لونه، ألا إن طيب النساء ما ظهر لونه ولم يظهر ريحه..**» [رواه أبو داوود وصححه الألباني، «صحيح الجامع» (٧٠٣٧)].

هذه بعض أسباب الفوز بستر الله ﷻ عليك.. ومن يشمله بستره، فقد فاز بمحبة الله ﷻ. سترنا الله وإياكم في الدنيا والآخرة.

الستير يأتي بمعنى آخر، معنى المنع والابتعاد عن الشيء، فقد ورد في الحديث الصحيح السابق بلفظ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: «**جاءتني امرأةٌ معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي غير تمرةٍ واحدةٍ فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ فحدثته فقال: من ابتلي من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهن كن له ستراً من النار**» [متفق عليه].

مَن يصدق أنه إذا ربّى بنتاً أو بنتين، فأحسن تربيتهما، ربّاهما على الصلاح والحياء، والورع والتقوى، ثم اختار لهما زوجين صالحين من المؤمنين، ومات فله الجنة؟!

يكفي أن تربي بنتين، وفي بعض الروايات بنتاً واحدة، يكفي أن تربي بنتاً، أن ترعاها، أن تؤدبها بأدب الإسلام، أن تحجبها، أن تختار لها زوجاً مؤمناً، يكفي هذا العمل لتكون في الجنة.

إذاً: الستر هنا بمعنى البعد، فتربية هذه البنت تربية صالحة تبعدك عن النار.

هل هناك بيت ما فيه بنات؟ هذا كلام النبي عليه الصلاة والسلام، يقول سعد ابن أبي وقاص: «ثلاثة أنا فيهن رجل، وفيما سوى ذلك أنا واحد من الناس»، ومعنى رجل لا تعني أنه ذكر، تعني أنه بطل.

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].

كلمة رجال في القرآن لا تعني أنهم ذكور، تعني أنهم أبطال.

قال: ثلاثة أنا فيهن رجل، وفيما سوى ذلك أنا واحد من الناس، واحد من عامة المؤمنين، ما هذه الثلاثة؟! يقول: «ما سرتُ في جنازة فحدثت نفسي بغير ما تقول حتى أنصرف منها»، معنى ذلك أن الجنازة لها قول، القول قد يكون بلسان المقال، أو بلسان الحال.

ورد في بعض الآثار «أن روح الميت ترفرف فوق النعش تقول: يا أهلي يا ولدي، لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي،

جمعت المال مما حل وحرم، فأنفقته في حله، وفي غير حله؛ فالهناء لكم والتبعة علي».

قال: «ما سرت في جنازة فحدثت نفسي بغير ما تقول حتى أنصرف منها.

لذلك إذا مشى الإنسان في جنازة فهذا الذي في النعش انقضى أجله، وخُتم عمله سيحاسب عن كل شيء.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

كل مخلوق يموت ولا يبقَ إلا ذو العزة والجبروت.

والليل مهما طال فلا ... بد من طلوع الفجر
والعمر مهما طال ... فلا بد من نزول القبر
وكل ابن أنثى وإن طالت سلامته ... يوماً على آلة حدباء محمول
فإذا حملت إلى القبور جنازة ... فاعلم أنك بعدها محمول

۞ ۞ ۞



الهادي

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: ٥٤].

ويقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١].

الهادي: هو الذي يهدي العباد ويرشدهم إلى سبيل النجاة.

وبهدايته اهتدى من اهتدى إلى طاعته ورضاه.

فالله الهادى، وكتابه الهدى الذى يهدى به على لسان رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

الله تعالى مفيض الأنوار الهادي لنوره من يشاء.

فسبيل الله هداه وكتابه الهادي للطريق الأقوم والسبيل الأقصد.

ولهداية الخلق والناس أنزل الكتب وأرسل الرسل،

وشرع الشرائع والأحكام، وبين لهم الطريق المستقيم، ووضح لهم طرق الضلال؛ ليحذرهم من اتباعها وبهدايته هدى الناس الى عموم الفطرة لتستقيم أمورهم في دنياهم وآخرتهم.

قسم أهل العلم أنواع الهداية إلى رب العالمين على أقسام وأحوال:

أولاً: الهداية العامة: وهي هداية كل نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها؛ وهي هداية تشمل الحيوان والبهائم، ومن ذلكم هدايته الحيوان البهيم الى التقام الثدي عند خروجه من بطن أمه، الى معرفته بأنه دون غيرها، حتى يتبعها أينما ذهبت. والى قصد ما ينفعه من المرعى دون ما يضره منه، ومن ذلكم هداية الطير والوحوش والدواب الى الأفعال العجيبة التي يعجز عنها الإنسان، كهداية النحل الى سلوك السبل التي فيها مراعيها على تباينها، ثم عودها من مسافات بعيدة الى بيوتها من الشجر والجبال وما يعرش بنو آدم، وكهداية النملة الصغيرة تخرج من بيتها وتطلب قوتها وان بعدت عليها الطريق. فاذا ظفرت به حملته وساقته في طريق معوجة بعيدة ذات صعود وهبوط ووعورة حتى تصل الى بيتها، فتخزن فيه أقواتها، وهذا باب واسع، ويكفي فيه قوله ﷻ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام: ٣٨، ٣٩].

ثانياً: هداية الارشاد والبيان للمكلفين، وهي حجة الله على خلقه التي لا يعذب أحد منهم إلا بعد إقامتها عليه: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزمر: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [فصلت: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [التوبة: ١١٥].

أي: أنه هداهم هداية البينات والدلالة فلم يهتدوا، فأضلهم عقوبة لهم على ترك الاهتداء.

ثالثاً: هداية التوفيق والإلهام وشرح الصدر لقبول الحق والرضى به قال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ﴾ [الإسراء: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر: ٨].

وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣].

وقال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٦].

ولذا أمر سبحانه عباده كلهم أن يسألوه هدايتهم الصراط المستقيم كل يوم وليلة في الصلوات الخمس.

وصح في السُّنَّة النبوية عن النبي ﷺ دعوات كثيرة فيها سؤال الله الهداية والثبات والصلاح والسداد والتوفيق، وسؤاله الوقاية من الضلال وزيغ القلوب، وهو أمر بيده سبحانه وحده يهدي ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام: ٣٩].

رابعاً: الهداية إلى الجنة والنار يوم القيامة، أما الهداية الى الجنة فقد أمر الله ﷻ عن أهلها أن يولوا حيث تتم عليهم النعمة بدخولها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣].

وأما الهداية إلى النار فيقول سبحانه: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: ٢٢ ـ ٢٤].

إن تفكر العبد في هذا الاسم العظيم وتأمله في دلالاته يكشف للعبد عن شدة افتقاره واضطراره إلى ربه في كل أحواله وجميع شؤونه الدينية والدنيوية بأن يهديه إلى صالح أمره، وأن يعصمه من الانحراف والضلال.

قال ابن القيم في إغاثة اللهفان (٢/ ١٧٠): «والمقصود: أن المحل القابل هو قلب العبد المتقي، المنيب إلى ربه، الخائف منه، الذي يبتغي رضاه، ويهرب من سخطه، فإذا هداه الله فكأنه وصل أثر فعله إلى محل قابل، فيتأثر به، فصار هدى له وشفاء ورحمة وموعظة بالوجود والفعل والقبول، وإذا لم يكن المحل قابلاً وصل إليه الهدى فلم يؤثر فيه، كما يصل الغذاء إلى محل غير قابل للاغتذاء، فإنه لا يؤثر فيه شيئاً؛ بل لا يزيده إلا ضعفاً وفساداً إلى فساده، كما قال تعالى في السورة التى نزلها: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٤ ـ ١٢٥]، وقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢].

فتخلف الاهتداء يكون لعدم قبول المحل تارة، ولعدم آلة الهدى تارة، ولعدم فعل الفاعل، وهو الهادى تارة، ولا يحصل الهدى على الحقيقة إلا عند اجتماع هذه الأمور الثلاثة.

وقد قال سبحانه: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٣].

فأخبر سبحانه أنه قطع عنهم مادة الاهتداء، وهو إسماع قلوبهم وإفهامها ما ينفعها، لعدم قبول المحل، فإنه لا خير فيه، فإن الرجل إنما ينقاد للحق بالخير الذى فيه، والميل إليه، والطلب له، ومحبته، والحرص عليه، والفرح بالظفر به، وهؤلاء ليس في قلوبهم شيء من ذلك، فوصل الهدى إليها ووقع عليها كما يصل الغيث النازل من السماء ويقع على الأرض الغليظة العالية، والتي لا تمسك ماء، ولا تنبت كلاء، فلا هي قابلة للماء ولا للنبات؛ فالماء في نفسه رحمة وحياة، ولكن ليس فيها قبول له.

ثم أكد الله هذا المعنى في حقهم بقوله: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٣].

فأخبر أن فيهم مع عدم القبول والفهم آفة أخرى، وهي الكبر والإعراض، وفساد القصد، فلو فهموا لم ينقادوا، ولم يتبعوا الحق. ولم يعملوا به؛ فالهدى في حق هؤلاء هدى بيان وإقامة حجة، لا هدى توفيق وإرشاد، فلم يتصل الهدى في حقهم بالرحمة.

وأما المؤمنون: فاتصل الهدى في حقهم بالرحمة، فصار القرآن لهم هدى ورحمة ولأولئك هدى بلا رحمة.

والرحمة المقارنة للهدى في حق المؤمنين عاجلة وآجلة.

فأما العاجلة فما يعطيهم الله تعالى في الدنيا من محبة الخير والبر، وذوق طعم الإيمان، ووجد حلاوته، والفرح

والسرور بأن هداهم الله تعالى لما أضل عنه غيرهم، ولما اختلف فيه من الحق، فهم يتقلبون في نور هداه، ويمشون به في الناس، ويرون غيرهم متحيراً في الظلمات، فهم أشد الناس فرحاً بما آتاهم ربهم من الهدى، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: ٥٨].

فأمر سبحانه عباده المؤمنين المهتدين أن يفرحوا بفضله ورحمته.

وقد دارت عبارات السلف على أن الفضل والرحمة هو العلم والإيمان والقرآن، واتباع الرسول، وهذا من أعظم الرحمة التي يرحم الله بها من يشاء من عباده، فإن الأمن والعافية والسرور، ولذة القلب ونعيمه وبهجته، وطمأنينته: مع الإيمان والهدى إلى طريق الفلاح والسعادة، والخوف، والهم، والغم، والبلاء، والألم، والقلق: مع الضلال والحيرة.

ومثل هذا بمسافرين أحدهما قد اهتدى لطريق مقصده، فسار آمناً مطمئناً، والآخر قد ضل الطريق فلم يدر أين يتوجه؟ كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ﴾ [الأنعام: ٧١].

فالرحمة التي تحصل لمن حصل له الهدى، هي بحسب هداه، فكلما كان نصيبه من الهدى أتم كان حظه من الرحمة

أوفر، وهذه هي الرحمة الخاصة بعباده المؤمنين، وهي غير الرحمة العامة بالبر والفاجر.

وقد جمع الله سبحانه لأهل هدايته بين الهدى والرحمة والصلاة عليهم، فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٧]. قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه «نعم العدلان، ونعمت العلاوة» فبالهدى خلصوا من الضلال، وبالرحمة نجوا من الشقاء والعذاب، وبالصلاة عليهم نالوا منزلة القرب والكرامة. والضالون حصل لهم ضد هذه الثلاثة: الضلال عن طريق السعادة، والوقوع في ضد الرحمة من الألم والعذاب، والذم واللعن، الذى هو ضد الصلاة.

ولما كان نصيب كل عبد من الرحمة على قدر نصيبه من الهدى كان أكمل المؤمنين إيماناً أعظمهم رحمة، كما قال تعالى في أصحاب رسوله ﷺ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩].

وكان الصديق رضى الله تعالى عنه من أرحم الأمة، وقد روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال: «**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر**» رواه الترمذي، وكان أعلم الصحابة باتفاق الصحابة، كما قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه «وكان أبو بكر رضي الله عنه أعلمنا به؛ يعني: النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم» فجمع الله له بين سعة العلم والرحمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولما كان العبد في كل حال مفتقراً إلى هذه الهداية في جميع ما يأتيه ويذره من أمور قد أتاها على غير الهداية، فهو يحتاج إلى التوبة منها، وأمور هدي إلى أصلها دون تفصيلها، أو هدي إليها من وجه فهو محتاج إلى تمام الهداية فيها ليزداد هدى، وأمور هو محتاج إلى أن يحصل له من الهداية فيها في المستقبل مثل ما حصل له في الماضي، وأمور هو خال عن اعتقاد فيها فهو محتاج إلى الهداية فيها، وأمور لم يفعلها فهو محتاج إلى فعلها على وجه الهداية، إلى غير ذلك من أنواع الحاجات، إلى أنواع الهدايات، فرض عليه أن يسأل هذه الهداية في أفضل أحواله، وهي الصلاة مرات متعددة في اليوم والليلة، وقد بين أن أهل هذه النعمة مغايرون للمغضوب عليهم «اليهود» والضالين «النصارى». (بيان الدليل على بطلان التحليل ص٥).

ومراتبُ هدايته سبحانه لا يُحصيها إلا هو، فتبارك الله ربُّ العالمين.

من تأمَّل بعض هدايته المبثوثة في العالم شهد له بأنه الله الذي لا إلٰه إلا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم.

فهذا أحد أنواع الهداية وأعمُّها.

النوع الثاني: هداية البيان والدَّلالة لِنجْدي الخير والشّر وطريقي النّجاة والهلاك، وهذه الهداية لا تستلزمُ الهدى التامَّ، فإنها سببٌ وشرط لا موجب، ولهذا لا ينبغي الهدى معها.

ومنها قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ۝٥٢﴾ [الشورى: ٥٢].

النوع الثالث: هداية التوفيق والإلهام:

وهي الهداية المستلزمة للاهتداء، فلا يتخلَّفُ عنها، في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]،

فنفى عنه هذه الهداية،

وأثبت له هداية الدعوة والبيان

في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ۝٥٢﴾ [الشورى: ٥٢].

النّوع الرابع: غاية هذه الهداية وهي الهداية إلى الجنة والنّار إذا سيق أهلُها إليهما

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩﴾ [يونس: ٩]، . . .

وقال تعالى عن أهل النار:

﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ۝٢٣﴾ [الصافات: ٢٢، ٢٣].

من آثار الإيمان باسمه سبحانه:

(الهادي) على العبد

أولاً: محبة الله ﷻ وتعظيمه والثناء عليه.

حيث أعطى كل شيء خلقه وهداه إلى ما لا بد منه في قضاء حاجاته.

وأعظم من ذلك هدايته سبحانه لعباده حيث أنزل الكتب وأرسل الرسل لبيان سبل الهدى والحق والتحذير من طريق الغواية والضلال، ومنح لعباده العقول التي تدلهم على الله ﷻ وتهديهم إليه بما أودع في هذا الكون من الآيات الباهرات التي تدل على وحدانيته سبحانه.

ثانياً: لما كانت هداية التوفيق والإلهام لا يملكها إلا الله ﷻ فإن هذا يشعر العبد بافتقاره التام إلى ربه سبحانه في طلب هذه الهداية والإعانة عليها، . . .

ولذا كان على العبد أن يسأل ربه سبحانه ويتضرع إليه بأن يهديه ويثبته ويوفقه.

وحتى هداية الدلالة والإرشاد هي الأخرى لا يملكها على الحقيقة إلا الله تعالى وإنما يختار سبحانه من يشاء من عباده من الرسل والمصلحين في هداية الناس إلى الحق وبيانه لهم، ولولاه سبحانه لما اهتدى أحد سواء كانت هذه الهداية هداية الإرشاد أو هداية التوفيق.

والهداية أكبر نعمة يُنْعِم بها (الهادي) سبحانه على عبده، إذْ كل نعمة دونها زائلة ومضمحِلَّة، وبقدر هدايته تكون سعادته في الدنيا، وطيب عيشه وراحة باله، وكذا فوزه ودرجته في الآخرة. . .

وأمرت هذه الأمة بأن تسأل الله تعالى الهداية في كلِّ ركعة من صلاتها.

في قوله سبحانه: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

إن حاجتنا لطلب الهداية من مالكها سبحانه أشد من حاجتنا إلى الطعام والشراب.

ثالثاً: سعي المؤمن إلى أن يكون هادياً إلى الله ﷻ وإلى صراطه المستقيم وذلك بنشر العلم والدعوة إلى الله سبحانه، وإرشاد الناس إلى الحق، وتحذيرهم من الباطل الذي يؤول بهم إلى سخط الله وعذابه.





الجميل

ثبت في السُّنَّة ما رواه عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً، قال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس**»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إن الله جميلٌ يحب الجمال، يحب إذا أنعم على عبدٍ نعمةً أن يرى أثر النعمة عليه، ويبغض البؤس والتباؤس**»(٢).

معنى الجميل هو من له نعوت الحسن والإحسان فهو سبحانه جميل في أسمائه وصفاته وأفعاله، وجميل في ذاته وجميل في الأمور كلها، ولا يجوز وصف شيء من أوصافه وأفعاله بالقبح من حيث الانتساب إليه سبحانه وتعالى عما يصفون.

قال ابن القيّم رحمه الله: «وجماله سبحانه على أَربع مَرَاتِب جمال الذَّات وجمال الصِّفَات وجمال الْأَفْعَال وجمال الْأَسْمَاء

(١) أخرجه مسلم: (٩١).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (هب) (٦٢٠٢)، انظر صَحِيح الْجَامِع: (١٧١١)، (١٧٤٢)، الصَّحِيحَة: (١٣٢٠).

فأسماؤه كلهَا حسنى وَصِفَاته كلهَا صِفَات كَمَال وأفعاله كلهَا حِكْمَة ومصلحة وَعدل وَرَحْمَة، وَأما جمال الذَّات وَمَا هُوَ عَلَيْهِ فَأمر لَا يُدْرِكهُ سواهُ وَلَا يُعلمهُ غَيره وَلَيْسَ عِنْد المخلوقين مِنْهُ إِلَّا تعريفات تعرّف بهَا إِلَى من أكْرمه من عباده فَإِن ذَلِك الْجمال مصون عَن الأغيار مَحْجُوب بستر الرِّدَاء والإزار كَمَا قَالَ رَسُوله فِيمَا يحْكى عَنهُ الْكِبْرِيَاء رِدَائي وَالْعَظَمَة إزَارِي، وَلما كَانَت الْكِبْرِيَاء أعظم وأوسع كَانَت أَحَق باسم الرِّدَاء فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ الْكَبِير المتعال فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْعلي الْعَظِيم. قَالَ ابْن عَبَّاس حجب الذَّات بِالصِّفَاتِ وحجب الصِّفَات بالأفعال فَمَا ظَنك بِجَمَال حجب بأوصاف الْكَمَال وَستر بنعوت العظمة والجلال.

وَمن هَذَا الْمَعْنى يفهم بعض مَعَاني جمال ذَاته فَإِن العَبْد يترقّى من معرفَة الْأَفْعَال إِلَى معرفَة الصِّفَات وَمن معرفَة الصِّفَات إِلَى معرفَة الذَّات فَإِذا شَاهد شَيْئاً من جمال الْأَفْعَال اسْتدلَّ بِهِ على جمال الصِّفَات، ثمَّ استدل بِجَمَال الصِّفَات على جمال الذَّات. وَمن هَهُنَا يتَبَيَّن أَنه سُبْحَانَهُ لَهُ الْحَمد كُله وَأَن أحداً من خلقه لَا يحصي ثَنَاء عَلَيْهِ بل هُوَ كَمَا أثنى على نَفسه، وَأَنه يسْتَحق أَن يعبد لذاته وَيُحب لذاته ويشكر لذاته، وَأَنه سُبْحَانَهُ يحب نَفسه ويثني على نَفسه ويحمد نَفسه وَأَن محبته لنَفسِهِ وحمده لنفسِهِ وثناءه عَلى نَفسه وتوحيده لنَفسِهِ هُوَ فِي

الْحَقِيقَة الْحَمد وَالثنَاء وَالْحب والتوحيد، فَهُوَ سُبْحَانَهُ كَمَا أثنى على نَفسه وَفَوق مَا يثني بِهِ عَلَيْهِ خلقه وَهُوَ سُبْحَانَهُ كَمَا يحب ذَاته يحب صِفَاته وأفعاله، فَكل أَفعاله حسن مَحْبُوب، وَإِن كَانَ فِي مفعولاته مَا يبغضه ويكرهه فَلَيْسَ فِي أَفعاله مَا هُوَ مَكْرُوه مسخوط، وَلَيْسَ فِي الْوُجُود مَا يحب لذاته ويحمد لذاته إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ، وكل مَا يحب سواهُ فَإِن كَانَت محبته نابعة لمحبته سُبْحَانَهُ بِحَيْثُ يحب لأَجله فمحبته صَحِيحَة وَإِلَّا فَهِيَ محبَّة بَاطِلَة. وَهَذَا هُوَ حَقِيقَة الإلٰهية؛ فَإِن الْإِلَه الْحق هُوَ الَّذِي يحب لذاته ويحمد لذاته فَكيف إِذا أضفت إِلَى ذَلِك إحسانه وإنعامه وحلمه وتجاوزه وعفوه وبرّه وَرَحمته، فعلى العَبْد أَن يعلم أَنه لَا إِلَه إِلَّا الله فَيُحِبهُ وَيَحْمَدهُ لذاته وكماله، وَأَن يعلم أَنه لَا محسن على الْحَقِيقَة بأصناف النعم الظَّاهِرَة والباطنة إِلَّا هُوَ فَيُحِبهُ لإحسانه وإنعامه وَيَحْمَدهُ على ذَلِك فَيُحِبهُ من الْوَجْهَيْنِ جَمِيعاً، وكما أَنه لَيْسَ كمثله شَيْء فَلَيْسَ كمحبته محبَّة، والمحبة مَعَ الخضوع هِيَ الْعُبُودِيَّة الَّتِي خلق الْخلق لأَجلهَا فَإِنَّهَا غَايَة الْحبّ بغاية الذل وَلَا يصلح ذَلِك إِلَّا لَهُ سُبْحَانَهُ والإشراك بِهِ فِي هَذَا هُوَ الشّرك الَّذِي لَا يغفره الله وَلَا يقبل لصَاحبه عملاً.

وحمده يتَضَمَّن أصلين الْإِخْبَار بمحامده وصفات كَمَاله والمحبة لَهُ عَلَيْهَا، فَمن أخبر بمحاسن غَيره من غير محبَّة لَهُ لم يكن حامداً، وَمن أحبّه من غير إِخْبَار بمحاسنه لم يكن حامداً

حَتَّى يجمع الْأَمرينِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يحمد نَفسه بِنَفسِهِ ويحمد نَفسه بِمَا يجريه على أَلْسِنَة الحامدين لَهُ من مَلَائِكَته وأنبيائه وَرُسُله وعباده الْمُؤمنِينَ فَهُوَ الحامد لنَفسِهِ بِهَذَا، وَهَذَا فَإِن حمدهم لَهُ بمشيئته وإذنه وتكوينه فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي جعل الحامد حامداً وَالْمُسلم مُسلماً وَالْمُصَلي مُصَلياً والتائب تَائِباً فَمِنْهُ ابتدأت النعم وإليه انْتَهَت، فابتدأت بِحَمْدِهِ وانتهت إِلَى حَمده وَهُوَ الَّذِي ألهم عَبده التَّوْبَة وَفَرح بهَا أعظم فَرح وَهِي من فَضله وجوده، وألهم عَبده الطَّاعَة وأعانه عَلَيْهَا ثمَّ أثابه عَلَيْهَا وَهِي من فَضله وجوده، وَهُوَ سُبْحَانَهُ غَنِي عَن كل مَا سواهُ بِكُل وَجه وَمَا سواهُ فَقير إِلَيْهِ بِكُل وَجه، وَالْعَبْد مفتقر إِلَيْهِ لذاته فِي الْأَسْبَاب والغايات فَإِن مَا لا يكون بِهِ لَا يكون وَمَا لَا يكون لَهُ لَا ينفع.

وَقَوله فِي الحَدِيث: **«إِن الله جميل يحب الْجمال يتَنَاوَل جمال الثِّيَاب»**.

المسؤول عَنهُ فِي نفس الحَدِيث وَيدخل فِيهِ بطرِيق الْعُمُوم الْجمال من كل شَيْء كَمَا فِي الحَدِيث الآخر إِن الله نظيف يحب النَّظَافَة، وَفِي الصَّحِيح إِن الله طيب لَا يقبل إِلَّا طيباً، وَفِي السّنَن إِن الله يحب أَن يرى أثر نعْمَته على عَبده، وفيهَا عَن أبي الْأَحْوَص الْجُشَمِي قَالَ: رَآنِي النَّبِي وعليَّ أطمار فَقَالَ: **«هَل لَك من مَال»** قلت: نعم، قَالَ: **«من أَي المَال»**

قلت: من كل مَا أَتَى الله من الْإِبِل والشاه، قَالَ: «**فلتر نعْمَته وكرامته عَلَيْك**» فَهُوَ سُبْحَانَهُ يحب ظُهُور أثر نعْمَته على عَبده فَإِنَّهُ من الْجمال الَّذِي يُحِبهُ وَذَلِكَ من شكره على نعمه وَهُوَ جمال بَاطِن فيحب أَن يرى على عَبده الْجمال الظَّاهِر بِالنعْمَةِ وَالْجمال الْبَاطِن بالشكر عَلَيْهَا. ولمحبته سُبْحَانَهُ للجمال أنزل على عباده لباساً وزينة تجمّل ظواهرهم وتقوي تجمّل بواطنهم فَقَالَ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف: ٢٦] وَقَالَ فِي أهل الْجنَّة: ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ۝١٢﴾ [الإنسان: ١١، ١٢] فجمل وُجُوههم بالنظرة وبواطنهم بالسرور وأبدانهم بالحرير. وَهُوَ سُبْحَانَهُ كَمَا يحب الْجمال فِي الْأَقْوَال وَالْأَفْعَال واللباس والهيأة يبغض الْقَبِيح من الْأَقْوَال وَالْأَفْعَال وَالثِّيَاب والهيأة فيبغض الْقَبِيح وَأَهله وَيُحب الْجمال وَأَهله. وَلَكِن ضل فِي هَذَا الْمَوْضُوع فريقان فريق قَالُوا: كل مَا خلقه جميل فَهُوَ يحب كل مَا خلقه وَنحن نحب جَمِيع مَا خلقه فَلَا نبغض مِنْهُ شَيْئاً. قَالُوا: وَمن رأى الكائنات مِنْهُ رَآهَا كلهَا جميلَة وَأنْشد منشدهم:

وَإِذا رَأَيْت الكائنات بعينهم　　فَجَمِيع مَا يحوي الْوُجُود مليح

وَاحْتَجُّوا بقوله تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾ [السجدة: ٧] وَقَوله: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾ [النمل: ٨٨] وَقَوله: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾ [الملك: ٣] والعارف

عِنْدهم هُوَ الَّذِي يُصَرح بِإِطْلَاق الْجمال وَلَا يرى فِي الْوُجُود قبيحاً وَهَؤُلَاء قد عدمت الْغيرَة لله من قُلُوبهم والبغض فِي الله والمعاداة فِيهِ وإنكار الْمُنكر وَالْجِهَاد فِي سَبيله وَإِقَامَة حُدُوده، وَيرى جمال الصُّور من الذُّكُور وَالْإِنَاث من الْجمال الَّذِي يُحِبهُ الله فيتعبدون بفسقهم وَرُبمَا غلا بَعضهم حَتَّى يزْعم أَن معبوده يظْهر فِي تِلْكَ الصُّورَة وَيحل فِيهَا، وَإِن كَانَ اتحاديا قَالَ: هِيَ مظهر من مظَاهر الْحق ويسميها الْمظَاهر الجمالية» [«الفوائد» (ص١٨٢)].

الإنسان فُطر على حب الكمال، وحب الجمال، وحب المعطي والمحسن، الإنسان يحب الجميل، فقد يكون الطفل جميل الصورة، يدع في قلب أبيه تعلقاً شديداً، وأحياناً يكون العطاء خالصاً كريماً؛ فالإنسان يحب المحسن.

«يا داود، ذكر عبادي بإحساني إليهم، فإن النفوس جبلت على حبِّ مَن أحسن إليها»

والإنسان يحب النوال، العطاء، والجمال، والكمال، وهذا موقف كامل، الوفاء والرحمة والتواضع.

أحياناً تقرأ قصة، أو تقرأ سيرة، فتجد صحابيّاً جليلاً كان أديباً أدباً جمّاً، وقد قيل للعباس: أيّكما أكبر أنت أم رسول الله؟ عمه العباس، فقال: «أنا ولدت قبله، وهو أكبر مني».

هناك كلمات رائعة جدّاً، وتصرفات رائعة، وشكل رائع.

ورودُ اسم (الجميل) في الحديث الصحيح:

أيها الإخوة، هذا الحديث ورد فيه اسم (الجميل)، وهو حديث في «صحيح مسلم».

ورد هذا الاسم مطلقاً، منوناً، مراداً به العلمية، دالّاً على كمال الوصفية، ورد أيضاً في رواية أحمد في مسند ابن مسعود فيه تفصيل، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبةٍ من إيمانٍ، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبةٍ من كبرٍ»**، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي لَيُعْجِبُنِي أَنْ يَكُونَ ثَوْبِي غَسِيلاً ـ أي: نظيفاً ـ وَرَأْسِي دَهِيناً، وَشِرَاكُ نَعْلِي جَدِيداً، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ، حَتَّى ذَكَرَ عِلَاقَةَ سَوْطِهِ، أَفَمِنْ الْكِبْرِ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **«لا، ذاك الجمال، إن الله جميلٌ يحب الجمال، ولكن الكبر من سفه الحق، وازدرى الناس»** [رواه أحمد].

الجمال المادي والمعنوي مطلوب، وليس من الكِبْر:

هذا الكبر، الأمر واضح تماماً، الكبر رد الحق، وازدراء الناس، بطر الحق وغمط الناس، أمّا أن تكون أنيقاً، أن يكون بيتك مرتباً، منظماً، فيه تناسب ألوان، أن تكون مركبتك نظيفة، أن يكون ثوبك حسناً، أن يكون كلامك فصيحاً، أن تكون تصرفاتك رائعة، فهذا هو الجمال: **«إن الله جميل يحب الجمال»**.

لا بد للمؤمن أن يكون جميلاً بالمعنى العام:

أقول لكم: يجب أن تشتق من كمال الله كمالاً يكون هذا الكمال وسيلة للإقبال على الله.

تتقرب إلى الجميل بالجمال، تتقرب إلى الرحيم بالرحمة، تتقرب إلى العدل بالإنصاف، تتقرب إلى اللطيف باللطف، تتقرب إلى الكريم بالكرم.

أي: تقربوا إليه بأن تتخلقوا بهذا الكمال الإلٰهي، هذا محور هذه الدروس.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ما من شيء يقربك من الله عز وجل كأن تكون متخلقاً بكمالات الله.

معنى الجمال:

الإخوة الكرام أحبابي في الله: الجميل في اللغة مأخوذ من الجمال، وهو الحُسن في الخَلْق والأخلاق.

نحن كلما ذكرنا الجمال ننطلق إلى تصور جمال الشكل، لكن أحياناً هناك أعمال وتصرفات تستمع إليها فتبقى شهراً غارقاً في نشوتها.

هناك مواقف فيها وفاء، مواقف فيها رحمة، مواقف فيها إنصاف، مواقف فيها حب، هذه المواقف جميلة جدّاً، وقد يكون الذي يفعلها ليس جميلاً.

نضرب لذلك مثلاً: ورد في صفة بعض التابعين وهو الأحنف بن قيس، أنه كان قصير القامة، أسمر اللون، غائر العينين، ناتئ الوجنتين، أحنف الرجل، ليس شيء من قبح المنظر إلا وهو آخذ منه بنصيب، وكان مع ذلك سيد قومه، إذا غضبَ غضب لغضبته مئة ألف سيف، لا يسألونه فيم غضب؟ وكان إذا علم أن الماء يفسد مروءته ما شرب، هذا كمال رائع جدّاً مع دمامة لا توصف.

ليس الجمال محصوراً في الجمال الجسدي المادي:

لذلك الرجل جماله، بفصاحته، جماله في أخلاقه، جماله في كرمه، جماله في تواضعه، جماله في رحمته، لعل المرأة تتوهم أن كل قيمتها في جمالها الجسدي، وهذا خطأ.

أحاديث مهمة في بيان أهمية جمال الأخلاق:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«تنكح المرأة لأربعٍ: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدّين تربت يداك»** [متفق عليه].

يجب أن نحرر مفهوم الجمال مما تراكم من أذهان الناس أنه جمال الشكل فقط، هناك مواقف جميلة، أحياناً تعيش مع امرأة في أعلى درجة من الوفاء، والحب، والتفاني والخدمة، تسعد بها سعادة أيّما سعادة، وقد يعيش المرء مع امرأة بارعة

الجمال يكرهها من أعماقِ أعماق قلبه؛ لأن جمال الأفعال من أعلى مستويات الجمال.

عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَمَنْصِبٍ، إِلَّا أَنَّهَا لَا تَلِدُ، أَفَأَتَزَوَّجُهَا؟ فَنَهَاهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ، فَنَهَاهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَنَهَاهُ، فَقَالَ: «**تزوجوا الولود الودود فإني مكاثرٌ بكم**» [النسائي، أبو داود].

مودتها تقرّبها من زوجها؛ فالجميل مأخوذ من الجمال، وهو الحسن في الخَلْق والخُلُق، وكان عليه الصلاة والسلام حسنَ الخَلق والخُلق.

إذا رأى الإنسان صورته في المرآة ماذا يقول؟

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ حسّنت خلقي فحسّن خلقي**»(١).

قال بعض الشعراء: جمال الجسم مع قبح النفوس كقنديل على قبر المجوس.

مرة إنسان جميل الصورة، أنيق الثياب جدّاً، تكلم كلاماً بذيئاً، فقال له أحدهم: إما أن تتكلم وَفق ثيابك، أو البس وَفق

---

(١) صحيح: أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٩٥٩) [قال الألباني]: صحيح «الإرواء» (٧٤). وأحمد (٢٤٣٩٢)، (٢٥٢٢١) بلفظ أحسنت.

كلامك؛ فالتناسب رائع جدّاً، أحياناً إنسان أنيق، حسن الصورة ثيابه أنيقة، جميلة لكن كلامه بذيء، هذا الجمال وهذه الأناقة يناسبهما علم، يناسبهما كلام منضبط، لذلك:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يستقيم إيمان عبدٍ حتّى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتّى يستقيم لسانه، ولا يدخل رجلٌ الجنّة لا يأمن جاره بوائقه**» [أحمد].

وبعض العلماء، عدّ من آفات اللسان أكثر من عشرين آفة، وعلماء آخرون منهم الشيخ عبد الغني النابلسي عدّ آلاف أمراض اللسان، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: «كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْماً قَرِيباً مِنْهُ، وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي عَنْ النَّارِ، قَالَ: «**لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسيرٌ على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت**»، ثم قال: «**ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنةٌ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل**»، قَالَ: ثُمَّ تَلَا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧] حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾، ثُمَّ قَالَ: «**ألا أخبرك برأس الأمر كله، وعموده، وذروة سنامه؟**» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد**»، ثُمَّ قَالَ: «**ألا أخبرك بملاك ذلك

كله؟» قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ: «**كف عليك هذا**»، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**» [أخرجه الترمذي].

عن عائشة قالت: «حكيت للنَّبيِّ ﷺ رجلاً فقال: «**ما يسرّني أنّي حكيت رجلاً، وأنّ لي كذا وكذا**»، قالت: فقلت: يا رسول الله، إنّ صفيّة امرأةٌ، وقالت بيدها هكذا، كأنّها تعني قصيرةً، فقال: «**لقد مزجت بكلمةٍ لو مزجت بها ماء البحر لمزج**» [رواه أبو داود والترمذي وأحمد].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار**» [الترمذي].

والكلمة الطيبة صدقة، وقد ترقى بكلمة رقيّاً لا يعلمه إلا الله، كلمة تواضع، كلمة مؤانسة، كلمة اعتراف بالحق، هذا كله في ميزان حسنات الإنسان.

فالله ﷻ جماله على أربع مراتب، جمال الذات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء، أسماءه كلها حسنة، وصفاته كلها صفات كمال، وأفعاله كلها حكمة.

لذلك لما قال بعض العلماء: «الشريعة عدل كلها؛ لأنها منهج الله، رحمة كلها، حكمة كلها، مصلحة كلها، وأية قضية

خرجت من الحكمة إلى خلافها، ومن العدل إلى الجور، ومن المصلحة إلى المفسدة، فليست من الشريعة، ولو أدخلت عليها بألف تأويل وتأويل».

حتى إن علماء العقيدة قالوا: «الحسن ما حسنه الشرع، والقبيح ما قبحه الشرع، الله ﷻ ذاته جميلة، وصفاته جميلة، وأفعاله جميلة، وأسماءه جميلة.

لكن المشكلة أن جمال الذات لا يدركه أحد في الكون، لا يعرف الله إلا الله، جمال الذات، لا يدركه أحد في الكون ولا الأنبياء، لكن جمال الصفات تدل على جمال الذات، وجمال الصفات محجوبة بأفعاله، فأفعاله الجميلة تدل على جمال صفاته، وجمال صفاته تدل على جمال ذاته، وأنت ترى أفعاله، ترى الربيع، ترى العصفور، ترى الوردة، ترى الزهرة، ترى طفلاً جميل الصورة، هذه كلها أفعاله.

وكما قال الشاعر:

فلو شاهدت عيناك من حسننا	الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا
ولو سمعت أذناك حسن خطابنا	خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا
ولو ذقت من طعم المحبة ذرة	عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنا
ولو نسمت من قربنا لك نسمة	لمت غريباً واشتياقاً لقربنا
ولو لاح من أنوارنا لك لائح	تركت جميع الكائنات لأجلنا

هؤلاء الذين أطاعوا الله هم الفائزون، عرفوا أن يختاروا الجمال المطلق، الجمال الأبدي.

لا بد أن تترك الجمالَ أو يتركك فانتبه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٦].

في «صحيح مسلم» من حديث أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلماتٍ، فقال: «**إن الله ﷻ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**» [مسلم].

وحينما قال الله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

تجلِّي الله على المؤمنين سعادة لهم ولو فقدوا الدنيا:

هناك من يتوهم أنّ المؤمن فاتته مباهج الدنيا، أن المؤمن باستقامته حرم نفسه أشياء كثيرة، لكن العكس هو الصحيح، فإن الله يتجلى على قلب المؤمن تجلياً، سمّه إن شئت رحمة، وسمه إن شئت سكينة، هذا التجلي يسعده ولو فقد كل شيء، ويشقى بفقده ولو ملك كل شيء.

أيعقل أن يكون الذي في بطن الحوت نبي كريم، وهو يناجي ربه بقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [النمل: ٤٤].

فيتجلى الله عليه وينقذه، وأن النبي عليه الصلاة والسلام كان في أسعد حالاته وهو في غار ثور، وأن إبراهيم تجلى الله عليه وهو في النار، هذه السعادة التي تلقى في قلب المؤمن يشقى بفقدها الإنسان ولو ملك كل شيء.

اسم (الجميل) تجلى على هذا فكان جميلاً، يجب أن تكون حياتك جميلة، في بيتك، في عملك، في هندامك، في مركبتك، والنظافة أصل في الجمال، وتناسب الألوان أصل في الجمال، ورقة العبارة أصل في الجمال.

كان عمر إذا مر على أناس يشعلون النار، يقول: السلام عليكم، يا أهل الضوء، ولم يقل: السلام عليكم يا أصحاب النار.

في اللغة عبارات جميلة جدّاً فيها ذكاء، فيها لطف.

جاءت امرأة تشكو زوجها إلى سيدنا عمر، متألمة جداً منه، أهملها إهمالاً كلياً، قالت: يا أمير المؤمنين، إن زوجي صوام قوام، ما انتبه سيدنا عمر، قال لها: «بارك الله لكِ بزوجك، سيدنا علي قال له: لا، إنها تشكو زوجها»، انظر إلى الأدب، وهي تشكو زوجها.

والله في أقوال الصحابة أدب، الدين كله حياء.



الشاكر والشكور

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فاطر: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الشورى: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة: ١٥٨].

فمعنى الشكر الرضا باليسير، والشكر الثناء على الإنسان بمعروف فعله، والشكر أيضاً: ذكر الإحسان ونشره. فليس أحد يحب الثناء أكثر من الله لذلك حمد نفسه.

و﴿ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾، صيغة مبالغة لاسم الفاعل، ﴿شَاكِرٌ﴾.

وروده في القرآن الكريم:

وورد اسم الله تعالى الشاكر في موضعين:

الأول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة: ١٥٨].

و﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء: ١٤٧].

وورد اسم الله تعالى الشكور في أربع مواضع:

- قوله تعالى: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٣٠].

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فاطر: ٣٤].

- وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الشورى: ٢٣].

- ورد اسمه تعالى الشكور مقترناً باسمه الحليم في قوله قوله تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن: ١٧].

المعنى في حق الله تعالى:

الشكور: هو الذي يعطي الثواب الجزيل على العمل القليل، فيقبل اليسير من الطاعات ويعطي الكثير من الدرجات، ويعفو عن الكثير من الزلات ولا يضيع أجر من أحسن عملاً بل يضاعفه أضعافاً مضاعفة بغير حساب.

اقتران اسم الله الشكور بالغفور:

الله سبحانه هو صاحب الفضل في كل حال، فإن عصيته يغفر وإن أطعته يشكر، ولا يخلو أي عمل صالح من تقصير فيغفر التقصير ويقبل القليل ويشكر عليه ويجازي عليه الكثير.

اقتران اسم الله الشاكر بالعليم:

ومع أنه شاكر فهو عليم بمن يستحق الثواب الكامل، بحسب نيته وإيمانه وتقواه ممن ليس كذلك، عليم بأعمال العباد، فلا يضيعها بل يجدونها أوفر ما كانت على حسب نياتهم التي اطلع عليها العليم الحكيم.

اقتران اسم الله الشكور بالحَلِيم:

الأصل أن العبد بتقصيره مستحق للعقوبة لأنه أسر نفسه في أسر الشهوات والملذات والمخالفات والمنكرات، فيستحق وهو يقوم بهذه الأمور أن يُعجل له العقاب، لكن الله يحلم عليه ولا يعاجله بالعقوبة، ثم هو بعد ذلك يأتي بصدقة ربما لا تتوازى أبداً مع جرمه فيحلم عليه ويتقبلها على ما فيه من عيب ونقصان بل ويشكرها له.

فهو سبحانه تعالى يحلم ويغفر ويشكر.

الفرق بين الحمد والشكر:

الشكر مثل الحمد إلا أن الشكر أخص.

فأنت تحمد الإنسان على صفاته الجميلة وعلى معروفه ولا تشكره إلا على معروفه دون صفاته.

فمثلاً الرجل الخلوق المهذب، أنت تحمد له أدبه بالثناء عليه وإنما تشكر له فعل الأدب نفسه إن وقع.

فالحمد يكون على الصفات وعلى المعروف، أما الشكر

فيكون على المعروف دون الصفات وهذا معنى قول أئمة اللغة: «الشكر لا يكون إلا عن يد، أما الحمد فيكون عن يد أو عن غير يد». سواء أعطاك أو لم يعطك.

قال القرطبي: «وتكلم الناس في الحمد والشكر هل هو بمعنى واحد أم بمعنيين فذهب الطبري والمبرد إلى أنهما في معنى واحد وهذا غير مرضي!

والصحيح أن الحمد ثناء على الممدوح بصفاته من غير سابق إحسان، والشكر ثناء على المشكور بما أولى من الإحسان».

الشكور الشاكر هو الذي لا يضيع أي عمل عامل مهما كان ويضاعف له الأجر ويشكر الشاكرين ويزيدهم من نعمه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما شكر الرب تعالى فله شأن آخر كشأن صبره فهو أولى بصفة الشكر من كل شكور، بل هو الشكور على الحقيقة فإنه يعطي العبد ويوفقه لما يشكره عليه، ويشكر القليل من العمل والعطاء فلا يستقله أن يشكره، ويشكر الحسنة بعشر أمثالها الى أضعاف مضاعفة ويشكر عبده بقوله بأن يثني عليه بين ملائكته وفي ملئه الأعلى ويلقى له الشكر بين عباده، ويشكره بفعله فإذا ترك له شيئاً أعطاه أفضل منه وإذا بذل له شيئاً رده عليه أضعافاً مضاعفة وهو الذى وفقه للترك والبذل وشكره على هذا وذاك.

ولما عقر نبيه سليمان الخيل غضباً له إذ شغلته عن ذكره

فأراد ألا تشغله مرة أخرى عوضه عنها متن الريح. ولما ترك الصحابة ديارهم وخرجوا منها في مرضاته عوضهم عنها أن ملّكهم الدنيا وفتحها عليهم.

ولما احتمل يوسف الصديق ضيق السجن شكر له ذلك بأن مكن له في الارض يتبوأ منها حيث يشاء، ولما بذل الشهداء أبدانهم له حتى مزقها أعداؤه، شكر الله لهم ذلك بأن عوضهم عنها طيراً خضراً أقر أرواحهم فيها ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها إلى يوم البعث، فيردها عليهم أكمل ما تكون وأجمله وأبهاه ولما بذل رسله أعراضهم فيه لأعدائهم فنالوا منهم وسبوهم عوضهم من ذلك بأن صلى عليهم هو وملائكته وجعل لهم أطيب الثناء في سماواته وبين خلقه فأخلصهم بخالصة ذكرى الدار.

ومن شكره سبحانه أنه يجازى عدوه بما يفعله من الخير والمعروف في الدنيا ويخفف به عنه يوم القيامة، فلا يضيع عليه ما يعمله من الإحسان وهو من أبغض خلقه إليه، ومن شكره أنه غفر للمرأة البغي بسقيها كلباً كان قد جهده العطش حتى أكل الثرى، وغفر لآخر بتنحيته غصن شوك عن طريق المسلمين.

فهو سبحانه يشكر العبد على إحسانه لنفسه والمخلوق إنما يشكر من أحسن إليه وأبلغ من ذلك أنه سبحانه هو الذى أعطى العبد ما يحسن به إلى نفسه وشكره على قليله بالأضعاف المضاعفة التى لا نسبة لإحسان العبد إليها، فهو المحسن

بإعطاء الإحسان وإعطاء الشكر، فمن أحق باسم الشكور منه سبحانه!.

وتأمل قوله سبحانه: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء: ١٤٧] كيف تجد في ضمن هذا الخطاب أن شكره تعالى يأبى تعذيب عباده سدى بغير جرم كما يأبى إضاعة سعيهم باطلاً؛ فالشكور لا يضيّع أجر محسن ولا يعذب غير مسيء.

وفي هذا رد لقول من زعم أنه سبحانه يكلفه ما لا يطيقه ثم يعذبه على ما لا يدخل تحت قدرته ـ تعالى الله عن هذا الظن الكاذب والحسبان الباطل علوّاً كبيراً ـ فشكره سبحانه اقتضى أن لا يعذب المؤمن الشكور ولا يضيع عمله وذلك من لوازم هذه الصفة فهو منزه عن خلاف ذلك كما ينزه عن سائر العيوب والنقائص التى تنافى كماله وغناه وحمده. ومن شكر سبحانه أنه يخرج العبد من النار بأدنى مثقال ذرة من خير ولا يضيع عليه هذا القدر، ومن شكره سبحانه أن العبد من عباده يقوم له مقاماً يرضيه بين الناس فيشكره له وينوه بذكره ويخبر به ملائكته وعباده المؤمنين كما شكر لمؤمن آل فرعون ذلك المقام وأثنى به عليه ونوه بذكره بين عباده، وكذلك شكره لصاحب يس مقامه ودعوته إليه فلا يهلك عليه بين شكره ومغفرته إلا هالك فإنه سبحانه غفور شكور يغفر الكثير من الزلل ويشكر القليل من العمل.

ولما كان سبحانه هو الشكور على الحقيقة كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر كما أن أبغض خلقه إليه من عطلها واتصف بضدها وهذا شأن أسمائه الحسنى أحب خلقه إليه من اتصف بموجبها، وأبغضهم إليه من اتصف بأضدادها ولهذا يبغض الكافر الظالم والجاهل والقاسي القلب والبخيل والجبان والمهين واللئيم، وهو سبحانه جميل يحب الجمال، عليم يحب العلماء، رحيم يحب الراحمين، محسن يحب المحسنين، شكور يحب الشاكرين، صبور يحب الصابرين، جواد يحب أهل الجود، ستار يحب أهل الستر، قادر يلوم على العجز والمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف، عفو يحب العفو، وتر يحب الوتر، وكل ما يحبه فهو من آثار أسمائه وصفاته وموجبها وكل ما يبغضه فهو مما يضادها وينافيها.

تأملات في رحاب الاسم الجليل:

الشكور ﷻ الذي يشكرك على اليسير مما تقدمه فيعطيك عليه أضعاف مضاعفة من الجزاء والثواب في الدنيا والآخرة، وكأن الشكور مكون من جزئين، **الأول**: ما قدمته قليل، **والثاني**: أضعاف مضاعفة من الشكر.

كل ما قدمت من عمل صالح ولو كان قليلاً يشكرك الله عليه ويضاعف لك الشكر أضعافاً مضاعفة، ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى: ٢٣].

شكر الله لعباده:

الله عز وجل هو الشكور، فكيف يشكر عباده سبحانه وتعالى؟!

- توفيقهم للخير يشكرهم بأن يوفقهم للخير، وأعلى مراتب توفيق الله لعَبْدِهِ أن يحبب إليه الإيمان والطاعة، ويُكَرِّهَ إليه الكفر والمعصية، وهي المرتبة التي نالها أصحاب النبي ﷺ، وامتن الله بها عليهم في قوله تعالى:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۝٧﴾ [الحجرات: ٧].

قال ابنُ القيّم رحمه الله: «أجمع العارفون بالله أنَّ التوفيق هو أن لا يَكِلَكَ الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يُخْلِيَ بينك وبين نفسك»[١]

- ثناؤه عليهم في الملأ الأعلى:

ويشكر عبده بأن يثني عليه في الملأ الأعلى، ويذكره عند الملائكة، ويجعل ذكره بين العباد في الأرض حسناً، ففي الحديث القدسي: **«إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إني قد أحببت فلاناً فأحبه، فينادي في السماء، ثم تنزل له المحبة في الأرض، فذلك قوله تعالى: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً، وإذا أبغض الله عبداً نادى جبريل إني**

(١) [«مدارج السالكين» (١/ ٤٤٥)].

أبغضت فلاناً، فينادي في السماء، ثم تنزل له البغضاء في الأرض» [رواه أحمد في المسند وأصله في مسلم].

وقال رجل لابن تيمية: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بين نعمتين لا أدري أيتهما أفضل: ذنوب سترها الله عليّ فلا يستطيع أن يعيرني بها أحد، ومودة قذفها الله في قلوب العباد لا يبلغها عملي ـ أنا دون ذلك ـ .

وقال محمد بن المنكدر لأبي حازم: يا أبا حازم! ما أكثر من يلقاني فيدعو لي بالخير، ما أعرفهم، وما صنعت إليهم خيراً قط، قال أبو حازم: لا تظن أن ذلك من قبلك ولكن انظر إلى الذي من قِبله جاءت النعمة هذه ـ أن وضع لك المحبة في قلوب الناس ـ فاشكره، ثم قرأ عليه قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ٩٦].

ـ من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.

فإذا ترك العبد شيئاً لله أعطاه الله أفضل منه، وإذا بذل العبد شيئاً لله رده الله عليه أضعافاً مضاعفة.

لما ترك الصحابة ديارهم وخرجوا من الديار في مرضاة الله عوضهم الله ملك الدنيا، وفتح عليهم ملك فارس والروم.

ولما تحمل يوسف الصديق ضيق السجن شكر الله له ذلك ومكن له في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء.

ولذلك لما سمع عمر رجلاً يقول: اللَّهُمَّ اجعلني من الأقلين، فقال: ما هذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين! قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٤٠﴾ [هود: ٤٠]، وقال الله ﷻ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣﴾ [سبأ: ١٣]، وقال الله ﷻ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]. فقال عمر: صدقت ونبينا ﷺ سيد الشاكرين وإمامهم ﷺ، كان يعبد ربه ليكون شكوراً لربه، ولذلك جاء في «صحيح البخاري» عن المغيرة قال: (قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه، فقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: **«أفلا أكون عبداً شكوراً»** [رواه البخاري])؛ أي: شكوراً لهذه النعمة، وهي أنه غفر لي ما تقدم من ذنبي.

كيفية الوصول إلى منزلة العبد الشكور:

نصل إلى منزلة العبد الشكور بأمور:

ـ العبادة:

كل العبادات التي دلنا عليها ﷺ.

ـ الدعاء:

فقد نادى عليه الصلاة والسلام معاذاً: (يا معاذ! والله إني لأحبك، أوصيك يا معاذ! لا تدع في دبر كل صلاة أن تقول: اللَّهُمَّ أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك).

- أن يحدث العبد بنعم الله عليه:

قال الله ﷻ: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١﴾ [الضحى: ١]. لأن الله يحب أن يرى أثر النعمة عليك، كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال لرجل من الصحابة: «**إذا أنعم الله على عبدٍ نعمة فإنه يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، كلوا واشربوا وتصدقوا في غير مخيلة ولا سرف، فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**» [رواه أحمد بسند صحيح].

وجاء رجل إلى النبي ﷺ وهو قشف الهيئة، فقال له النبي ﷺ: (**هل لك من مال؟** قال: نعم، قال: **من أي المال؟** قال: من كل المال؛ قد آتاني الله من الإبل والخيل، والرقيق والغنم، قال: **فإذا آتاك الله مالاً فليُر عليك**).

وفي الحديث الصحيح قوله عليه الصلاة والسلام: «**إذا آتاك الله مالاً فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته**» [صححه ابن كثير في تفسيره].

وذم الله الكنود من العباد فقال: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ [العاديات: ٦]. والكنود: الذي لا يشكر نعم الله.

وقال الحسن رحمه الله عن الكنود: الذي يعد المصائب وينسى النعم.

إذا جلست معه قال لك: صار لي مصيبة كذا وكذا وكذا، ولا يحدث ولا يذكر شيئاً من نعم الله، كاتم لنعم الله، لا يحدث إلا بالمصائب والمعايب، ولا يقول: إن الله

أعطاني كذا وأعطاني كذا، ومَنَّ علي بكذا، وآتاني كذا. . . .

ولما قرأ النبي ﷺ على الجن سورة الرحمٰن وقرأها على الصحابة، فسكت الصحابة، فقال عليه الصلاة والسلام: **«قرأتها على الجن ليلة الجن أحسن مردوداً منكم كنت كلما أتيت على قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾** [الرحمٰن: ١٣] **قالوا: لا بشيء من نعمك ربّنا نكذب، فلك الحمد»**(١).

ورأى بكر بن عبد الله المزني حمالاً عليه حمله وهو يقول: الحمد لله. . أستغفر الله، الحمد لله. . أستغفر الله، الحمد لله. . أستغفر الله، وهكذا، قال: فانتظرته حتى وضع ما على ظهره، وقلت له: أما تحسن غير هذا؟ ـ غير الحمد لله. . أستغفر الله ـ قال: بلى. أحسن خيراً كثيراً أقرأ كتاب الله، غير أن العبد بين نعمة وذم، فأحمد الله على نعمه وأستغفره لذنوبي، فقال بكر: الحمال أفقه مني.

وقال أحدهم: أنا لا آكل الخبيص؛ والخبيص: نوع من أنواع الحلوى، فقيل له: لماذا؟ قال: إني لا أقوم بشكره، فقال الحسن: «هذا أحمق، وهل يقوم بشكر الماء البارد؟!».

جاء رجل إلى يونس بن عبيد يشكو ضيق حاله، فقال له يونس: أَيَسُرُّكَ ببصرك هذا مائة ألف درهم؟ ـ هل يسرك أنك

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٩١)، والحاكم في المستدرك (٣٧٦٦)، صَحِيح الْجَامِع: (٥١٣٨)، الصَّحِيحَة: (٢١٥٠).

تفقد بصرك وتعطى مائة ألف درهم؟ ـ قال: لا. قال: فبيديك مائة ألف؟ قال: لا. قال: فبرجليك مائة ألف؟ قال: لا. ثم ذكر له نعماً كثيرة، ثم قال له في النهاية: أرى عندك مئين ألوف وأنت تشكو الحاجة.

ـ سجود العبد لله شكراً عند تجدد النعمة:

ذهب جمهور العلماء إلى استحباب سجدة الشكر لمن تجددت له نعمة تسره أو صرفت عنه نقمة.

عن أبي بكرة أن النبي ﷺ كان إذا أتاه أمر يسره أو بشر به خر ساجداً شكراً لله تعالى، رواه أبو داود.

وروى البيهقي بإسناد على شرط البخاري أن علياً رضي الله عنه لما كتب إلى النبي ﷺ بإسلام همذان خر ساجداً ثم رفع رأسه فقال: «**السلام على همذان، السلام على همذان**».

وعن عبد الرحمٰن ابن عوف أن رسول الله ﷺ خرج فاتبعته حتى دخل نخلاً فسجد فأطال السجود حتى خفت أن يكون الله قد توفاه، فجئت أنظر فرفع رأسه فقال: «**ما لك يا عبد الرحمٰن؟**» فذكرت ذلك له فقال: «**إن جبريل عليه السلام قال لي: ألا أبشرك؟ إن الله عز وجل يقول لك: من صلى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه، فسجدت لله عز وجل شكراً**». [رواه أحمد].

وروى البخاري أن كعب بن مالك سجد لما جاءته البشرى بتوبة الله عليه.

ـ دعاء العبد بالمأثور عند رؤية مبتلى:

كذلك من الأمور التي تدل على أن العبد عبد شكور: أنه إذا رأى مبتلى أن يحمد الله على العافية من هذا البلاء، قال ﷺ: «**إذا رأى أحدكم مبتلىً فليقل: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني عليك وعلى كثير ممن خلق تفضيلاً**» [صحيح الجامع (٥٥٥)].

وهذا الكلام يقوله سرّاً لا يجهر به حتى لا يؤذي الشخص إلا إذا كان بلاء الشخص فسقاً في دينه، فقال النووي رحمه الله: يجهر به؛ لعله يرتدع، أما إذا كان إنساناً مشلولاً أو أعمى أو كسيحاً به عاهة فليعمل بالحديث.

ـ شكر النعمة بالزيادة في التطوع:

إذا نجاك الله من مكروه، أو دفع عنك شرّاً، فزد في التطوع من صوم أو صدقة، وشاهِدنا على هذا حديث ابن عباس في البخاري: (أن النبي ﷺ لما قدم المدينة وجدهم يصومون يوماً ـ وهو يوم عاشوراء ـ فسألهم: فقالوا: هذا يوم عظيم نجى فيه الله موسى وأغرق آل فرعون فصام موسى شكراً لله، فقال: أنا أولى بموسى منهم فصامه وأمر بصيامه).

فإذا حدث لك أن نجاك الله من سوء ودفع عنك مكروهاً، فمن شكر النعمة أن تعبده بصيامٍ، أو صلاة أو صدقة مقابل هذا الإنجاء الذي حصل.

ـ **شكر الناس على إحسانهم:**

وشكر الناس على إحسانهم إليك من شكر الله، ومن وسائل شكر الله أن تشكر الناس المحسنين إليك، قال ﷺ: **«من لا يشكر الناس لا يشكر الله»**، وفي لفظ آخر صحيح أيضاً: **«أشكر الناس لله أشكرهم للناس»** [مخرجه في صحيح الجامع (١٠٠٨)].

ما معنى: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)؟ يعني: أن الله ﷻ لا يقبل شكراً لعبدٍ على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر الناس بل يكفر إحسانهم إليه؛ لأن كِلَا الأمرين متصل بالآخر.

وقال بعض العلماء في شرح الحديث: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس): أن مَنْ عادته وطبعه كفران إحسان الناس إليه، فإن من عادته وطبعه كفران نعمة الله عليه؛ وهذا مبني على رفع اسم الجلالة أو نصبه (لا يشكر اللهَ من لا يشكر الناس)، أو (لا يشكر اللهُ من لا يشكر الناس)؟ كلاهما صحيح.

فأشكر الناس لله أشكرهم للناس، ولذلك جاء في الحديث: **«من صنع إليه معروفٌ فقال لفاعله: جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء»** [رواه الترمذي بسند حسن].

ثمار الإيمان بالاسم الجليل:

ـ **الشكور**: هو الذي يقبل القليل من العمل ويعطي الكثير من الثواب مقابل هذا العمل البسيط... لذلك لا تستصغر أي

عمل تقدمه من أعمال البر فقد قال عليه الصلاة والسلام: **«اتقوا النار ولو بشق تمرة»** فلا تحقرن من المعروف شيئاً فربك شكور فلا تدري بأى عمل ترجح كفة الميزان.

- **شكر الله على نعمه وأعظم الشكر ألا تجعل نعمه في معصيته:** قال ﷺ: **«الطاعم الشاكر له مثل أجر الصائم الصابر»** [صححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٤٤٠)].

- **من فعل لك خيراً فكافأه:** فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله والمكافأة تكون بالدعاء والهدية والصنيع الجميل.

- ادع الله باسم **الشاكر الشكور:** من قال حين يصبح: **«اللَّهُمَّ ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته»** [أبو داود بسند صحيح].

وعلم معاذاً أن يقول دبر كل صلاة: اللَّهُمَّ أعني على ذكرك وشكرك، وحسن عبادتك (ومن دعائه ﷺ: **«اللَّهُمَّ إنِّي أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك»** [رواه مسلم (٢٧٣٩)].

والمعنى «**اللَّهُمَّ**» إني ألتجئ إليك من ذهاب جميع نعمك؛ لأن زوال النعم لا يكون إلا عند عدم شكرها «**وتحول عافيتك**»: أي: أعوذ بك من تبدّل العافية إلى الأمراض والبلاء، «**وفجأة نقمتك**»: أي: أعوذ بك من العقوبة المفاجئة وأنا في غفلة، دون توقع وتحسب، وخُصَّ فجاءت النقمة

بالاستعاذة؛ لأنها أشد وأصعب من أن تأتي تدريجيّاً، بحيث لا تكون فرصة للتوبة.

«وجميع سخطك»: أي: ألتجئ وأعتصم إليك أن تعيذني من جميع الأسباب الموجبة لسخطك جلّ شأنك؛ فإنّ من سخطت عليه فقد خاب وخسر.

- **كفر النعم وجحودها سبب لزوالها**: كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: ٧].

وقال تعالى مبيّناً حال تلك القرية العظيمة التي كانت تعيش بأمن ونعم عظيمة ثم كفرت بنعم الله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ۝١١٢﴾ [النحل: ١١٢].

وكم زالت النعم والأمن وحل الهلاك والخوف والجوع ووقع التشرذم والتفرق وسقطت الدول في كثير من بلدان المسلمين عبر التأريخ لما كفروا بالنعم وأظهروا الفواحش وتحاكموا إلى الطاغوت وأمنوا مكر الله.

۞ ۞ ۞



بالإضافة

أحمد الله على جزيل نعمه، وموفور أفضاله وعموم فضله وغزير فعاله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، **وبعد:**

فهذه مقالة لطيفة، وتحفة سنية شريفة في حرص النفوس الفاضلة على بقاء الذكر. أسأل الله تعالى أن يجعل لنا ثناء حسناً في الصالحين، وأن يحبونا بالزلفى يوم الدين بمنّه وكرمه آمين.

اعلم أن البقاء من أحسن صفات الله تعالى، فاتصاف العبد بما أمكن من البقاء هو أعلى صفاته وأفضلها؛ إذ ليس للعبد من نفسه إلا العدم، وأما الوجود فمن قبل الله تعالى، وقد تقرر في موضعه من الحكمة أن لكل شيء غاية، فغاية المعدن أن يصير ذهباً، وغاية النبات النخلة، وغاية الحيوان الإنسان، وغاية الإنسان أن يكون عالماً، وغاية العالم أن يكون ملكاً مقرباً باقياً بالذكر؛ فالفاضل هو الذى يحرص على بقاء ذكره دائماً، قال الله تعالى حكاية عن إمام الحنفاء إبراهيم الخليل عليه السلام أنه قال: وَاجْعَلْ لِي لِسانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ.

والمراد باللسان: القول، فوضع اللسان موضع القول.
قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: هو إجماع الأمم

عليه، وعن مجاهد والحسن: الثناء الحسن، وعن مجاهد قال: ما أراد إلا الثناء الحسن، فليس أمة إلا وهي توده، وقيل: معناه: سؤاله أن يكون من ذريته في آخر الزمان من يقوم بالحق فاستجيب دعاؤه في نبينا محمد ﷺ. ولذلك أراد الدعاء الحسن له إلى قيام الساعة، فإن زيادة الثواب مطلوبة في كل وقت ومن كل أحد. وقد جعل الله تعالى ذلك لإبراهيم عليه السلام؛ إذ ليس أحد صلى على النبي ﷺ في صلاته إلا وهو يصلى على إبراهيم عليه السلام. وعن الإمام مالك بن أنس رحمه الله أنه قال: لا بأس أن يحب الرجل أن يثنى عليه صالحاً وأن يرى في عمل الصالحين إذا قصد به وجه الله تعالى. وقال تعالى ممتناً على نبيه وكليمه موسى عليه السلام: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ٩٦].

أي: حبّاً في قلوب عباده، وثناء حسناً، فنبه الله تعالى بقوله: وَاجْعَلْ لِي لِسانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ

على استحباب اكتساب ما يورث الرجل الذكر الجميل إذ الذكر الجميل؛ هو الحياة الدائمة. وقد قال حاتم الطائى وهو: أبو سفانة حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الجواد المشهور من أبيات:

أماوى إن المال غاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث

وقال آخر:

ثمن الإحسان شكر ويرى المعروف ذخر
وثناء الحي بعد ال موت للميت عمر

وقال آخر»:

قد مات قوم وهم في الناس أحياء

ويقال: ذكر الفتى عمره الثاني. ولعمري إن الزمان الذي يثنى فيه على الميت بعد موته أحسن عمريه وأطولهما وأشرفهما، وقد قيل في هذا المعنى:

ردت صنائعه إليه حياته فكأنه من نشرها منشور

وقد قيل أيضاً:

كل الأمور تزول عنك وتنقضي إلا الثناء فإنه لك باق
ولو أنني خيرت كل فضيلة ما اخترت غير مكارم الأخلاق

وقال القاضي أبو بكر محمد بن العربي: وقال المحققون من شيوخ الزهد:

وهذا دليل على الترغيب في العمل الصالح الذي يكسبه الثناء الحسن قال ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث**» وفي رواية: «إلا من سبع» وكذلك «من مات مرابطاً يكتب له عمله إلى يوم القيامة» وقد منّ الله تعالى على نوح وإبراهيم وموسى وهارون وإلياس عليهم السلام بقوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٨)﴾ [الصافات: ٧٨].

ومعناه تركنا عليه ثناء حسناً في كل أمة، وقال تعالى ممتناً على نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨]؛ يعني: لا إله إلا الله، فلا يزال في ذريته من يقولها. قال مجاهد وقتادة: ومنّ تعالى على رسوله المصطفى ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]. فعن ابن عباس رضي الله عنهما: يعني: القرآن شرف لك ولقومك. وقال: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠]؛ أي: شرفكم. قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: إنما وضع الذكر موضع الشرف؛ لأن الشرف مذكر. وعن الإمام مالك رحمه الله في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾.

قول الرجل: حدثني أبي عن جدي، وقال تعالى ممتناً على سيد المرسلين محمد ﷺ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: ٤].

ذهب الجمهور إلى أن معناه إذا ذكرتُ ذكرتَ معي، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، إلا قال: أشهد أن محمداً رسول الله.

ويروى أن المسيح عليه السلام قال: «الذي يعلم ويعمل بما علم يدعى في ملكوت السموات عظيماً».

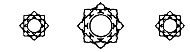
وعن نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام أنه قال: «الذكر الجميل خير من الرائحة الطيبة، والإنسان يوم يموت خير من يوم يولد؛ لأن الرائحة الطيبة قولاً تبلغ ربع ميل، والثناء الحسن والصفات الجميلة قد تبلغ أقصى الآفاق؛ وذلك أنّ

الإنسان ما دام حيّاً يزهد فيه نظراؤه، فإن النفوس كأنها ناظرة إليه، ومن شأن صاحب المروءة أن يزهد فيما ظفر به لأنه في يده قد أمن فواته، وأن يحرص على طلب ما غاب عنه، ويرغب في تحصيله، فإذا مات الإنسان فقد فات، فتلمح الألسنة حينئذ بتكرار أخباره وإثارة فضائله، ونشر مآثره، وإذاعة محاسنه، حتى لقد كان موته سبباً لاشتهار فضائله أكثر من اشتهارها في حياته، فهو يوم وفاته خير من يوم ولادته؛ لأن يوم ولادته إنما يراد به ملك الغاية، وغاية الإنسان إما عالم فهو ملك باق، وإما جاهل غير متبع فهو شيطان أو بهيمة، فولادة الإنسان إنما هي ليكون له لسان صدق في الآخرين، فإن الفضائل بالفعل حق الثناء عليه أيام حياته وكثر انتشار فضائله بعد موته، وانتشارها بعد موته حياة باقية يتوجّه إليها الصالحون ويرغب فيها العارفون، فيوم كمال الغاية المطلوب والفضل المتوجه إليها الفضل من يوم الولادة، وقد قيل:

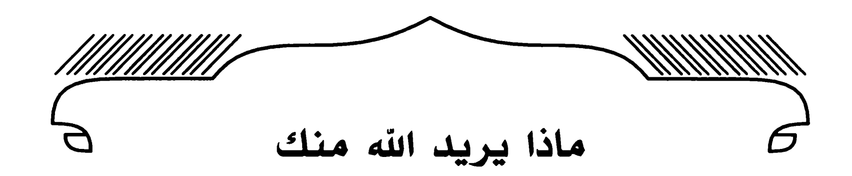
المرء ما دام حيّاً يستهان به ... ويعظم الزور فيه حين يفتقد

فاحرص يا أخي ـ أعزك الله بتقواه، ونوّر قلبك بنوره حتى لا تشهد سواه ـ أن تكون كما الورد، فإنه كان أولاً بسيطاً غير مركب، فلما سرى في التراب، وظهر في عالم العيان بصورة الشجر ذات الغصن والورق والورد عابا بالتقطير إلى مرتبته، وأصله من البساطة وصورة المائية لكن بزيادة الكمال من طيب الرائحة وتفريح القلب وتقويته إلى غير ذلك من

الخواص، فكذا فكن إن كنت ممن سبقت له الحسنى فإنك عندما تعينت صورتك البشرية كانت صفاتك جميعها بريئة من السوء، فإذا تهذبت بالرياضة والسلوك إلى الله تعالى تطهرت أخلاقك من الشر والنقائص وازدادت كمّاً بما تحلت به من الآداب والمعارف وسائر الفضائل الروحانية، والله يؤيدنا بتوفيقه من غير خذلان ويعيننا على سلوك طريقه المستقيم، فإنه المستعان»[١]



(١) رسائل المقريزي ـ تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ) ـ الناشر: دار الحديث. (ص٢٥٠).



ماذا يريد الله منك

الأمر الأول بعد أن حققت حقيقة التوحيد، وعرفت ربك حق المعرفة، يريد الله منك تحقيق الإخلاص قبل الشروع في العمل، وأن تنظف قلبك من جميع أمراضه، وتعمل لله فقط ولا تشرك معه أحداً في عباده ﷻ لا قبلُ ولا بعدُ ولا ثنايا العمل، فلتكن مخلصاً لله سبحانه قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥] والأمر الثاني أن تعمل وفقاً للسُّنَّة، ولا تقدِّم لله أي عمل من غير أن تتثبت أن له أصلاً من هدي النبي ﷺ وأي عمل من الأعمال العبادة ليس له أصل عن النبي ﷺ فهو مردود مرفوض لا يقبله الله فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**» [رواه مسلم]، إذاً يجب على كل مسلم ألا يعمل إلا ما شرع من هديه عليه الصلاة والسلام.

والأمر الثالث أن تكون صاحب همة ونشاط وقوة في عبادة الله ﷻ، ولا تكن صاحب كسل وضعف في عبادة الله رب العالمين لأنّ هذا من شأن المنافقين وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝١٤٢﴾ [النساء: ١٤٢].

فاحرص يا عبد الله ألّا تكون من الذين يضعون كامل قوتهم في أمور الدنيا وإذا جاؤوا إلى عبادة الله تكاسلوا وضعفوا، كم رأينا أُناساً يمشون بكامل قوتهم من بيوتهم إلى أغراضهم الدنيوية، وإذا أتوا إلى الصلاة صلوا جلوساً بدعوى ضعف أو مرض أو عندهم عذر على العموم؛ أي: هم أقوياء لدنياهم وضعفاء لآخرتهم مع الأسف.

وكم رأينا من يتحمل المشقات والتعب ولساعات طويلة من غير أكل وشرب للبحث عن متاع الدنيا وإذا جاء الكلام عن الصيام قال لا أستطيع، أنا مريض بكذا وكذا وعندي دواء أتناوله، أتعب في الصوم. من هنا تسمع من يمنعه من الأعذار حتي لا يؤدي عبادة الله رب العالمين، أما في البحث عن الدنيا فيستطيع ويتحمل المشقات وليس عنده أي عذر يمنعه من طلب الدنيا. أما لله فله الأعذار الكثيرة، وكم رأينا أو سمعنا أُناساً يذهبون إلى الدول لتغيير الجو ولأمور الدنيا ولا يأتون إلى الحج ويقولون هناك ظروف وأعذار أو لم تأتي الدعوة من الله بعد وفي الوقت نفسه يسافرون إلى أرجاء الدنيا ولا عذر وينفقون الأموال ولا مانع لديهم يمنعهم أما الحج فلا يستطيعون، وكم رأينا أو سمعنا أُناساً ينفقون الأموال في البيوت والمراكب وللدنيا عموماً ولا يعرفون متى يخرجون الزكاة وليس ما يسمى الزكاة السنوي في حياتهم نتيجة دعاوى كاذبة، وكما رأينا أو سمعنا أُناساً لا يؤدون السنن وفضائل

الأعمال بدعوى الأشغال والارتباطات والظروف أو يقولون هي سُنَّة أو مستحبة كأنهم أكملوا جميع الواجبات ولا يحتاجون إلى زيادة بعد الفرائض، وكم رأينا أو سمعنا أُناساً يسيرون في الدنيا ويعملون للدنيا ورضوا بها وضيعوا العمل للدين والأجل يقترب والعمر قصير إلى أن يأتي الموت ويقول: ﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون: ١٠].

الحاصل ينبغي على كل مسلم أن يكون صاحب همة عالية يبذل ما يستطيع لخدمة الدين، ولا يكون عبداً للدينا. الذي يُعرف قيمته وهمته وقوته عند الحصول على الدنيا وإذا جاءه أمر من الدين تكاسل وتردد وتأخر كأنه على رأسه جبل ولا يعرف يتحرك لثقل ذلك الجبل مع الأسف وإنا لله وإنا إليه راجعون وقال عليه الصلاة والسلام: «**المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وأن أصابك شئ فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإنّ لو تفتح للشيطان**» [رواه مسلم].

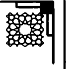
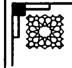
وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**» [رواه البيهقي بسند لا بأس به].

أختم بالأبيات الجميلة لبعض أهل الفضل في فضل الاستقامة وعاقبتها.

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها   إلا التي كان قبل الموت بانيها

فإن بناها بخير طاب مسكنه   وإن بناها بشر خاب بانيها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها   ودورنا لخراب الدهر نبنيها
أين الملوك التي كانت مسلطنة   حتي سقاها بكأس الموت ساقيها
فكم مدائنَ في الأفاق قد بنيت   أمست خراباً وأفنى الموت أهليها
لاتركننَّ إلى الدنيا وما فيها   فالموت لا شك يفنينا ويفنيها
المرء يبسطها والدهر يقبضها   والنفس تنشرها والموت يطويها
إن المكارم أخلاق مطهرة   الدين أولها والعقل ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها   والفضل ساديها والبِّر سابعها والشكر ثامنها
والصبر تاسعها والين باقيها   واعمل لدار غداً رضوانُ خازنها
والجار أحمد والرحمن ناشيها   قصورها ذهب والمسك طينتها
والزعفران ربيع ثابت فيها   أنهارها لبن محضٌ ومن عسلٍ
والخمر يجري رحيقاً في مجاريها   والطير تجري على الأغصان عاكفة
تسبح الله جهراً في مغانيها   من يشتري الدار في الفردوس يعمرها
بركعة في ظلام الليل يحيها

وأخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين

شكراً لله

وقال عليه الصلاة والسلام من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ، لَا يَشْكُرُ اللهَ** عز وجل»[1]

وفي رواية: «لَا يَشْكُرُ اللهَ، مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»[2]

أشكر لإخواني طلبة العلم الذين لهم يدٌ مشكوراً في خدمة العلم ونشره. وأسأل الله لهم التوفيق والفلاح في الآخرة.

وعلى هذا أشكر ربي كل الشكر وأحمده كل الحمد على ما أنعم عليّ من تأليف هذا الكتاب ويجعله في ميزان حسناتي ويغفر لي عن كل زلل وتقصير إن ربي لسميع الدعاء وإنه لغفور رحيم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

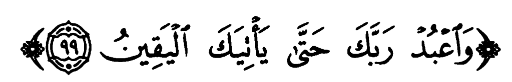
۞ ۞ ۞

---

(١) أخرجه الترمذي: (١٩٥٤)، (حم) (٧٤٩٥)، انظر: «صحيح الجامع»: (٦٦٠١).

(٢) أخرجه البخاري في الادب المفرد: (٢١٨)، (د) (٤٨١١)، (حم) (٧٩٢٦)، انظر: صَحِيح الْجَامِع: (٧٧١٩)، الصَّحِيحَة: (٤١٦).

قال القدوس جلّ شأنه:



[الحجر: ٩٩]

فهرس الآيات القرآنية

فهـرس الأحاديث النبوية الشريفة

حديث النبوي الشريف	الصفحة

حديث النبوي الشريف	الصفحة

فهرس الأشعار العربية

فهرس الفوائد العلمية

الفائدة العلمية	الصفحة

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة